

تأليف

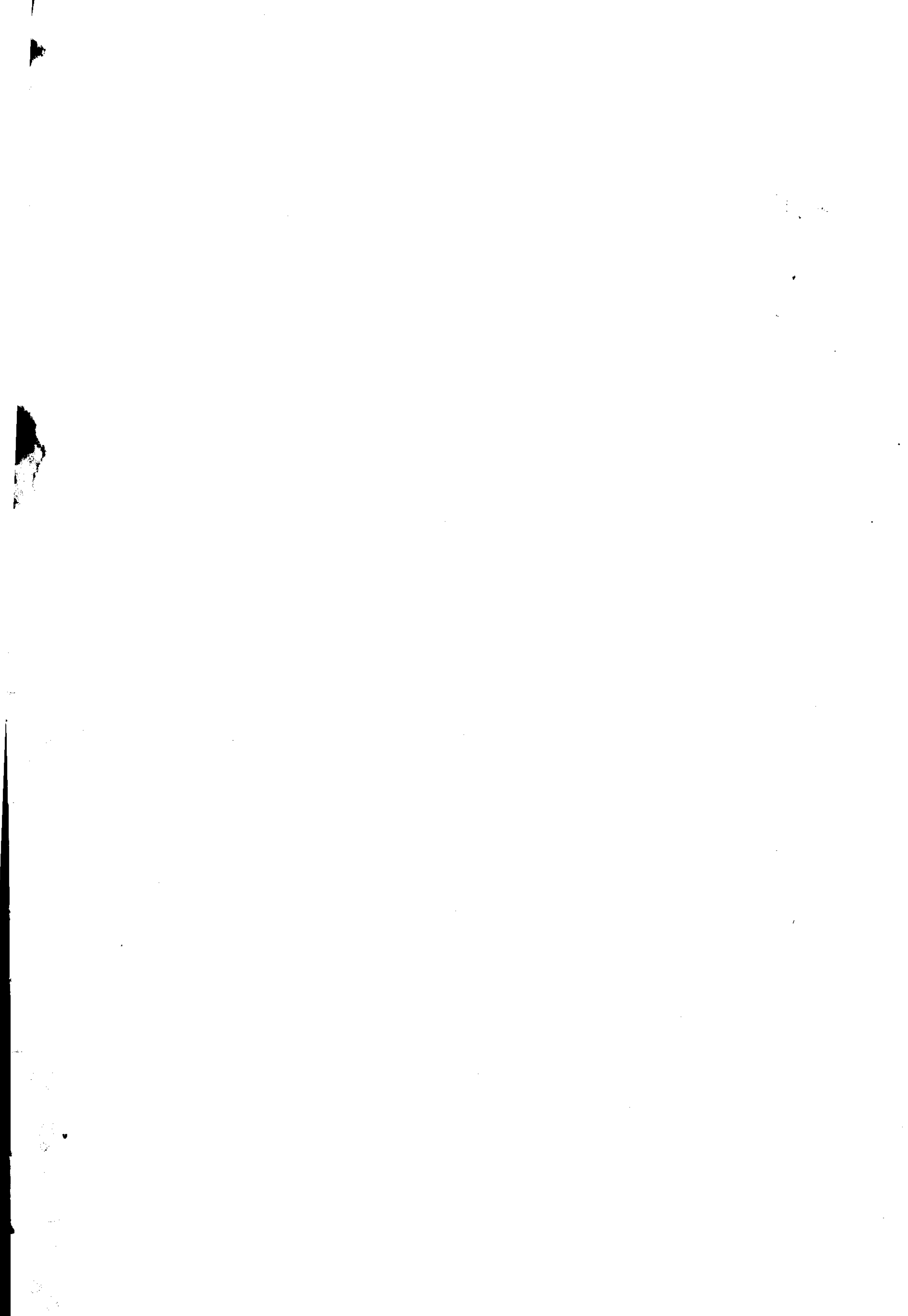
لسان الدين بن الخطيب

تحقيق

الدكتور احسان عباس

دار الثقافة — بيروت
طبعة ١٩٨٣

الكتيبة الكامنة



تمهيد

هذا هو الكتاب الثامن في هذه السلسلة التي أطلقنا عليها اسم « المكتبة الأندلسية » نقدمه للقراء والباحثين الذين أيدوا عملنا بالإقبال عليه ، وتقدير ما نبذله من جهد في جانبي الدراسة والبحث ونشر الأصول التي يحتاجها الدارسون والباحثون . وكل ما نرجوه أن نمضي قدماً – بتوفيق من الله وعونه – في خدمة تراثنا العربي ، داعين إخواننا المهتمين بأدب الأندلس وتاريخها – أينما كانوا – الى الإسهام في هذا العمل ، إذ أننا لا ندعي القدرة على الاضطلاع بكل ما تحتاجه المكتبة الأندلسية من خدمات وتضحيات ، وإن كنا آلينا على أنفسنا ان لا نوفر جهداً في هذا السبيل .

وقد كان تحقيق هذا الجزء من المكتبة الأندلسية ثمرة لفضل اخواني المغاربة في الرباط ، الذين أمدوني بثلاث مخطوطات مما يحتفظون به في خزائنهم العامرة ، فأنا أحب أن أسجل لهم هنا اعترافي بجميلهم ، متوجهاً بشكري الخالص الوفير للاستاذ عبدالله الرجراجي مدير الخزانة العامة بالرباط ؛ واما أصدقائي العلماء الأجلاء الأستاذ محمد العابد الفاسي

والاستاذ ابراهيم الكتاني والاستاذ محمد المنوني ، فاني أعجز عن أن أفيهم حقهم من الشكر على الحفاوة التي تلقوني بها في المغرب العربي في صيف عام ١٩٦٢ وعلى المساعدة التي بذلوهـــا من أجلي ، حفظهم الله ورعاهم وجزاهم عني خير الجزاء .

لقد كتب لسان الدين بن الخطيب هذا الكتاب ليهديه للمشارقة ، وانما أقتدي بكرم نفسه حين أهديه — بعد تحقيقه — لاخواني في المغرب ، وانا على يقين من اننا جميعاً نتعاون على خدمة تراث عربي مشترك ، وأن ليس هنالك ما يقال فيه ازاء العاملين في ميدان العلم : هذا تراث مغربي فهو وقف على المغاربة ، وذاك تراث مشرقي فهو وقف على المشارقة ، وقد كنت أرجو لفضل اخواني في المغرب أن لا يقنع لي بالنغبة اليسيرة من معين تراثهم الغزير ، وان لا يستكثروا علي الاخلاص في اظهـــار دورهم في تاريخ الأدب والحضارة العربيين ، وقد كنت — وما أزال — أطمع في كرمهم وعونهم على ما بـين يدي من دراسات تعطل جانب كبير منها لضنّهم بما أعتقد أنه حق للدارسين جميعاً ، ومن الغـبن ان يؤخذ المرء بجريرة غيره ، وأشد الظلم ظلم عبقري ينالك من صديق ، وما سمحت لنفسي بهذا العتاب إلا إبقاء على صداقة أعتز بهـــا ، والله يحفظهم من كل سوء .

بيروت في ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٣

مُقَدّمة

- ١ -

في غرة جمادي الآخرة من سنة ٧٧٣ جاز لسان الدين بن الخطيب الى سبتة ، تاركاً أعباء الوزارة بالأندلس مفارقاً المال والولد والجاه ، فاراً إلى ما يرجوه من حيـــاة هادئة مطمئنة في ظل السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز . وقد كانت هجرته تلك وليدة أزمة نفسية طالت به معاناتها إلى أن وضح له المنهج واستبانت الطريق . وقد كشف هو عن هـــذه الأزمة في عهـد مبكر حين كتب إلى الشيخ أبي عبد الله ابن مرزوق رسالة يعذله فيها على جنوحه إلى خدمة الدولة ونزوعه إلى الدنيـــا ، ويصوّر فيها مكاره الحياة السياسية ومكايدهـــا ؛ وقد علق ابن مرزوق عليها حين قرأها بقوله : « والعجب كل العجب أن جميع ما خاطبني به - ابقاه الله تعالى - تحلى به أجمع وابتلي بما منه حـــذر فكأنه خاطب نفسه وأنذرها بما وقع له ، فالله تعالى يحسن له الخاتمة والخلاص »[1]. ولعل مما زاد في حدة تلك الأزمة النفسية انتشاب لسان الدين في التصوف قولاً

1 - النفح ٧ : ٨٠ .

يحفزه الى الرياضة العملية ، والى التجرد عن الدنيا .

وقد صوّر دواعي هذه الأزمة في رسالته الى الغني بالله سلطان الأندلس حين فارقه ، وفي رسالة الى ابن خاتمة حين عذله على اعتزام الهجرة ، وفي كتابه أعمال الاعلام ، وفي مقدمة الكتيبة الكامنة ، فتحدث عن رغبته في الراحة والذهاب الى مكة وإيثاره للآخرة على الدنيا فقال في رسالته لابن خاتمة : « إني إلى الله تعالى مهاجر ، وللعرض الادنى هاجر ، ولأظعان السرى زاجر ، لنجد — ان شاء الله تعالى — وحاجر »[1] وفي رسالته للغني بالله يقول : « طرقته الافكار وزعزعت صبره الرياح الخواطر وتذكر اشراف العمر على التمام وعواقب الاستغراق وسيرة الفضلاء عند شمول البياض فغلبته حال شديدة هزمت التعشق بالشمل الجميع والوطن المليح والجاه الكبير والسلطان القليل النظير وعمل بمقتضى قوله : موتوا قبل أن تموتوا »[2] .

وكان الذي أيأسه من حياة السياسة وصروفها تغير النفوس عليه لما بلغه من مكانة واستقلال في النظر وبسطة في النفوذ ، فكثرت السعايات وتنكر له من كان هو سبباً في تقريبهم ورفع جاههم ، وسيطر الحسد على بعض النفوس ، ولم يكن هو غافلاً عما يجري من حوله ، فهو يقول في وصف هذه الظاهرة : « وصرت انظر الى الوجوه فألمح الشرّ في نظراتها ، واعتبر الكلمات فأتبين الحسائف في لغاتها ، والضغينة في كل يوم تستحكم والشر يتضاعف ، ونعمة الولد تطلق لسان الحسود ، وشبح الكلاب المطيفة تهيج حسائف النمور الجائعة والأسود ، والأصحاب الذين تجمعهم المائدة كل يوم وليلة يفتنون في الاطراء والمديح وتحسين القبيح والمحاولات في الغيّ

---

١ — النفح ٨ : ١٤٣ .

٢ — التعريف بابن خلدون : ١٤٨ — ١٤٩ .

والتقرب بالسعي ؛ أنظر اليهم يتناقلون الاشارات بالعيون والمغامزة بالجفون والمخاطبة باللغوز ، فاذا انصرفوا صرف الله قلوبهم فقلبوا الامور ونقلوا العيوب وأفسدوا القلوب وتعللوا بالاحلام وقواطع الاحكام »[1] .

ولقد قضى ابن الخطيب في هذا الجو المكفهر فترة من الزمن وهو فريسة للخوف والحذر ، نهبة للتلوّم النفسي والتردد ، وكلما خلا الى نفسه جعل يخاطبها قائلاً : « يا مشئومة ! أما تشعرين لما نزل بك ، حملت هذا الكلّ على ضعفك ، وأوسعت هذا الشغب في فكرك .. وتعرضت لأن تسخطي الطالب الممنوع بخيبته ، وتسخطي المعطى بما يرى انك قد منعته الزيادة في عطيته ، وتسخطي الاجنبي بالقبول على عدوه ... وتسخطي الجاني بانفاذ العقوبة في جنايته ... وتسخطي الجيش باختباره وعرضه ... وتسخطي الرعية باستقصاء الجباية[2] » ... وجاءت اللحظة الحاسمة التي وجد فيها أن الفرار امرٌ محتوم ، وهي لحظة عبرّ عنها لسان الدين « بالعجز » حين قال للغنيّ بالله « ونختم لكم هذه الغزارة بالحلف الاكيد : اني ما تركت لكم وجه نصيحة في دين ولا في دنيا إلا وقد وفيتها لكم ولا فارقتكم إلا عن عجز »[3] ، وهذا التصريح يدلّ على الحقيقة النفسية الكامنة التي كانت تتعلل بالماضي والمستقبل ، أما الماضي فقد لفه لسان الدين في ثوب من الترفع عن الكسب وجمع المال وجعله كله عملاً مخلصاً ممتداً في الزمان ، استطاع فيه أن يؤمن للدولة أسبابها ويطمئن على صاحبه ، بارضاء الجند وعقد المعاهدات مع الاعداء ، وتكثير الاصدقاء ، وأما المستقبل فسوف يكون هجرة إلى الله تعالى وزيارة لمكة وقبر

---

١ ــ اعمال الاعلام : ٣١٦ .

٢ ــ المصدر نفسه : ٣١٥ .

٣ ــ التعريف بابن خلدون : ١٥٢ .

الرسول ، ولكن كلمة العجز كانت تدل على أن لا خيار ثمة ، وان الاضطرار هو القوة الداعية الى التحوّل ، وهوّن الرجل على نفسه مفارقة الأهل والوطن بانه لا يفرّ لذنب اقترفه وانما خلف « الوسائل المرعية والآثار الخالدة والسير الجميلة » وانه – إن فسح الله له في الأجل – يودّ العودة الى وطنه .

ولم يفده الالحاح على سلطانه بأن يأذن له بالسفر فعمد إلى اصطناع جفاء يثير به غضبه ، والسلطان يعد ذلك إدلالاً ويعتذر عما يفعله صاحبه . وعندئذ قرّر لسان الدين أن يخفي أمر فراره ، فاتصل بالسلطان المريني وأخذ منه عهداً بالاقامة في كنفه ، وبتمكينه من الحج والزيارة ، واستأذن الغني بالله في تفقد الثغور « وسار اليها في لمة من فرسانه ، وكان معه ابنه عليّ الذي كان خالصة للسلطان ، وذهب لطيته فلما حاذى جبل الفتح ، فرضة المجاز الى العدوة مال اليه ، وسرح اذنه بين يديه فخرج قائد الجبل لتلقيه ، وقد كان السلطان عبد العزيز أوعز اليه بذلك وجهز له الاسطول من حينه ، فأجاز الى سبتة وتلقاه ولاتها بأنواع التكرمة وامتثال المراسم »[1] . وقد عيره أعداؤه من بعد بفراره وبهذه الخدعة التي اختارها ، فقال القاضي النباهي في ردّه عليه : « ثم وريتم بتفقد ثغر الجزيرة الخضراء ، مكراً منكم ، فلما بلغتم أرض الجبل انحرفتم عن الجادة وهربتم بأثقالكم الهروب الذي أنكره عليكم من بلغه حديثكم – أو يبلغه إلى آخر الدهر – في العدوتين من مؤمن وكافر وبر وفاجر »[2] .

أما بقية التهم التي وجهها النباهي الى ابن الخطيب فتتلخص في إخلاد

---

١ – تاريخ ابن خلدون ٧ : ٣٣٥ ، والنفح ٨ : ٣٠ – ٣١ .
٢ – النفح ٧ : ٥٦ .

هذا الثاني إلى الدنيا بالاستكثار من العقار والبناء ، وأنه إنما هرب من الاندلس لأنه يمد عينيه إلى التمتع بغيرها ، مع أن الاندلس دار رباط لا يستحب للرجل المؤمن أن يتركها إلا الى مكة أو طيبة أو بيت المقدس . وسرد النباهي بعض القضايا التي تدلّ على تدخل ابن الخطيب في نزاهة القضاء ، واتهم لسان الدين بالعبث في « الابشار والأموال وهتك الاعراض وافشاء الاسرار وكشف الاستار واستعمال المكر والحيل والغدر في غالب الاحوال للشريف والمشروف والخادم والمخدوم »[1] ، ولم ينس النباهي أن يوجه الى ابن الخطيب تهمة الطعن في الشريعة والوقوع في جناب الرسول الكريم ، وأنه نقلت عنه في ذلك أشياء منكرة ، وأنه متأثر في ذلك بأستاذه وشيخه المستخفّ ابن هذيل منكر علم الجزئيات القائل بعدم قدرة الرب – جل اسمه – على جميع الممكنات .

وما كان القاضي النباهي إلا واحداً من أولئك الذين أرصدوا العداوة والشنآن لابن الخطيب ، ولعله أثار عليه كثيراً من القلوب ، بما يروجه من نقد لتصرّفاته ، وكذلك كان تلميذه ابن زمرك من أشد الناس طعناً عليه وكيداً له ، ومثلهما في ذلك ربيبه أحمد بن سليمان بن فركون ، – في أغلب الظن – وغير هؤلاء ممن كان لسان الدين قد رشحهم للمناصب ومكنهم منها ، وكان هذا كله في نظر لسان الدين تنكراً للجميل ، وعضاً ليد المحسن الكريم ، ولذلك عبّر عن موقفه من الحياة السياسية بالعجز وآثر الفرار . فوصل الباب العزيزي – أي باب السلطان عبد العزيز – بتلمسان في ١٩ رجب سنة ٧٧٣ : « فتلقاني بما يليق بحسبه وشرف مذهبه : من اركاب الحجبة ورعي الوسيلة ودنو الجلسة واجراء

---

١ ـ المصدر نفسه : ٥٥ .

النعمة » . وكتب الى سلطان الأندلس في استقدام اولاد ابن الخطيب وأهله ، فأرسلهم اليه .

إلا ان السعاية ضده لم تفتر ، وذلك – حسبما يعتقد لسان الدين – كي يأمن اعداؤه عودته الى الأندلس ، ومال السلطان الى رأي الوشاة والأعداء فقام النباهي باصدار فتوى توجب حرق كتب لسان الدين لأنها تنطوي على الزندقة فحرقت ، وصودرت أملاكه ، واستحث السلطان المريني على تسليمه لاجراء العقوبة عليه بسبب الالحاد فأبى ، وقال لرسل ابن الاحمر : « هلا أنفذتم فيه حكم الشرع وهو عندكم ، وأنتم عالمون بما كان عليه » . ويقول لسان الدين في التعليق على هذه الحال [١] : « وكنت لغروري بالزمان ، وثقتي منه بالأمان أظن ان لا سبيل للدهر علي ، ولا تطرق له إلي ، وأن مفارقتي لمن بالأندلس انما هي مفارقة أب لولد ، وقلب لخلد ، وان عقاري الموروث والمكتسب جار مجرى الوقف الذي لا يبدل ، وصريح الشريعة الذي لا يتأول ، وان فوائــــده تلحق بي حيث كنت من المعمور ، ، فلا أكلف رزقاً جهداً لغرور » [٢] .

– ٢ –

توفي السلطان ابو فارس عبد العزيز أو « دك الجبل العاصم من الطوفان ، والممسك للارض عند الرجفان » في شهر ربيع الآخر سنة ٧٧٤ هـ . وانتقل ابن الخطيب من تلمسان الى فاس مع الوزير ابي بكر ابن غازي الوصي على

---

١ – تاريخ ابن خلدون ٧ : ٣٣٥ .
٢ – اعمال الاعلام : ٣١٩ – ٣٢٠ .

السلطان الإبن — لم يحج كما انتوى حين هاجر من الأندلس ، ولم يعتزل الدنيا والحياة السياسية ، بل انه حين أقام بفاس استكثر من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنات [١] وأخذ يستغل الحال التي تمخضت عنها الأزمة النفسية والهجرة استغلال المؤلف الذي لا يزال مورّط الخواطر في العداوة الفردية وفي التقلبات السياسية .

ففي حياة السلطان عبد العزيز ألف له كتابه « المباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية » يذكر فيه نباهة سلفه وما لهم من المجد ، وقصده الرد على أهل الأندلس المجاهرين له بالعداوة القادحين في فخر سلفه [٢] . وألف للسلطان المذكور كتاباً آخر سماه : « خلع الرسن في التعريف بأحوال ابن الحسن » جمع فيه نوادر وحكايات عن النباهي ، وقال في وصف الكتاب « إنه لا شيء فوقه في الظرف والاستطراف يسلي الثكالي ، ونستغفر الله تعالى » [٣] .

وفي جمادي الآخرة من سنة ٧٧٤ كان يكتب كتابه هذا الذي سماه : « الدرر الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة » ، أي كان تأليفه له بعد نحو ثلاثة أشهر من وفاة السلطان عبد العزيز [٤] وسأتحدث

---

١ — تاريخ ابن خلدون ٧ : ١٠٨

٢ — النفح ٧ : ١٠٨ .

٣ — المصدر نفسه .

٤ — اخطأ الاستاذ محمد عبد الله عنان حين ظن ان هذا الكتاب من اوائل مؤلفات ابن الخطيب وانه وضعه في شبابه ولما يتجاوز الخامسة والعشرين (انظر مقدمة الاحاطة ١ : ٦٩) وانما الذي اوقعه في الخطأ ان النسخة الخطية بالجزائر تحمل فيما يقوله كوديرا تاريخ سنه ٧٣٨ ، هذا مع ان لسان الدين ذكر في درج كتابه ، تاريخ العمل في ذلك الكتاب . وعلى هذا فهناك وهم لا ادري من اين جاء أهو من ناسخ نسخةالجزائر او من الاستاذ كوديرا او من الاستاذ عنان ، ومن المعقول ان تكون نسخة الجزائر قد كتبت عام ٧٨٣ اي بعد سنوات قليلة من وفاة المؤلف (او ٨٣٧) ولا يمكن بحال ان يكون التاريخ ٧٣٨ صحيحا .

بعد قليل عن هذا الكتاب حديثاً مفصلاً .

ولما توفي السلطان ابو فارس عبد العزيز وأصبح الامر بيد ابن غازي الوزير صديق لسان الدين والوصي على ابن صغير من أبناء السلطان هو ابو زيان محمد السعيد ، كثرت القالة في الوزير لأنه بايع صبياً وقال الطامحون والمعترضون في الاندلس والمغرب ان البيعة له لا تجوز فألف لسان الدين انتصاراً لصديقه كتاب « أعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام »[1] وفيه يقول رادّاً على أهل الاندلس : « فمتى نبس أهل الاندلس بانكار بيعة صبي صغير ، أو نيابة صاحب أو وزير فقد عموا وصموا ، وخطروا بربع الانصاف فأعرضوا وما ألموا ، وبما سنوه لغيرهم ذموا »[2] .

كل هذا وابن الاحمر لا يفتر عن المطالبة بابن الخطيب وقد فسد ما بين البلاطين – بلاط غرناطة وبلاط فاس – بسبب تمسك الوزير ابن غازي بحماية صديقه وعدم اسلامه إلى أعدائه ، واتصلت كتب ابن زمرك بأبي العباس المستنصر ووزيره محمد بن عثمان تحثه على الثورة وخلع الصبي اواسط عام ٧٧٥ ، وانتصر ابو العباس في هذه الحركة في اوائل ٧٧٦ ، فتحقق لبلاط غرناطة ما يريده ، إذ قبض السلطان الجديد على لسان الدين ، وأودع السجن ، وأرسل الخبر بذلك الى ابن الاحمر ، فأرسل كاتبه ابن زمرك إلى فاس ، وعقد لابن الخطيب مجلس وبخ فيه وعذب على مشهد من الملأ ، ثم دسّ له أحد مبغضيه من قتله في السجن خنقاً ثم طرح في اليوم التالي

---

١ – سماه المقري : اعلام الاعلام بمن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلام (النفح ٧ : ١٠٧) ثم اورد اسمه كما ذكرناه هنا (٩ : ٣٠٧) .

٢ – المصدر نفسه .

وقد جمعت حول جثته أعواد واضرمت عليه نار فاحترق شعره واسودت بشرته ثم اعيد الى حفرته ، بمقبرة باب المحروق بمدينة فاس[1] .

- ٣ -

قلت إن ابن الخطيب كان يكتب « الكتيبة الكامنة » في جمادى الآخرة من عام ٧٧٤ ، وعمدتي في ذلك ما قاله هو في كتابه (الورقة : ٨٥ ب) : « وكل من ذكر الى هذا الحد من المشايخ والاتراب ، قد تسابقوا تسابق العراب الى التراب ... ومن يجري ذكره بعد هذا فهم بقيد الحياة لتمام جمادى الآخرة عام أربعة وسبعين وسبعمائة » . وتدل مقدمته للكتاب أيضاً على انه كتبه وهو في سن عالية ، وأنه كان قد تخلى عن الحياة السياسية واستكمل دوره : « واستوعبت من صحبة المغرب حصتي ، وختمت بالدعاء قصتي ، ونزلت عن منصتي ، وابتلعت غصتي » .

لكن يبقى هنالك إشكال لا بد من إثارته ، وهو ان لسان الدين ذكر كتابه : « الكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة » في ثبت كتبه الذي أورده في كتاب الإحاطة[2] . ونحن نعلم أن ابن الخطيب بدأ تأليف الاحاطة في دور مبكر من حياته لعله يرقى إلى عام ٧٥٥ هـ . إلا أن هذا الاشكال ينتفي اذا نحن تذكرنا ان الاحاطة لم يكتب دفعة واحدة ، فحتى سنة ٧٦٣ كان ابن الخطيب قد جعله في مجلدات ستة ،

---

١ - تاريخ بن خلدون ٧ : ٣٤١ والنفح ٧ : ٣٨ - ٣٩ .

٢ - النفح ٨ : ٣٠٣ .

قال ابن الأحمر : « ولما عاد ابن الخطيب الى الاندلس بعودة جدنا الغني بالله تعالى الى ملكه عام ثلاثة وستين وسبعمائة ، تلاحقت الفروع من كتاب الاحاطة بالأصول ، وأنجز من التبحر فيه الوعد المطول ، ووضعت بخانقاه سعيد السعداء النسخة المتممة من اثني عشر سفراً »[1] . وفي تراجم الاحاطة ما يشير إلى ان المؤلف ظلّ يضيف اليها حتى عام ٧٧١ هـ . ولا نستبعد أن يكون قد زاد فيها بعد ذلك ، وكان مما زاده في ترجمته بعض ما جد من كتبه بعد هجرته من الأندلس .

غير أن المقري بعد أن نقل أسماء كتبه من الاحاطة ، عاد يقول : ولنذكر ما تأخر تاريخه عن الاحاطة أو أشير إليه فيها مجملاً ... وذكر في جملة هذه الكتب كتاب « الكتيبة الكامنة في **شعراء** المائة الثامنة » ، فأنت ترى أن هذا الكتاب يذكر مرة في الاحاطة ، ويذكر مرة في ما تأخر تأليفه عن الاحاطة مع تغيير في الاسم ، ففي المرة الاولى ذكر كلمة « ادباء » وفي المرة الثانية لفظة « شعراء » ، فهل الاشارة إلى كتابين أو كتاب واحد ؟ إن لسان الدين لم يهتم في الكتاب الذي بين أيدينا بنثر من ترجم لهم وإنما اهتم بايراد أمثلة من أشعارهم . ومع ذلك فاني أستبعد أن يكون قد ألف كتابين باسم « الكتيبة الكامنة » ، واذا كان اهتمامه بالنثر قليلاً فما ذلك إلا لأنه دوّن قسماً كبيراً من هذا النثر في كتبه الأخرى . أما تغيير العنوان والتصرف به بعض تصرف ، فأمر مألوف كثيراً ، وها هو المقري نفسه يورد اسم الكتاب مرة ثالثة على النحو الآتي : الكتيبة الكامنة في أبناء المائة الثامنة[2] » .

---

١ ـ المصدر نفسه : ٣١٤ ، وهذه النسخة المذكورة قد أودعت في الخانقاه سنة ٧٦٨ هـ . (انظر النفح أيضاً : ٣١٢) .

٢ ـ النفح ٧ ـ ٦٦

ويبدو ان تأليف هذا الكتاب انما اقترن بازماع ابن الخطيب ان يؤدي فريضة الحج ، وانه لذلك تحدث في خطبة الكتاب عن استنفاده نصيبه من المغرب ، وانه صرف الى المشرق وجهه ، وأخذ يمني النفس برؤية المشاهد الكريمة ، والمعاهد التي طاب ثراها « نسأل الله ان يتم علينا فضله باحتلالها ، وتسكين الأشواق في ظلالها » ثم يقول معتذراً عن هديته هذه التي يحتقبها الى المشرق : « وان كان كل جالب مثل هذا إلى البلاد المشرقية — أعز الله أهلها ، وأمن حزنها وسهلها — جالب نغبة الى غدير ، وحبابة الى كأس مدير » [1] . فالكتاب في صورته العامة « تقرير » يقدمه ابن الخطيب الى المشارقة معرفاً بشعراء الأندلس المعاصرين على مثـــال مـا فعل ابن سعيد وابن اليسع وابن دحية من قبل : « فجمعت في هذا الكتاب جملة وافرة ، وكتيبة ظافرة ، ممن لقيناه في بلدنا الذي طوينا جديد العمر في ظله ، وطاردنا قنائص الآمال في حرمه وحله ما بين من تلقينا افادته ، أو أكرمنا وفادته ، وبين من علمناه وخرجناه ، ورشحناه ودرجناه ، ومن اصطفيناه ورعيناه ، فما أضعناه » [2] . وفي هذه النية غرض كامن ، تدل عليه هذه الكلمات المقتبسة ، وذلك ان الكتاب شهادة لابن الخطيب نفسه ، بما كان له من مكانة وما أثار من نشاط أدبي ، وما أفاض على غيره من فضل ، إذ يكاد يكون محور هـــذا الكتاب هو ابن الخطيب نفسه ، ممدوحاً أو متفضلاً أو مثيراً الى القول أو مواجهاً بنكران الجميل .

ثم إن لسان الدين كان قد كتب في عصر الشباب كتابه « التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى » وفاته أن يذكر فيه بعض من لم يكن بلغه شيء

---

١ — الورقة : ٣ ب .
٢ — الورقة : ٣ أ .

من انتاجه ، أو من شب في خدمة الأدب ، بعد تأليف ذلك الكتاب فجاء كتاب الكتيبة الكامنة زيادة تعريف أو صلة للكتاب الأول ، وان اعتمد لسان الدين على التاج نفسه في ذكر بعض التراجم المكررة ، كما اعتمد على كتاب له آخر اسمه « الاكليل الزاهر » فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر » فكتاب الكتيبة مع هذين الكتابين ومع رابع سمّاه « النقاية بعد الكفاية » كلها تمثل جانباً من جهد ابن الخطيب في تراجم الشعراء وإيراد نماذج من أشعارهم . وتلتقي هذه الكتب الأربعة في أنها تعتمد السجع محاكاة لما صنعه الفتح ابن خاقان في القلائد والمطمحين [1] .

على أني ألمح عاملاً آخر قوياً حدا على تأليف هذا الكتاب وهو رغبة لسان الدين في ان يعيد النظر في تقدير الأشخاص الذين تنكروا له مثل القاضي النباهي وابن فركون وابن زمرك وأبي القاسم بن قطبة الدوسي ، وأن يكيل لهم من الذم ما يشفي به بعض غليله ، ويصحح آراءه التي سجلها فيهم من قبل في الاحاطة وغيرها من كتبه ورسائله ، وحسبك أن تقارن مثلاً بين ما كتبه في ظهير بتولية ابن الحسن القضاء وفي ترجمته له في الاحاطة وفي الاشارات التي دوّنها عنه في مواضع اخرى منها [2] وبين ترجمته في الكتيبة « لجعسوس » [3] حتى ترى مبلغ التغير الذي أصاب نظرة ابن الخطيب نحو صديق قديم ، ومثل ذلك

---

١ – انظر كلام المقري عن هذه الناحية في النفح ٨ : ٣٢٦ .

٢ – انظر الظهير في النفح ٧ : ٥٩ ، وقد ذكر ابن الحسن في ترجمته للسلطان محمد بن يوسف بن نصر (الاحاطة ٢ : ١٩) فقال : ثم قدم الفقيه القاضي الحسيب ابا الحسن علي عبد الله بن الحسن عين الاعيان ببلدة مالقة والمخصوص برسم التجلة والقيام بوظيفة العقد والحل بها في الدولة الاولى . . . فسدد وقارب وحمل الكل واحسن فصاحة الخطبة واكرم المشيخة وارضى ، واستشعر النزاهة ، ولم يقف في حسن التأتي عند غاية . . . الخ

٣ – هي الترجمة رقم : ٥٠ في هذا الكتاب .

موقفه من سائر الاشخاص الذين تنكروا له وتآمروا عليه . واذا كان ابن الخطيب ملوماً من الزاوية التاريخية فاولئك الاشخاص يتلقون قدراً مكافئاً من اللوم . هذا ابن زمرك الذي حرق البخور الكثير على أعتاب استاذه تحين كل فرصة بعد تغيير الحال لينحي عليه بالذم في قصائده ويعرّض به تقرباً الى السلطان ؛ إنها أزمة لم تحرق ابن الخطيب وحده بنارها بل حرقت خصومه أيضاً .

ترجم ابن الخطيب في كتاب الكتيبة الكامنة لثلاثة اشخاص ومائة جعلهم في قسمين كبيرين : الذين قضوا نحبهم قبل تأليف الكتاب (من رقم ١ — ٨٤) والذين كانوا ما يزالون على قيد الحياة عند تأليفه (من رقم ٨٥ — ١٠٣) . وفي هذه القسمة شيء من التجوز فان بعض الذين ترجم لهم في القسم الاول عاشوا بعد وفاة الخطيب نفسه مثل القاضي النباهي . ثم قسم المترجمين حسب ما غلب على كل واحد منهم فجاءوا في الطبقات الآتية :

١ — طبقة الخطباء والصوفية (١ — ١٩) وحظهم في الاجادة قليل .

٢ — طبقة المقرئين والمدرسين (٢٠ — ٣٠) وهم اقل شأناً من الطبقة السابقة في باب الشعر .

٣ — طبقة القضاة (٣١ — ٥٤) وهي طبقة منحطة في البيان لاقتصار مداركها على علوم الاديان ويندر فيها المجيد .

٤ — طبقة من خدم ابواب الامراء من الكتاب والشعراء (٥٥ — ١٠٣) وربما كانوا متميزين بالاجادة اكثر من افراد الطبقات السابقة .

واذا قارنا هذا العدد بما احتواه « التاج المحلى » وجدنا ان الكتيبة تنقص عن التاج بمقدار سبعة تراجم ، فهل هذا كل ما ادرجه لسان الدين في الكتيبة ؟ ان النسخ التي اعتمدناها في تحقيقها لا تختم بشيء يشير الى

نهاية الكتاب ، وقد ورد في هامش آخر ورقة من النسخة ك : « يوجد في الاصول المكتوب منها بطرتها ما نصه : « الى هنا توجد هذه الكتيبة ولعلّ مؤلفها اخترمته المنية قبل تمامها ، والله تعالى أعلم » .
لعل لسان الدين لم يشغل عن اتمام الكتيبة لأنه عاش ليكتب بعدها أعمال الاعلام ، وانما تقاعس عن اتمامها لأن رحلته الى المشرق لم تتمّ ، وفترت حماسته بفقدان الغاية الاولى التي ألف الكتاب من أجلها ؛ ثم اذا صحّ أن نسخ الكتيبة جميعاً تقف عند الترجمة رقم : ١٠٣ فلعلّ المؤلف شاء أن يتركها دون خاتمة لأنه عهد الى ابنه عبد الله أن يكملها فقد قال في ترجمة ابنه هذا : « فحسبي أن أقدم منه على تذييل هذا الكتاب بعدي وكيلا ، يوفي منه مكيلا ، وينكل الحسدة تنكيلا » [1] .

— ٤ —

واذا كان كتاب الكتيبة ، لقيامه على السجع ، قليل الفائدة من الناحية التاريخية الاخبارية ، اذا نحن قارناه بكتاب الاحاطة ، فانه يقدم لنا صورة عن جانب من الحياة الأدبية في القرن الثامن بالاندلس ، وعن الاتجاهات التي كان الشعر يسلكها حينئذ ، واذا لمس القارىء ضعف النماذج الأدبية فليذكر ان هذا الشعر حصيلة القرن الثامن ، وليحاول أن يستعيد الى ذاكرته صورة الشعر في هذا القرن في المشرق نفسه ، فانه يكون حينئذ أقرب الى الانصاف في حكمه .

---

١ ــ انظر الترجمة رقم : ٩٤ .

وليس يستقلّ كتاب الكتيبة الكامنة باعطاء صورة عن الأدب الاندلسي حينئذ لأنه ليس إلا حلقة واحدة من عدة حلقات إذا نحن جمعناها معاً تكاملت جوانب الصورة واصبحت أتمّ واوضح ، ومن تلك الحلقات مؤلفات لسان الدين الاخرى كالتاج والاكليل والنقاية والاحاطة وعائد الصلة ونفاضة الجراب . ولكن لسان الدين لا يستقل بالاحساس بعصره وبالتوفر على تدوين ظواهره الادبية — وان تميز بالاكثار من ذلك— بل لعلّ القرن الثامن في الاندلس والمغرب كان عصر هذا الشعور بالتاريخ المعاصر يومئذ ولا بدّ لمن شاء أن يستكمل صورته من الوقوف على حلقات اخرى تمثلها المؤلفات الآتية :

١ — فهرسة أبي عبد الله الحضرمي .

٢ — فهرسة أبي زكريا السراج .

٣ — المؤتمن في أنباء من لقيه من أبناء الزمن لأبي البركات ابن الحاج.

٤ — نثير فرائد الجمان في من نظمني وإياه الزمان لابن الاحمر .

٥ — تراجم المعاصرين من أبناء القرن الثامن في المرقبة العليا للنباهي ومزية المرية لابن خاتمة .

٦ — كتب مفردة في التراجم مثل « التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً » لابن خلدون نفسه ، والبقية والمدرك من شعر ابن زمرك لابن الأحمر ، وتنبيه الساهي على طرف النباهي ، وخلع الرسن في أمر القاضي ابن الحسن لابن الخطيب ، وأشباهها . هذا عدا الكتب التاريخية الجامعة الهامة .

وبين هذه الحلقات لا بد أن يكون للكتيبة الكامنة مقامه في دراسة الحياة الأدبية بالاندلس والمغرب في القرن الثامن الهجري .

٥ -

وقد قمت بتحقيق هذا الكتاب على ثلاث نسخ :

(١) النسخة « ك » وهي رقم 2291 بالمكتبة الكتانية . كتبت بخط مغربي واضح جميل ، مشكول بعض شكل ، جيدة الضبط وعلى هامشها رواية من نسخة أخرى تتفق في بعض صورها مع النسخة التالية ، وتقع في ٢١٢ صفحة ، تحتوي كل صفحة على ٢١ سطراً ، والبياض فيها قليل . وقد اعتمدتها في أغلب القراءات ..

(٢) النسخة د وهي رقم 132 بالخزانة العامة بالرباط ، وخطها مغربي جميل ، وتقع في ٢١١ صفحة وهي أيضاً جيدة الضبط ، ولولا ان النقص في مواطن منها أكثر مما هو في الأولى لكانت أحق ان تعتمد .

(٣) النسخة ج وهي رقم 56 ج بالخزانة العامة بالرباط ، وتقع في ٢٣٥ صفحة ، وتتفق مع ك كثيراً ، إلا أن المواضع التي تعسر قراءتها من ك قد تركت فيها بياضاً ، ولذلك كانت أقل قيمة من النسختين السابقتين ، ولعلها اشتركت مع ك في الأصل الذي نقلت عنه النسختان .

وبعد ان قمت بالمقارنة بين هذه النسخ عرضت الكتاب على المصادر المتيسرة وزودته بالتعليقات التي وجدتها لازمة ؛ راجياً بتقديمه المشاركة بشيء من الجهد المتواضع في بعث أثر من آثار ابن الخطيب ، التي تمثل « مكتبة » كاملة ، تستحق العناية والاهتمام والنشر العلمي المحقق .

احسان عباس

مراجع التحقيق

الاحاطة في أخبار غرناطة جـ١ تحقيق الاستاذ محمد عبدالله عنان ط. دار المعارف بمصر.

الاحاطة « « « (الجزء ١ ، ٢) ط. مصر ١٣٢٩ .

أعمال الأعلام تحقيق الاستاذ ل. بروفنسال ، ط. بيروت ١٩٥٥ .

اللمحة البدرية في الدولة النصرية ط. السلفية ١٣٤٧ .

أزهار الرياض (١ – ٣) للمقري تحقيق الاستاذ السقا والأبياري وشلبي ، لجنة التأليف ١٩٣٩ ، ١٩٤٢ .

نفح الطيب (١–١٠) للمقري بعناية الشيخ محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة التجارية ١٩٤٩ .

الديباج المذهب لابن فرحون ط. مصر .

نيل الابتهاج (على هامش الديباج) .

نيل الابتهاج للتنبكتي ط. فاس .

بغية الوعاة للسيوطي ط. الخانجي بمصر .

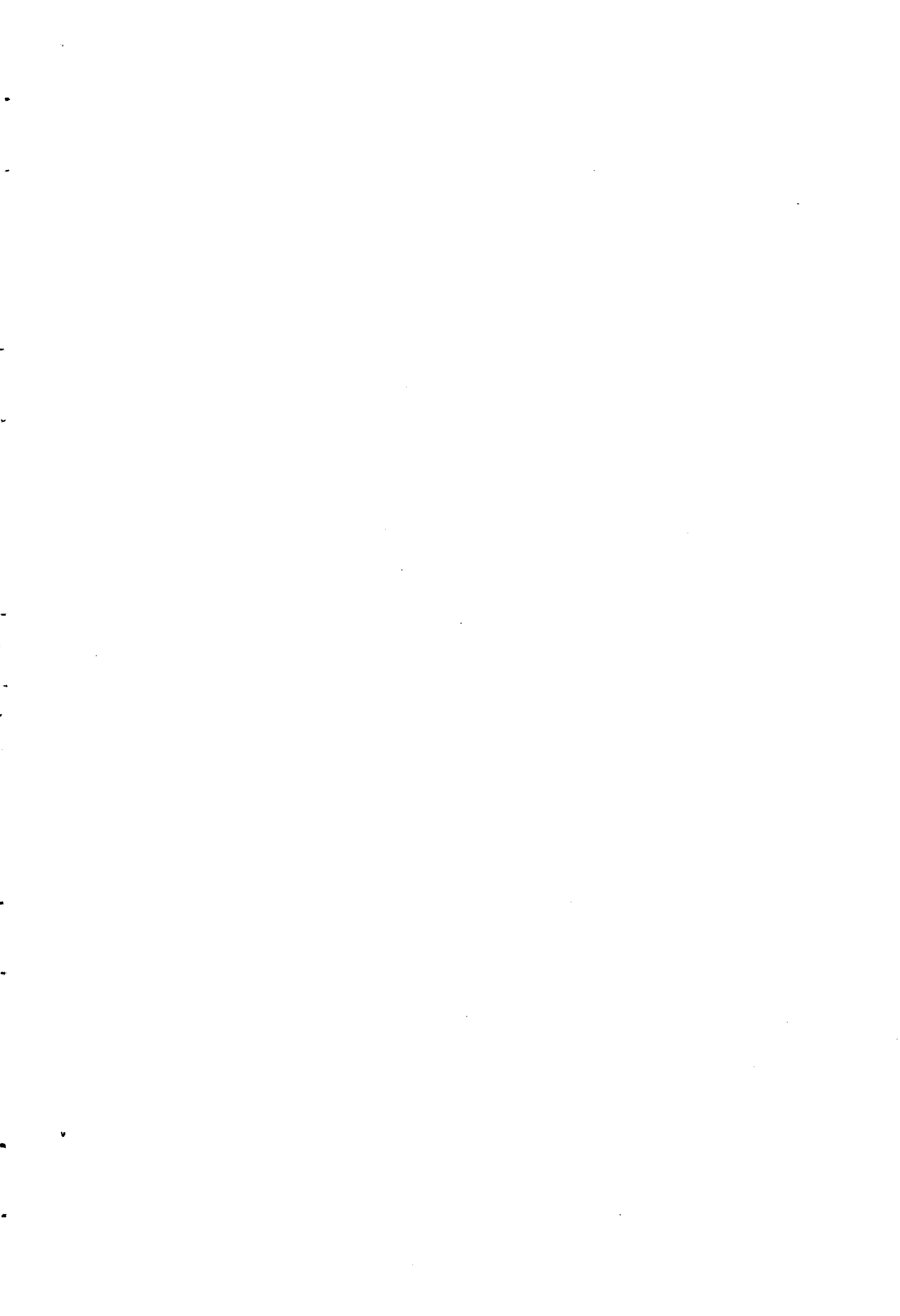
المرقبة العليا للنباهي تحقيق الاستاذ ل. بروفنسال ، ط. دار الكاتب المصري .

الدرر الكامنة لابن حجر ط. حيدر آباد الدكن .

التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً تحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي ط. لجنة التأليف ١٩٥١ .

رحلة البلوي المسماة تاج المفرق في تحلية علماء المشرق (نسخة خطية رقم ١٠٧٥ جغرافيا بدار الكتب المصرية)

مسالك الأبصار للعمري (جـ ١١) نسخة خطية رقم ٢٧٩٧ بمكتبة طوبقبو سراي .



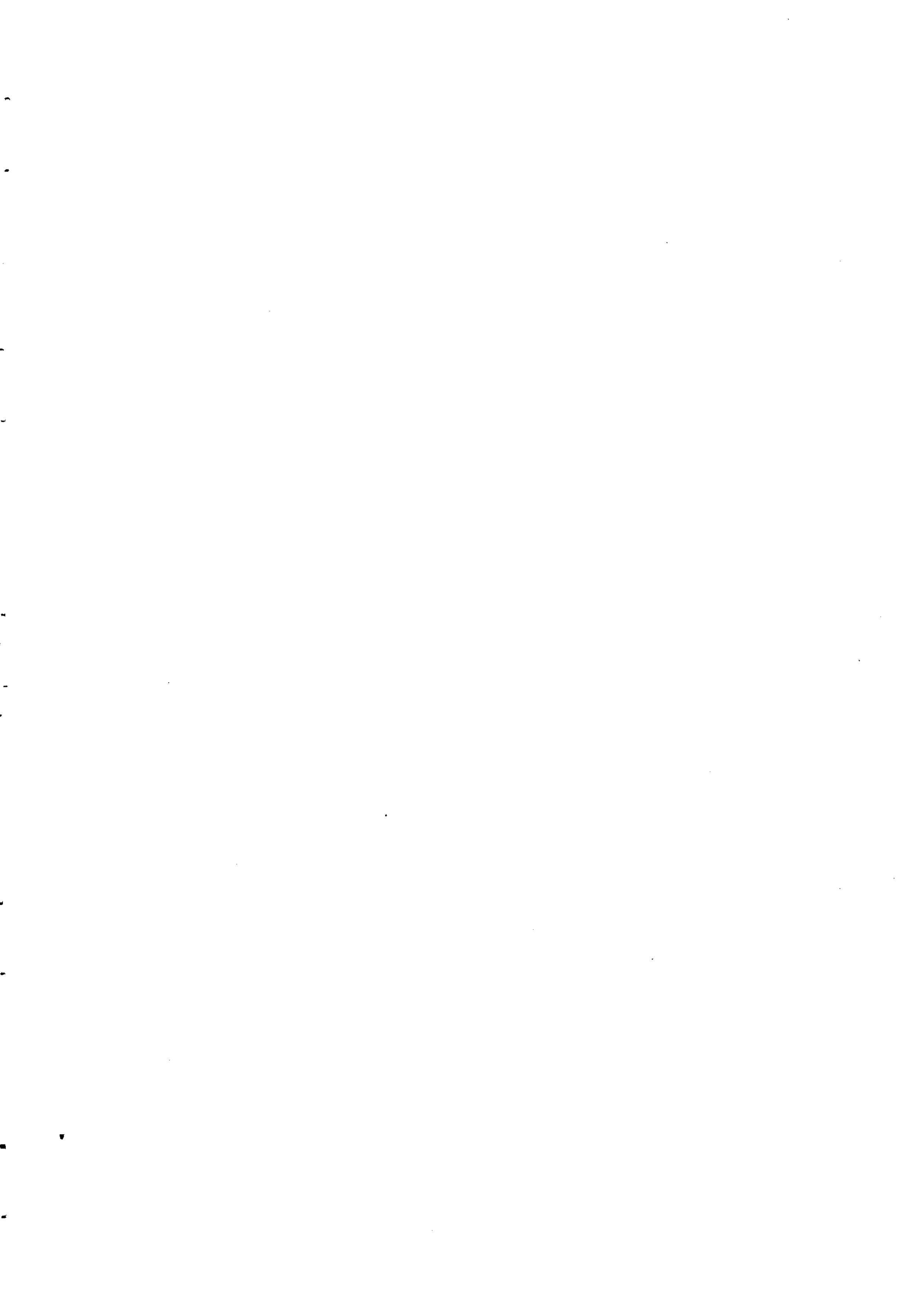


وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

[اللهم الاعانة على التمام بجاه سيد الأنام ،
عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام] (١) .

---

(١) هامش ك .



الحمد لله الذي جعل الأدب في جميع ما للفنون مـــن الاسواق ، فاكهة شهيّة الأذواق ، تهدى في الأطباق ، مكللة بالاحداق ، وريحاناً عطر الانتشاق ، في انوف عشاق الكمال واكرم باولئك العشاق ، وجعل بينــه وبين النفوس الرقاق نسباً ثابت الاستحقاق ، والصلاة والسلام على مولانا محمد رسوله سيد ولد آدم على العموم والاطلاق ، الذي أُوتي جوامع الكلم ومكارم الاخلاق ، والرضى عن اصحابه وآله نجوم ملته الباهرة الاشراق ، لهداية الطرّاق ، ما أقامت الذكرى أسواق الأشواق ، فضاقت عـــن الزفرات مسالك الاطواق ، وما خفقت جوانح القلوب من الاشفاق، عند هبوب النسيم الخفاق .

اما بعد فانني لما استوفيت اوطاري ، واستكملت ادواري ، وتشوفت ظلمي الى مطالع انواري ، واستوعبت من صحبة المغرب حصتي ، وختمت بالدعاء قصتي ، ونزلت عن منصتي ، وابتلعت [٢ ب] غصتي ، ومن بعـد ان لبست دنياه فأَخلقْت ، وبنيت بمبانيه المشيدة وَطلقْت ، ولبيت بمواقيت جهاده واهللت ، وحللت من ملوكه حيث حللت ، ومن مآزق العربدة تسللت ، واستعادتني الدنيا فتجنيت وتعللت ، وأخبرتها اني قـد مللت واملت ، ولم يبق للشهرة مرقب الا ركزت فيه راية خافقة ، ولا للفخر مذهب الا كتبت فيه آية ناطقة ، حمداً لربي الغني الحميـد ، المنوه بالعدم حتى يذكر ، المشيد به فتراه يحمد ويشكر ، ويعرف فلا ينكر ، صرفت الى المشرق وجهي والعشية قد ضاقت ، والعمرة قـــد افاقت ،

والخوف من توقع القواطع شديد ، ومجـال التقية من فوات البقية [1] عريض مديد ، لكن الأمل يشب مع الشيبة ، وعين الحريص تعمى عن تصور الخيبة ، والطمع يحث على انتهاز الفرصة ، قبل أفول القرصة ، والنفس تقول : قنعنا ولو بألمام ، وطل عن غمام ، وبسلام من طويل كلام ، ومن لنا بالنظر الى تلك الوجوه المشرقـة المقسمات ، السافرة عن كرائم السمات ، من قبل الممات ، واجتلاء تلك المعاهد التي طاب ثراها ، والمشاهد التي راق مرآها ، نسأل الله تعالى أن يتم علينا فضله باحتلالها ، وتسكين الأشواق في ظلالها ، ويقر العيون باجتلاء جمالها ، والنفوس ببلوغ آمالها ، من خير [2] كمالها .

ولما وقع العزم ، وكاد يحذف العلل الجزم ، وكاد الرسم ان يطوق القادم محل وسطه بتحفة قدوم ، أو رائحة محروم ، على قدر حاله ، ووسيع انتحاله ، وبضائع رحاله ، وموازين خصبه أو إمحاله ، فتح بين يديه أبواب الادلال قبل الاختلال ، وتسبب الوسائل الى أمد الكمال ، ومطاوي الآمال ، وكنا أرقنا بقايا المزاد ، ونفضنا [٣ آ] ...[3] في الطريق فضلات الزاد ، وردنا على الدنيا بعـد الشبع من طحين ثفالها ، وملء اليدين من ثقالها ، ما بقي من أوضاع احتفالها ، ورفعنا مخفـفَ القماش فوق أكفالها ، وأزمعنا وداعهـا طوعاً لا اضطراراً ، وأقرضنا صاغيتها فراراً وازورارا ، ولم نتبـع حولهـا الالتفات ، ولا أغرينا — والحمد لله — الندم على ما فات ، فجعلت الهدية ، من جنس ما تتشوف اليـه النفوس الغنية ، وتتجر في أسواقه الهمم السنية ، من

١ — ج : البغية .

٢ — ك : أخير .

٣ — بياض بقدر كلمة في د ج ك .

وضع يستطرف ، أو اختراع اليــه يستشرف ، وأثر يدل على طور المتوسل ، وطريقة المتعرف المسترسل ، يظهر منه مصرف عنايته ، وشرح كنايته ، وبيان دعايته ، ومرعى رعايته ، ويتبين ما وراء صحيفته من عنوانه ، ويخبر بذلك عن تفصيل ديوانه ، وينوب مكتوبه عن لسانه ، فيما ينتحل من إحسانه ، فجمعت في هذا الكتاب جملة وافرة ، وكتيبة ظافرة ، مما لقيناه ببلدنا الذي طوينا جديد العمر في ظله ، وطاردنا قنائص الآمال في حرمه وحله ، ما بين من تلقينا إفادته ، أو اكرمنا وفادته ، وبـين من علمنـاه وخرجنا ، ورشحنـاه ودرجناه ، ومن اصطفيناه ورعيناه ، فمـا أضعناه ، بعـد ان وصفنا كل واحد منهم وحليناه ، وبما تولاه الله تعالى تولنياه ، إذ لا يلزمنا ان ننحل الكمال لمن لم يكمله مكـمّل الذوات ، ومخوّل الأدوات ، فننتحل الكذب لغير ضرورة مبيحة ، ونتحمل المشقة لا لتجارة ربيحة ، والمقصود انما هو إلمام بتعريف ، وجلب ادب ظريف ، وخبر طريف ، بل التماس انعـام ممن يقف عليه وتشريف ، وان ينظر النقص بعين كماله ، ويعذر المهدي في تقصيره واسهاله ، فالله تعالى لا يكلف العبد من أعماله فوق احتماله .

وسميت هذا الوضع **بالكتيبة الكامنـة فيمن لقيناه** [٣ ب] **بالاندلس من شعراء المائة الثامنة** ، يستدل به من يباشره ، على نبـل من كنا نعاشره ، ويقف من يدارسه ، على فضل من كنا نمارسه ، وان كان جالب مثل هذا الى البلاد المشرقية أعزَّ الله أهلها، وأمَّنَ حزنها وسهلها ، جالب نغبـة الى غدير ، وحبابة الى كأس مدير ، فالعذر الى الوسع مصروف ، ولا تجود[1] يد إلا بمـا تجد — مثل معروف ، ولو كانت

---

١ — ج ك : ولا تجد .

الهـدايا التي تجلب الى ابوابهم ، لالتزام ثوابهم ، يشترط فيهـــا المماثلة لمحالهم [1] العالية ، والمناسبة لاقدارهم الغاليـة ، لسد الباب ، وعجزت الالباب ، وتقطعت – ونعوذ بالله تعالى – تلك الأسباب ، ومثلهم من على المسامحة جُبل ، وقـد أهدت قبرة الى سليمان عليه السلام جرادةً فقبل ؛ وهم اهل المزايا الفاخرة [2] ، واولو الدنيا والآخرة ، ومعــدن الكمال ، ومُعَرّفُ وجوه الآمال ، وصل الله لهم عوائـــد الاجلال ، ومتعهم بما وهبهم من حسن الخلق وفضل الخلال .

وقد كنت جمعت في الزمان [3] المنصرم ، قبل ان يرسل الله تعالى على شبابنا سيل العرم ، وقبل ان يعتاض الشباب بحال الهرم وقلق البرم ، مائة شاعر وعشرة ، وسميته **بالتـاج المحلى في مساجـلة القدح المعلى** ، وربما تخلل ذلك من تأخر عن مولدي أجله ، ممن ارحله عن الوطن [4] عجله ، وبلغني مُرَوّاه ومرتجله ، وربما دعوت الى هذا المدعى بعض من حضر الأول ، والقيت بيده ما كان من الحلي قد تحول ، او شذ نادر لا يعتدُّ به ممن لم أحقق وفاته ، ورامه هذا الغرض فما فاته . وها أنا أنسقهم على ترتيب مقرر ، وتبويب محرر ، وأضيف الرجل الى ما غلب عليه من انتحال ، وعرف به في كل حال ، وألاحظ احوالهم بحسب الزمان والمكان ، واقرب ذلك جهد الامكان ، ان شاء الله [٤ آ] تعالى .

---

١ ـ ك : الصلوح بمحالهم ؛ ج : بمحالهم وفي مكان « المماثلة » بياض .

٢ ـ ك : المفاخرة .

٣ ـ في الزمان : سقطت من ك .

٤ ـ ج : الطريق .

- ١ -

فمن الخطباء الفصحاء ، والصوفية الصلحاء :

قلت : وهذه الطبقة أهلها اعلام سراوة ومجادة ، وفرسان[1] مرقى وسجادة ، وليسوا بحجة في إجادة ، الا من جرى منهم مجرى افادة في وفادة ، ومظنة الاجادة في هذا الكتاب ، هم طبقات الشعراء والوزراء والكتاب .

١ - الخطيب الصالح ابو جعفر احمد بن محمد بن خميس الانصاري

كان هذا الرجل في بلده مقلةً بها يُبْصَر ، ولساناً يسهب ببلاغته ويختصر ، ويستعدى ويستنصر ؛ شأنه عجاب ، ودعاؤه مستجاب ، ووجوه[2] فضله لا يعوق عن اجتلائها حجاب ، وورعهُ لا تقرب الشبهات حماه ، واجتهاده لا يبلغ مرماه ، وكان له ادب يقتحم حمى الاجادة ، وتزين حلاه حلل الدين والمجادة ، فمن ذلك قوله :

يا اخي اقبل وصيتي لك اني   قد خبرتُ الورى على التحقيقِ
لا تؤملْ مهما استطعتَ سوى الله ولا تتكلْ على مخلوق
بل تحفَّظْ من كلّ ما دبّ فوق الأرضِ واحذرْ منهم بكلّ طريق
وَرُضِ النفسَ بالقناعةِ واليأسِ من الناسِ تحظَ بالتوفيق
انما الناسُ في زمانك يا صاحِ فريقٌ مغرىً بضرّ فريق[3]

---

١ - ج : وبرهان .
٢ - ج ك : وجوه وفي هامش ك : ووجوه من نسخة .
٣ - ج ك : رفيق ؛ والبيت متأخر عن الذي يليه في د .

فأدر اكؤسَ المداراة حلماً لعدوٍّ مبارز وصديق
واجعل الزادَ يا مسافرُ تقوى الله واجعلْ هداهُ أولى طريق

وقال رحمة الله عليه :

عليك بأعمالِ القناعة والرضى بما قدّر الرحمنُ ان كنتَ ذا حلمِ
ولو لم يكنْ للمرءِ في مقتضاهما منَ الخيرِ الا راحةُ القلب والجسم

وقال رحمة الله عليه [1] :

[٤ب] إذا لم يكن للمرءِ مالٌ فما لهُ لعمرك عند الناسِ قدرٌ ولا حظ
وان هو أبدى حكمة وبلاغة وفصلَ خطابٍ لم يُحَسَّنْ له لفظ

وقال ايضاً رحمه الله تعالى :

قَوَامُ العيش في جِدةٍ وأمنٍ وصحةٍ انها أقصى الأماني
وأوفاهنّ للدارين أمنٌ قَوَالِ السعيَ في طلب الأماني

٢ – الخطيب الصالح ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن [ابي] العاصي [2] التنوخي رحمه الله تعالى * :

سابق في حلبة العلم والدين ، بشهادة تلك الميادين ، رأى الله تعالى تقلب وجهه الوجيه في الساجدين ، فوسمه بسمة الهادين المهتدين ، أغربت طريفُ [3]

---

١ ـ ج : رحمه الله عليه .

٢ ـ في الأصول : ابن العاصي والتصحيح عن الاحاطة ونيل الابتهاج .

* أصله من جزيرة طريف ، ورحل منها سنة ٦٧١ وحل بسبتة ثم عاد الى الاندلس ، واستوطن غرناطة وكتب عن السلطان ، وتولى الخطابة والامامة بجامعها عام ٧٢٦ ، ولقي قبولا عظيما . ترجم له ابن الخطيب في عائد الصلة والاحاطة ١ : ٣٨٢ (١ : ٢١٨) وانظر نيل الابتهاج : ٣٧ (ص ١٠ ط . فاس) وبغية الوعاة : ١٨٥ .

٣ ـ طريف : يعني جزيرة طريف في جنوب الاندلس على بحر الزقاق ، قريبة من الجزيرة الخضراء .

منه بطرفة رائقة ورغبت منه في رغيبة[1] فائقة ، وقذف بحرها منه بدرة[2] بزينة الحضرة لائقة ، فاتخذها داراً وملأ هالتها ابداراً ، وصعد منبرها تجلو الخطوبَ خُطَبُه ، ويهز جذعه فيتساقط رطبه ، وحمل نفسه على الجود بالحاضر الموجود ، لا يلفي شيئاً الا بذله ، غير مصغٍ الى من عذله ، فجلب اليه[3] القلوب واستمالها ، ولم يدع غاية الا استمى لها ، وكان يلمّ بيسير الابيات ، ويبدي جيادها رائقة الشياة ، فمن ذلك قوله رحمة الله عليه[4] :

اعملْ بعلمك تؤتَ حكماً انما جدوى علومِ المرءِ نهجُ الأقومِ
واذا الفتى قد نال علماً ثم لم يعملْ به فكأنه لم يعلم

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وقد احسن :

دنياك مهما اعتبرتَ فيها كجيفةٍ عرضةُ انتهابِ
إن شئتها فاحتملْ أذاها واصبرْ عليها مع الكلاب

(٥آ) وقال موطئاً على البيت الأخير :[5]

أمولاي أنت الكريم العفوُّ لبذل النوال وللمعذره
عليّ ذنوبٌ وتصحيفها ومن عندك الجودُ والمغفره

---

١ ـ ك : برغيبة .
٢ ـ ك ج : في درة .
٣ ـ د : فجلب الله اليه .
٤ ـ البيتان في الاحاطة ١ : ٣٨٤ وبغية الوعاة : ١٨٦ .
٥ ـ البيتان في الاحاطة ١ : ٣٨٥ ورواية الاول : انت الغفور الكريم .

٣ - الخطيب[١] الصالح ابو جعفر احمد بن الحسن بن علي الكلاعي المعروف بابن الزيات * رحمه الله ونفع [٢] به آمين :

رحلة الوطن ، وملقى العطن [٣] ، وخبيئة العناية التي لا يعثر عليها إلا أهل الفطر السليمة والفطن ، والخطيب الذي إذا نطق أخرس سحبان، وإذا رجح خفّ مَتَالِعُ وأبان [٤] ، وإذا تأوه بذكر الله تعالى تأرج الهنديّ والبان ، والوليّ الذي تضربُ آباطَ مطيّها اليه الركبان ، حثا في وجوه السابقين ثانياً من عنان سيره ، وجمع من شروط الخطابة مـا تفرّق في غيره ، صورةً أنشأها الله في أحسن تقويم ، ومجتلىً أحبُ إلى العيون من سنة التنويم ، ولساناً يرمي البلابل بالعي ، ويوقفها إذا ادعت نسب الفصاحة موقف الدعي ، وخشوعاً يعلّم غِلاظَ الكبود معاملة المعبود ، ونغمة بالسبع المثاني ، تزري [٥] بنغمات المثالث والمثاني ، وصدقاً يصدع بوعظه الصخر ، وإنشاء يتمم هذا الفخر ، الى الحفظ الاقوى، والانفراد باحراز قصب السباق في مجال البرّ والتقوى . وهذه الشروط قلما اجتمعن في سواه ، ولا أطعن إلا خافق لواه ، وكان يتدفق بالشعر تدفق البحر

---

١ ــ بياض بقدر كلمة في ج

* من اهل بلش مالقة كان صوفياً وقوراً ، حسن الشيمة ، يعرب لفظه اذا تكلم ، خطيباً قديراً ، وله عدة تصانيف . توفي ببلش سنة ٧٢٨ ، ترجم لسان الدين له في عائد الصلة والاحاطة ١ : ٢٦٥ (١٥٢) وانظر بغية الوعاة : ١٣١ .

٢ ــ ك : ونفعنا .

٣ ــ ج : الظمن .

٤ ــ متالع وأبان ، جبلان ذكرهما الشاعر بقوله : درس المنا بمتالع فأبان (ديوان لبيد) .

٥ ــ تزري : سقطت من د .

الزاخر ، ويتكلم معرباً في هذا الزمان المستاخر ، ومثواه بالأندلس كعبة المفاخر ، بشهادة العظم الناخر . ومن شعره [1] :

شهودُ ذاتكَ سرٌّ عنك محجوبُ   لو كنت تدركه لم يبق مطلوبُ
علوٌ وسفل ومن هذا وذاك معاً   دور[2] على نقطة الأشراف منصوبُ
(٥ب) ومنزل النفس منه ميم مركزهِ   ان صحّ للغرض الطينيِّ مرغوب
وان تناءَتْ مساويها فحيِّزها   أوجُ الكمال وتحت الأوج تقليب
والروح ان لم تخنه النفس قام به[3]   في حضرة القدس تخصيص وتقريب

ومن ذلك قوله رحمه الله تعالى :

برقٌ بآفاقِ المعارف لاحـا   حيّا[4] الجسومَ وجرّح الارواحا
ولوى عليها من سناهُ سُرادقاً   احيتْ[5] مباسمه ندىً وسماحا
نُشِرتْ بنودُ العز من تلقائه   نشراً غدا في الصالحات وراحا
واقـام منه عليه برهاناً أبتْ   انوارُهُ الا هدى وصلاحـا
ما لم يُفِدْكَ العقل تبصرةً بما   أومى اليـه ويورثِ استمناحا
فالعقلُ في حكم الهوى ولذاك لم   يَنْفُضْ بميدان النفاذ[6] جَناحا
فانظرْ بعقلك هل ترى من كائنٍ   إلا ويُفصحُ بالهـدى إفصاحا
وارجعْ الى النظر الصحيح ولا تدع   سرَّ العنايةِ لا يفيد فلاحـا

١ ـــ الابيات في الاحاطة ١ : ٣٠٢ .
٢ ـــ ج : در .
٣ ـــ د ج : قاربه والتصحيح عن هامش ك .
٤ ـــ حيا : سقطت من ج ؛ وفي د وهامش ك : فكسا .
٥ ـــ احيت : سقطت من ج ؛ وفي د : حيكت .
٦ ـــ ج ك : النفاد .

واكسر زجاجَ الحسّ تعويلاً على روحيّةِ المعقولِ ان تلتاحا[1]

أَوما تحنُّ الى فراديسِ العلا فتشدَّ في طلب الكمال وشاحا

ولقد دعاكاليه مصطفُ[2]الهدى وأراك من سبحاته مصباحا

فكففتَ[3] إلا عن متابعة الهوى وأبيتَ إلا كبوةً[4] وجماحا

ومن مستحسن قوله رحمه الله تعالى ورضي عنه[5] :

دعني علىحُكْمِ الهوى أتضرّعُ فعسى يلينُ لي الحبيبُ ويخشعُ

إني وجدتُ أخا التضرّعِ فائزاً بمراده ومن الدعا ما يُسْمع

واهاً[6] وما شيءٌ بأنفعَ للفتى من أن يذلّ عسى التذللُ ينفعُ

فامح اسمَ نفسك طالباً إثباتَهُ واقْنَعْ بتفريقٍ لعلك تُجْمعُ

(٦آ)واخضعْ فمنأدبالمحبّخضوعُه ولربما نال المنى من يخضع

ومن ذلك قوله[7] :

مالي ببابٍ غيرِ بابك موقفُ كلا ومالي عن فِنائكَ مَصْرَفُ

هذا مقامي ما حييتُ فان أمُتْ فالذلُّ مأوى والضراعةُ مألَفُ

غرضي وانت بــه عليمٌ لمحةٌ تدعُ الشتيتَ الشملِ وهو مؤلف

وعليك ليس على سواك مُعَوّلي جاروا عليَّ لأجلِ ذا أو أنصفوا

١ — ج ك : يلتاحا ؛ وفي هامش ك تتلاحى ، من نسخة .
٢ — ج : داعي .
٣ — بهامش ك من نسخة : فكسلت .
٤ — من نسخة بهامش ك : كبرة .
٥ — الأبيات في الاحاطة ١ : ٣٠٢ .
٦ — ج ك : آهاً .
٧ — الاحاطة : ٣٠٣ .

ومن المقطوعات في التجنيس قوله رحمه الله تعالى [١] :

يُقالُ خصالُ أهلِ العلمِ ألفٌ ومن جمع الخصالَ الألف سادا
ويجمعها الصلاحُ فمن تـَعدّى مذاهبه فقـــد جمع الفسادا

وقال ايضاً [٢] :

واغلبْ هوى النفسِ لا يَغرُرْكَ عاجله
فكلُّ شيءٍ يحطُّ القدر منها جا [٣]
إن شئتَ فوزاً بمطلوبِ الكرام غـــداً
فاسلك من العمـــل المرضيِّ منهاجا

وثبت له في كتاب التاج المحلى نثر أشفُّ من نظمه [٤] رحمه الله تعالى آمين:

٤ – الاستاذ الخطيب ابو الحسن علي بن عمر بن حسين القيجاطي الكناني شيخنا * رحمه الله تعالى

روض المعارف الذي جعل الله أزاهره الفنون ، وثديّ الفوائد الذي أُرضعها الآباء والبنون ، الى ان كان فطامها المنون ، بدر شهدت هالتـُه

١ ـــ الاحاطة ١ : ٣٠٣ وبغية الوعاة : ١٣١ .
٢ ـــ المصدر نفسه .
٣ ـــ يعني منها جاء .
٤ ـــ انظر خطبة له في الاحاطة حذف منها الألف .

* ورد على غرناطة مستدعى عام ٧١٢ وقعد في مسجدها يقرىء فنون العلم من قراءات ونقه وعربية وادب ، وهو اول استاذ قرأ عليه ابن الخطيب العربية والقرآن والادب اثر قراءة الكتب. توفي سنة ٧٣٠ . ترجم له لسان الدين في الاحاطـــة . انظر النفح ٨ : ٢٢ والديباج : ٢٠٧ ونيل الابتهاج : ٢٩٢ (ط . فاس) وبغية الوعاة : ٣٤٤ والقيجاطي منسوب الى قيجاطة وهي مدينة بالاندلس من عمل جيان .

الأفق ، وبحرٌ صرف اليه الآمل[1] الرفق ، قلَّ ان يُذْكر فنٌّ الا وركض في مجاله ، واخذه عن رجاله ، وكان مع الرسوخ والتمكين ، حـــالاً من التخلق بالمكان المكين ، يرسل النادرة شهابا ، وينتهب مجالسَ الأنس انتهابا، ويتحكم في القول ايجازاً واسهابا ، خبـا بوفاته (٦ ب) الكوكب الثاقب ، ووريت بمواراته المناقب ، ومن شعره في غرض الرثاء :[2]

حَمام حِمامٍ فوق ايكِ الاسى تشدو	تَهيجُ من الأشجان ما أوجد الوجد
وذلك شجوٌ في حناجرنا شجىً	وذلك لهوٌ في ضمائرنا جِـــدّ
أرى أرْجُلَ الأرزاءِ تشتدُّ نحونا	وأيدَيهــا تسعى الينا فتمتد
ونحن أُولو سهوٍ عن الامر ما لنا	سوى املٍ إيجابنا عنده جَحْد
وان خطرتْ للمرء ذكرى بخاطرٍ	فتسبيحةُ الساهي اذا سُمع الرعد
مصابٌ به قُدَّتْ قلوبٌ وانفسٌ	لدينــا اذا في غيره قُطعَتْ برد
تلينُ له الصمُّ الصِّلابُ وتنهمي	عيونٌ ويبكي عنده الحجر الصلد
فلا مقلةٌ ترنو ولا أُذُنٌ تعي	ولا راحةٌ تعطو ولا قدم تعدو[3]
وقد كان يبدو الصبرُ منا تَجلداً	فهذا مصابٌ صبرنا فيه لا يبـــدو

ومن شعره في غرض العتاب [4] :

روضُ المشيب تفتحتْ أزهاره	حتى استبانَ ثُغَامُه وبهــاره
ودجى الشبابِ قد استبان صباحُه	وظلامُه قـــد لاح فيه نهاره

١ ــ ج ك : الآمل اليه .
٢ ــ النفح ٨ : ٢٢٨ .
٣ ــ هذا البيت متقدم على الذي قبله في د .
٤ ــ نفح الطيب ٨ : ٢٢ .

فأتى حمامٌ لا يُعافُ وقوعه ومضى غرابٌ لا يُخافُ مَطاره
والعمرُ مثلُ البدرِ يونقُ حسنه حيناً ويُعقب بعد ذاك سراره
ما للاخاءِ تقلصتْ أفيــاؤُه مــا للصفاءِ تكدرتْ آثاره
والحرُّ يصفح ان اخلَّ خليله والبَرُّ يسمح ان تجرأ جاره
فتراه يدفعُ ان تمكن جاهُـهُ وتراه ينفعُ إن علا مقداره
ولأنت تعـلمُ أنني زمنَ الصبا ما زلتُ زنداً والحيـاءُ سواره
ولأنت تعـلمُ أنني زمن الصبا ما زلتُ ممن طاب فيك ازاره
والهجرُ ما بين الاحبةِ لم يزلْ تركُ الكلام او السلامِ مثـاره
(٧آ) ولـكم تجافى عن جفاء خليلهِ فَطِنٌ وقد ظفرتْ به أظفاره
ولـكم أصرّ على التدابرِ مدبرٌ أفضى الى نَدَمٍ به إصراره
فأقام كالكُسَعِيِّ بان نهـاره او كالفرزدقِ فارقتـه نَواره
انكرتمُ من حقّ معترفٍ لـكم بالحقِّ مـا لا ينبغي انـكاره
والشرعُ قد منع التقاطعَ نَصُّهُ قطعاً وقد وردت بذا (١) اخباره
والسنُّ سنُّ تورُّعٍ وتبرعٍ وتسرّع للشرعِ تختــاره
ما يومنامن أمسنا قَدْكَ (١) اتئدْ ذهب الشبابُ فكيف يبقى عاره
هلاّ حظرتمْ او حذرتمْ منه ما فرْضٌ عليكم حَظرُهُ وَحِذاره
عجباً لمن يجري هواه لغــاية محــدودةٍ إضمارهُ مضماره
يأتي ضحىً ما كان يأتيه دجى فكأنه ما شاب منه عــذاره
فيعدّ ما تفنى به حسنا تُهُ ويعيدُ مـا تبقى به أوزاره

---

١ ــ سقطت من د .

٢ ــ ج ك : منك .

فالنفس قد أجْرَتْه ملءَ عنانها   يشتدُّ في إحضارها إحضاره
والمرءُ من إخوانه في جنْة   بل جَنةٍ تجري بها أنهاره
فاليمنُ قد مُدَّتْ اليه يمينُه   واليسرُ قد شُدّتْ عليه يساره
شعرٌ به أشْعَرْتُ بالنصح الذي   يبديه من أشعاره إشعاره
ولو اختبرتمْ نقدَهُ بمحكّه   لامتازَ بهرَجُه وبان نضاره
هذاهدى فبه [1]اقتدهْ تنلِ الرضى   أو أنت في هذا وما تختاره
وعليكمُ مني سلامٌ مثل ما   أَرجتْ بروضٍ يانع أزهاره

٥ - الصوفي المتأله ابو عمرو محمد بن يحيى بن ابراهيم بن محمد بن مالك بن عباد * النفزي [2] رحمه الله .

صوفيّ صافاه المصافي ، وأورده من عين اليقين في الزلال الصافي ، فقال : (٧ب) من انا ومن أوصافي ، مهما حكمت انصافي ، وبرز الى الأهوال فقارع أبطالها ، والى المشاهدات يشكو مطالها ، وفرّ [3] من الشواغل التي تشوش الوقت ، وتجلب [4] المقت ، فما أبقى جدة تنسب ،

١ — ج : فيه .
٢ — ج : الثغري .
٣ — وفر من : بياض في ج .
٤ — د ج : وتجنب .

* تأخرت وفاته عن وفاة لسان الدين اذ توفي عام ٧٩٢ وهو صاحب الرسائل الكبرى التي طبعت بفاس عام ١٣٢٠ والرسائل الصغرى ، وطبعت ببيروت عام ١٩٥٧ ، وله ترجمة ضافية في النفح ٧ : ٢٦ ونيل الابتهاج : ٢٨٧ (ط . فاس) ، وانظر صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ٦ : ٢٢١ .

ولا لحظة عليه تحسب ، ورقي من التأله [1] في سفينة بعدما عابها ، وعانى الطريقة فاقتحم شعابها ، وكان له حظٌ من العلم غيرُ منزور ، وشعرٌ لا يرمى بسهمه غرضُ زور ؛ فمن ذلك قوله :

هذا العقيق فسل معاطفَ بانهِ ... هل نسمةٌ عادته من نُعمانه
واسألهُ ان زارتهُ ماذا أخبرت ... عن أجرعِ العلمين أو سكانه
وأصخْ لحسنِ حديثها وأعِدْهُ للمضنى ... ففيه البرءُ من أشجانه
يا حبذا ذاك الحديثُ وحبذا ... من قد رواهُ وحبذا ببيانه
وسقى الالهُ زمانَه ومكانَه ... ويعزُّ قدرُ زمانه ومكانه
يا سعدُ ساعدْ مستهاماً فيه لا ... ذقتَ الهوى ونجوتَ من عدوانه
وأصخْ لما يجلو الوجودَ [2] عليك من ... أنبائهم بلسانِ حال بيانه
وَأبِنْهُ لي واقبلْ ذمايَ بشارةً ... ويقلُّ بذل ذمايَ في تبيانه
وسلِ النسيمَ يهبُّ من واديهم ... بشذا خزاماه وطيب لبانه
ارحم بروحٍ منه روحي تُحْيِهِ ... وبسقمه سَقمي فديتك عانِهِ
وبنشره انشرْ نفسَ مشتاقٍ قضت ... شوقاً لنفحةِ هبَّةٍ من بانه
يا سعدُ حدّثني حديثاً عنهمُ ... ويجلْ قدرُ الحب عن نسيانه
يا سعدُ طارحنيه واملأْ مِسمعي ... منْ سرِّهِ ان شئتَ أو إعلانه
انا في الغرام اخوك حقاً والفتى ... لا يكتمُ الأسرارَ عن إخوانه
قلْ كيف وادي وادِ سكان الحمى ... ومنى امانيه وروضُ امانه
(٨آ) هل قلصَتْ ايدي النوى من ظله ... أوْ ما جرى هل عاث في جريانه

---

١ ـــ نسخة بهامش ك : ورقى من بحر التأله بسفينة .

٢ ـــ د : يتلو الوجود .

وهل الربوعُ أواهلٌ بحمى لهم[1] — فسقى الربوعَ الودقَ من هتّانه
وهل التقى بانٌ على عهد الهوى — وهل اللوى يَلوِي بِغَوْدِ زمانه
وبروضِ انسهمُ عهدتُ نضارةً — نزّهت منهـــا القلبَ في بستانه
وأرى هجيرَ الهجرِ أذبلَ يانعـاً — منه وأذوى الغضَّ مـــن ريحانه
وأَحال[2] حالَ الأنسِ فيه وحشةً — وطوى بساط الأنس[3] في هجرانه
واهاً وواهفي وويحي أنْ مضى — عهـدٌ عرفتُ الانس في ازمانه
وبأجرعِ العلمين من شرقيّه — حِبٌ غـــذاني حُبُّهُ بلِبَانه
حاز المحاسنَ كلها فجمعنَ لي — كلّ الهوى وحملت[4] كل هوانه
وزهـــا عليَّ بعزه فبواجبٍ — أُزهى[5] بذلي في يَدَيْ سلطانه
وقضى بأن أقضي وليتَ بماقضى — يَرضىَ فطيبُ العيش في رضوانه
واختارَ لي أنْ لا اميـل لسلوةٍ — عنِ حبّه فسلوتُ عـــن سلوانه
يا عاذلي او ناصحي او لائمي — تبغي السلوَّ ولات حـينَ اوانه
غلب الغرامُ وعزّ سلطانُ الهوى — فالكلُ فيه عليّ من اعوانه
فعلامَ تعتبُ مستهاماً كلُ مـا — في الكـونِ عاذِرُهُ على هَيَمانه
دع عنك لومي انني لك ناصحٌ — أبدى الجمالُ العذرَ عن هيمانه
واذا الفتى قـام الجمالُ بعذره — في الحبّ فاتركهُ وَثْنيَ عنانه
من سام قلبي في هواهُ سلوةً — قد سامه ما ليس في إمكانه

١ ــ لهم : سقطت من د .
٢ ــ ج ك : واخال .
٣ ــ د : الهجر .
٤ ــ د: فحملت .
٥ ــ د : ازهو .

وقال ايضاً رحمه الله تعالى :

يا للرجالِ الا ِحبٌ يساعدني ... في ذا الغرامِ فأبكيه ويبكيني
غلبت فيه وما أ ْجدَتْ مغالبتي ... وهنتُ، والصبُّ أولى الناس بالهون
(٨ب) ركبتُ لجته وحدي فأدهشني ... وتهتُ في بيـده فرداً فدلوني
واضيعةَ العمرِ والبلوى مضاعفةٌ ... من بين يأسٍ وآمال ترجيني
والهفَ نفسيَ إن اودت وماظفرت ... في ذا الهوى بتمنّ او بتأمين[1]
وليت شعري وعمري ينقضي طمعاً ... في الحبّ ما بين مغلوبٍ ومغبون
هل للألى ملكوا رقيّ وقد علموا ... بذّلتي وافتقاري أن يواسوني
فكم اكفكفُ دمعي بعدهمْ وأرى ... مجـدداً نارَ يأسي وهي تبليني
وكم أمرُّ على الاطلالِ أندُبها ... وبالمنـازلِ من خَيْفٍ ودارين
وفي الفؤاد لهم ما ليس يعلمه ... إلاهمُ علمهمْ بالحالِ يكفيني
أهمي المدامعَ كي أروى فتعطشني ... وألزمُ الذكر للسلوى فيشجيني[2]
وكلّ مَنْ لحتْ عيني أسائـله ... عنهمْ فيغري بهم[3] قلبي ويغريني
يا أهلَ نجدٍ ومجدي[4] أن أحبكمُ ... لا أطلبُ الوصلَ عزّ الحب يُغنيني
هل في الهوى من سبيل للمنى فلقد ... عزّت أمانيه في الدنيا وفي الدين[5]

---

١ ـ هذا البيت متقدم على الذي قبله في د .
٢ ـ ج ك : فتحييني .
٣ ـ د : فيغريهم .
٤ ـ ج ك : ونجدي .
٥ ـ د : وبالدين .

وقال ايضاً ، رحمه الله تعالى :

سريّ يسرّ اليك (١) أنك تاركي | نفسي فداكَ للطفك المتدارك
يا مالكي ولي الفخارُ فانني | لك في الهوى مِلكٌ وإنكَ مالكي
التـَّرْكُ هُلكي فاعفني منه وعُدْ | بالوصل ِ تُحي ذَما محبٍّ هالك
وأعِدْ جميلاً في الهوى عوّدتني | إن لم تـُعِدْهُ إليَّ مَنْ للهالك
يا مُنْيَةَ القلبِ الذي بجماله | فـُتِنَ الورى من فاتكٍ أو ناسك
أأتيهُ دونك أو أحارُ وفي سنا | ذاك الجمالِ جِلا الظلامِ الحالك
ولكم سلكتُ اليك لكنْ حينَ لم | تكن ِ الدليل اختلّ قصدُ السالك
ولقد عُرِفْتُ بِسَتْرِ سرّي في الهوى | فهجرتني فكسيتُ ثوبَ الهاتك
(٩ آ) مـا السترُ إلا ما يحوك رضاكَ لا | مـا حاكه للستر كفّ الحـائك
ما الفصلُ إلا ما حكمت به فعدْ | واهتكْ وُصلْ ان شئتَ أو كنْ تاركي
ما لي سوى حبيك يا حبي فـدعْ | تركي فهُلكُ الملكِ تركُ المـالك

---

٦ ـــ نسخة بهامش ك : الي .

٦ ـ الشيخ الخطيب الصالح ابو عبدالله محمد بن احمد الساحلي * نفع الله ببركاته آمين .

علم العبّاد ، بين البلاد والعباد ، ومحجّ العاكفِ والباد ، من المتقربين الى الله تعالى برمي جمار الدموع وهدي الأكباد ، قـــد قسمت زمانه الأوراد ، وتعينت له الاشارة في وقته والانفراد ، وكان أصحابه يخبرون بمشاهدته الصورة المحمدية عياناً ، وتلقّيه المراشد من لدنها أحياناً ؛ وقدر هذا الرجل أشهر ، وفضله أظهر ، من أن يطريه القلم أو يعرف به وهو العيلم[1] ؛ وكان يلم بالشعر عادلاً عن المقاصد المتركة ، ونجلب منه بقصد البركة ، قوله :

ان كنتَ تطلبُ أن تنالَ وصالهمْ　　فامحُ الهوى في القِيل والأفعال

واصبرْ على مرِّ الدواءِ فانه　　يأتيكَ بعدُ بخالصِ السلسال

* ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة، والحضرمي في فهرسته ، وابنه في كتابه « بغية السالك » ؛ توفي سنة ٧٣٥ ، انظر نيل الابتهاج : ٢٣٠ (ط. فاس) .

١ ـ نسخة من هامش ك ، والجملة مضطربة في المخطوطات .

٧ - الخطيب ابو القاسم محمد بن احمد بن جزي الكلبي

شيخنا* رحمه الله تعالى ورضي عنه :

قريع اصالة قديمة ، وبارق ديمة ، وذخيرة في صوان اقطار عديمة ، تفخر منه الحضرة بقرى مائها وهوائها ، ونيِّرها الذي استقل بخط استوائها، والحر يُسَرُّ بقريع نجاره ، وفضل اتجاره ، ويفرح بنجابة ولده اكثر منه بولد جاره ، كان رحمه الله كثير الاجتهاد ، منكبّ الهاد [1] ، متوصلاً لوصال السها بالسهاد ، وهجر المهاد ، فدوّن وصنف ، وقرّط المسامع وشنف ، وتقدم بالجامع الأعظم خطيب حفله ، وإمام (٩ب) فرضه ونفله ، مع توفر اهله ، وتعدد شيخه في الاختيار وكهله ، فوقع عليه الاتفاق ، وانعقد [2] الاصفاق ، وَعُقِدَ له في عصا منبره اللواء الخفاق ، ولم يزل يقيم الرسوم تدريساً وتعليما ، ورداً وتسليما ، ويسرح في روض المعارف مسيما ، الى ان استشهد [3] في الوقيعة

---

* هو محمد بن احمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي من اهل غرناطة ، اصل سلفه من ولبة من حصن البراجلة ، كان فقيهاً حافظاً قائماً على التدريس جماعة للكتب الف وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم ، والانوار السنية في الكلمات السنية وكتاب الدعوات والأذكار وغيرها (انظر ازهار الرياض ٣ : ١٨٥ والديباج : ٢٩٥ ونيل الابتهاج : ٢٣٥ ط . فاس) .

١ ــ نسخة بهامش ك : منسكب العهاد . والهاد : العنق ، ومنكب الهاد كناية عن كثرة السجود .

٢ ــ د : وانعقد عليه .

٣ ــ ك د : اشتهد ، وفي نسخة بهامش ك : استشهد .

الكبرى * ، كرّم الله مصرعه ونفعه بما تجرعه ، وترك خلفاً نجيباً ، فكان في سعادة المحيا والممات عجباً عجيباً ، ومن شعره [1] :

وكم من صفحةٍ كالشمس تبدو ... يُسَلّي [2] حسنُها قلبَ الحزينِ
غضضتُ الطرفَ عن نظرٍ اليها ... محافظةً على علمي [3] وديني

وقال في هذا المعنى ايضاً :

وقائلةٍ لم هجرتَ التصابي ... وسنُّكَ في عنفوانِ الشبابِ
يمرُّ زمانُ الصِّبا ضائعاً ... ولم تَلهُ فيه ببيض الكعاب
ولم تَدْرِ لذةَ طيبِ الهوى ... ولم تَرْوَ من سلسبيلِ الرضاب
فقلتُ أبى العلمُ الا التقى ... وهجرَ المعاصي ووصلَ المتاب
ومن لم يُفِدْهُ طِلابُ العلومِ ... رجاءَ الثوابِ وخوفَ العقاب
فخيرٌ له الجهلُ من علمه ... وأنجى له من أليم العذاب

وقال مشفقاً من ذنبه ، ومتضرعاً الى ربه [4] :

يا ربِّ انَّ ذنوبي اليوم قد عَظُمتْ ... فما أطيقُ لها حَصراً ولا عددا
وليس لي بعذابِ النار من قِبَلٍ ... ولا أُطيقُ لها صبراً ولا جَلدا

---

* الوقيعة الكبرى او الوقيعة العظمى بظاهر طريف من الجزيرة الخضراء ، كانت في عهد ابي الحجاج يوسف بن اسماعيل من سلاطين بني نصر ، (٧٤١) وقائد جيوش النصارى فيها دون الفنش بن هراندة فأوقع بجيوش المسلمين وتملك الجزيرة الخضراء وكاد يستولي على ما تبقى من الاندلس (انظر اللمحة البدرية : ٩٥) .

١ ـ ازهار الرياض ٣ : ١٨٦ .
٢ ـ ازهار : فيسلي .
٣ ـ ازهار : عرضي .
٤ ـ ازهار الرياض ٣ : ١٨٧ والديباج : ٢٩٦ .

فانظرْ الهي الى ضعفي ومسكنتي ولا تذيقنّني حرَّ الجحيمِ غــــدا

وقال في الجانب النبوي كرمه الله تعالى وشرفه [1] :

أرومُ امتــــداحَ المصطفى فيصــدُّني
قصوريَ عـــنْ ادراكِ تلك المناقبِ

(١٠آ) ومن لي بحصر البحرِ والبحرُ زاخرٌ
ومن لي باحصاءِ الحصى والكواكب

ولو أنَّ أعضائي َغدتْ ألسناً اذاً
لمــا بلغتْ في المدح [2] بعضَ مآربي

فأسكتُ [3] عنـــه هيبةً وتأدبــاً
وخوفــاً وإعظامــاً لأرفعِ جانب

وربَّ سكوتٍ كانَ فيــه بلاغةٌ
ورب كلامٍ فيـــه عتبٌ لعاتب

٨ - الخطيب الأجل احمد بن علي بن خالد القتوري ابو جعفر رحمة الله عليه

فاضل تألق صبحه واستبان ، وعمَّ شعاعُهُ الكثبان ، تزيا بالانقباض وتزين ، وتميز بالخيرية التامــة وتعـــين ، فهو في البادية َصدْرٌ تخطبه

١ ــ ازهار الرياض ٣ : ١٨٦ والديباج : ٢٩٦ .
٢ ــ أزهار : غدت وهي ألسن ، لما بلغت في القول .
٣ ــ أزهار ، فأقصرت .. وعجزاً واعظاماً لأعظم .

الحاضرة ، وروضٌ تغار منه الرياض الناضرة ، وله شعر توفرت في البلاغة أقسامه ، وطبّق مفاصلَ الفصل حسامه ، فمن ذلك قوله يخاطب شيخنا ابن الجياب[1] وقد بعث اليه رسالة ضاعت في الطريق :

زعموا بأن الهديَ هديَ ألوكة[2]   للمجد ضاع فقلت ذلك دينه

طوراً يثبّطه الحيـــاءُ وتارةً   بُعْدُ المزارِ ووعثُه وحزونه

ومها[illegible]ـت المؤمل ركنُهُ   ومقامه السامي الذُّرى وحجونه

وبـ[illegible]ـي الذي تهذيبـه   فتُحْشُ ورقةُ لفظه تخشينه

فاذا [illegible] وقــد أشعرته   قلبي وحان الى الحبيب حنينه

وبقيت أرقبُ برقَ يُمْنِ بلوغه   وقفوله عميتْ عليَّ شئونه

ولربما أصدرته مـــع مرتضى   مستشفعاً بجـــلاله فيصونه

حتى إذا دانى المحـــلَّ أصابه   قدرٌ أُعِـــدَّ له هناك كمينه

فكأن قوسَ النائباتِ نحَا لهُ   غرضاً أو الدهرُ الحسودُ يخونه

أسفي على زمنٍ مضى لم تُقضَ من   حقّ السيادةِ من عـــداه ديونه

(١٠ب) حقّ امرىءٍ ماضي العزيمة صارم   لدنِ المعاطف إذ تُهزّ غصونه

حوتِ الفضائلَ كلها من غير ما   تعبٍ يداهُ : شماله ويمينه

تُغْنى مواهبُهُ الجسامُ بمن عنى   بجـــلالهِ فتقيمه وتعينه

ما راقني مذ رقَّ لي شيءٌ سوى   رِقٍّ يشينُ حليَّه ويزينه

لم يلقـــه ذو عسرةٍ إلا انثنى   يُسْراً وأجــلى خوفه تأمينه

سبرَ الزمان وسنَّ فيه طريقة   مُثلى سيُتعِبُ غيره مسنونه

---

١ ــ أنظر التعريف به في الترجمة رقم ٦٢ من هذا الكتاب .

٢ ــ سقط الشطر كله في ج والكلمتان الاخيرتان في ك ؛ والألوكة : الرسالة .

٤

بحرُ المعالي والعفافُ شعارُه | مذ شبَّ لم يَشُبِ الوقارَ مجونه
فأنيسُهُ أذكارُهُ ، وجليسُهُ | مـا نصَّهُ عن ربِّـه جبرينه
يا سيداً أزرى بقسٍّ نثره | وزرى على سحبانِه موزونه
يا بَيتَ علمٍ يستوي فيه الورى | باديـه منهم إن بدا وقطينه
يا كعبةَ الآمالِ لا صدَّ الذي | نذر الزيارةَ ان تـبرَّ يمينه
ولئن صددتَ ، ولا صددتَ ، فان لي | قلباً يرى صُوَرَ الكمال يقينه
أمؤملي الاسنى أبا حسنٍ أما | ينبيكَ عن شوقي اليك أنينه
ويريك سرُّ النكر منك بأنني | صافي الودادِ والاعتقاد رصينه
حسبي ففيك لكلِّ طالبِ حجَّةٍ | خصمٌ ووجه العذرِ أنت مبينه
يا نائباً عنّا وفي وسط الحجى | منا ، وان نأت الديارُ ، سكونه
أتراك تعلمُ أنَّ قلبي قلما | كَذَبَتْهُ يوماً في عُلاكَ ظنونه
وهو المؤمل ان يرى بك واحداً | لحقوقه والدهر ليس يمينه [1]
لولا عوارفُك [2] التي طوّقْتَها | جيدي فأشرقَ صدره وجبينه
والله يخلقُ ما يشاءُ وكلُّ ما | يختاره للعبـد فهو يَزِينه
سلّمْتُ للأقدارِ تسليمَ امرىءٍ | رضيَ القضاءَ فشأنه تهوينه

(١١آ)ومن شعره يخاطب بعض رجال الدولة ، ومن خطه نقلته :

ما زلتُ في حال الاقامةِ سيدي | أسري بآمـالي اليك ومقصدي
واودُّ لو سمح الزمانُ بوقفةٍ | بِفِناءِ بابكَ في العلا والسؤدد
ورأيتني مـا لم أنلها مخطئاً | ومقصِّراً فيهـا اذا لم اجهد
فركبتُ من عزمي اليك مطيةً | ووردتُ للآمال أعذبَ مورد

---

١ — يمينه : سقطت من ج .
٢ — ج : عواريك .

ولأنت اشرف من وقفت ببابه   وشددتها ثقــةً بسؤددها يدي
والله يمنحك الفضائلَ عــادةً   وَيُقِرُّ عينكَ بالعناية في غــد

فقد شهيداً بكائنة طريف[1] في جملة من الاعلام مثله رحمهم الله تعالى .

٩ ـ الشيخ[2] الخطيب ابو علي عمر بن علي بن عتيق ابن احمد القرشي* رحمه الله تعالى

هذا الرجل ممن تشمر لعبادة الله وائتمر[3] ، ونهى في طاعــة الله سبحانه وامر ، وهزّ بجذع النخلة فتساقط[4] الثمر ، ممن يقال فيه : « اذا ذكر الصالحون فحيّهلا بعمر » ، حجّ وزار ، وشد للطواف الازار ، وسمع في رحلته عن جلة ، واعلام برٍ وتجلة ، وقفل فقدّم بالحضرة[5] خطيباً في الحفل ، وإمامَ الفرض والنفل ، الى ان انتقل من الدرجة الراقية ، الى كرامة الدار الباقية ؛ وله شعر قليل يجلب مثله للبركة ، من بين الأقوال المتركة ، فمن ذلك ما ثبت بظهر الكتاب المسمى **بالفوائد المنتخبة والموارد**

---

١ ـ تقدم التعريف بها في الترجمة رقم : ٧ .

٢ ـ بياض في ح .

٣ ـ نسخة بهامش ك : تجرد لعبادة الله وشمر .

٤ ـ نسخة بهامش ك : فجنى .

٥ ـ سقطت من د ح .

* رحل وحج ولقي شيوخاً جلة واخذ عنهم ، وخطب بالجامع الاعظم نيفاً على اثنين وثلاثين سنة ، وكان رجلا خيراً كثير الحياء والصمت شديد الانقباض ملازم الخلوة مولعاً بالتصوف كثير المطالعة لكتبه . ذكره الحضرمي وعنه نقل التنبكتي في نيل الابتهاج : ١٧٧ (ط. فاس) .

المستعذبة من تأليف شيخنا ابي بكر بن ذي الوزارتين ابي عبد الله ابن الحكيم [1] :

كتابك ذا يا مَنْ هوته المفاخرُ سناً وسناءً فهو باهٍ وباهر
لقد جاء كالعقد المنظم ناثراً فوائدَ، قسٌ عنكَ في ذاك قاصر
بلاغته في القوم تشهدُ عندما يُشككُ فيه انه عنك صادر
(١١ب) فلله من روض أنيق غصونهُ بما نتمناه فزاهٍ وزاهر
فما شئتَهُ فيه تجدْهُ كأنه لناظره بحرٌ طمى وجواهر
فيهنيكم يا بنَ الاولى شاع مجدُهُمْ فزادهمُ مجداً بذلك آخر [2]
ابنت بما فيه أتيتَ حياة من حوَتهُ على مرِّ الدهورِ المقابر
وابديت فيه سحرَ لفظك رائقاً تلذُّ به الأجفانُ وهي سواهر
ومتعتُ طرفي فيه لا زلتَ باقياً ونجاك ربي يومَ تبلى السرائر
وخصَّكَ مني بالسلام مردداً عليك مدى الدنيا وما طار طائر

١٠ - الشيخ [3] الصوفي الحسيب [4] عبد الله ابو محمد بن أبي محمد عبد البرّ بن ابي المجد الرعيني ، رحمه الله :

هـذا الرجل علم من أعلام البادية ، وشهاب من شهبها الهادية ، وصاحب نفس من ضيم الجهالة متفادية ، وفي سبيل الفضل رائحة وغادية ،

---

١ - انظر الترجمة رقم : ٦٤ من هذا الكتاب .
٢ - ك : نداك وآخر .
٣ - الشيخ : سقطت من ج .
٤ - وردت كلمة « أبو » زائدة بعد لفظة الحسيب في ك .

طلع بأفقه ونجم ، وصابَ عارضُ عارضيه وانسجم ، الى دين لا تغمز قناته ، وخلق يرضي الله تعالى حلمه[1] واناته ، وله شعر يسير يعرب عن حاله ، ويعرض عرض انتحاله ، فمن ذلك قوله :

يا مؤثراً عَدَمي بفضلِ وجوده   يا مُغنياً فقري بمطلق جودِهِ
فاذا سجدتُ أقولُ : سبحانَ الذي
وجهي يشيرُ لوجهه بسجوده
وأرى صفاتي بعد ذا عاريّةً   مهما تلاشى العبدُ في معبوده
فأقولُ ليس سواك لي بمشاهدٍ   عينُ المشاهدِ غاب في مشهوده
يا صاحِ خلِّ الصحوَ عني جانباً   وَأدرْ عليَّ الصرف من عنقوده
في المحوِ اثباتٌ وليس بثابتٍ   مَنْ ذاتُهُ من غيرِ عينِ وجوده

ومن ذلك المعنى قوله ، رحمه الله تعالى ورضي عنه :

(١٢ آ) لا تقلْ نعرفُ ربي   ما تملّأتَ حياتَكْ
انما تعرفُ مولاك اذا تعرفُ ذاتك

١١ – الشيخ الخطيب ابو عبد الله بن حربلة ، رحمه الله :

شيخ متطلب ، ولكفيه على ما فاته مقلب ، ولكفة النبل على اختها مغلب ، خطب وأمّ ، وعرج بربع الفضل وألمّ ، وتوفي عن خزانة كتبٍ أسفارها عديدة ، وأغراضها سديدة ، وكان له شعر نزر ، لا ينبت

---

١ – ك : حمله .

له بزر ، ولا يعاقب مدّه الا جزر[1] ، فمن ذلك بيتان خالف فيهما نهج الأَمَم ، ونسي قوله عليه الصلاة والسلام : « تزوجوا فاني أباهي بكم الأمم » :

يا عازباً[2] لا تذلَّ نفساً   عوَّدْتَها العزَّ والفرحْ

بزوجـــةٍ فالزواجُ ذلٌّ   لو زُوِّجَ الكلبُ ما نبح

١٢ – الخطيب[3] ابو الطاهر محمد بن احمد بن حسين ابن صفوان القيسي ، رحمة الله عليه ورضوانه :

آخر المتشوفين لمقامات المتصوفين ، والمتصفين بأوصاف المنصفين ، كان رحمه الله تعالى عاكفاً على القرآن ينتجع[4] روضه ، ويرد كل آونة حوضه ، وممن فتح عليه في فهم مقاصد القوم ، وما يرومونه من الرَّوْم ، حالي اليقظة والنـوم ، وممن اوتر وشفع ، ونفع وانتفع ، كثر منتابه ، وأعملتْ اليه اكبادُ الركب واقتابه ، وجدد بقطره مباني الطريقة والاساسُ سنةُ الله تعالى وكتابه ، الى ان أفل شهابه ، وحان ذهابه ، ففقد منـــابه ، وأقشع من القطر جنابه ، وكان له نظم يندر ، وعن صدره في بعض الاحيان يصدر ، فمن ذلك قوله يذّيل قول ابي يزيد رضي الله عنه :

---

١ – ك ج : حده الأزر ، والتصويب عن د ونسخة بهامش ك .

٢ – نسخة بهامش ك : يا عزبا

٣ – سقطت من ج .

٤ – د : ينجع ، ج : يتجمع .

رأيتك[1] يدنيني اليك تباعدي   فأبعدت نفسي وابتغائي من القرب[2]

(١٢ب) هربتُ به مني اليه فلم يكنْ   بيَ البعدُ في بعدي فصّح به قربي

فكان به سمعي كما بصري به   وكان به لا بي لساني مع القلب

فقربي به قربٌ بغير تباعدٍ   وقربيَ في بعدي فلا شيء من قربي

١٣ ـ الخطيب ابو عبد الله محمد بن محمد البدوي الحاج البلشي*

كان رحمه الله تعالى خطيباً طلق اللسان ، واديباً رحب الاحسان ، ما شئت من خلق زُلال ، وخلالٍ آمنة من الاختلال ، تشرف بالرحلة الحجازية ، ولبس من حسنِ الحجى زيّه ، ثم أسرع ببلده حط القتادة والرحل ، وأقبل اليه اقبالَ الغمام بعد المحل ، واستقر به خطيباً يهزّ بمواعظه المجامع ، ويقرّط المسامع ، ويُسيل من الجفون المدامع ، وله ادبٌ لا بأس به ، والكتابة اعرق في نَسَبه . فمن شعره[3] :

خالٌ على خدّيكَ ام عنبرُ   ولؤلؤٌ ثغرك ام جوهرُ

اوريتَ نارَ الوجد طيَّ الحشا   فصارتِ النار بها[4] تسعر

....

١ ـ رأيتك : مكانها بياض في ج .

٢ ـ ج : للغرب ؛ نسخة بهامش ك : لابتغائي في القرب .

٣ ـ نيل الابتهاج : ٢٤٩ .

٤ ـ د : به .

* كان حسن التلاوة ذا معرفة بالفقه ، بليغ الخطبة توفي عام ٧٥٠ ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة ، وانظر نيل الابتهاج : ٢٤٨ ـ ٢٤٩ (٢٤٨ ط . فاس) والبلشي نسبة الى بلش ـ بتشديد اللام ـ Vellez

لو جدتَ لي منك برشفِ اللمى لقلتُ خمرٌ عسلٌ سكر
دعنيَ في الحبّ أذُبْ حسرةً سَفْكُ دمِ العاشقِ لا يُنْكرَ

وقال في غرض التغزل ، رحمه الله :

عيناي َتفهمُ من عينيك أسراراً ووردُ خديك يُذكي في الحشا نارا
ملكتَ قلبَ محبٍ فيك مكتئبٍ قد أثر الدمعُ في خديه آثارا
رضابُ ثغرك يُروي حرَّ غلتهِ يا ليت نفسيَ تقضي منه أوطارا
أنعمْ بطيفِ خيالٍ منك ألمحه ماذا عليك لطيفٍ منه لو زارا
نفسي فداؤكَ من ظبيٍ به وطفٌ يصبو له القلبُ مضطرّاً ومختارا

وقال ايضاً رحمه الله تعالى :

(١٣آ) أيها الظبي [١] ترفقْ بكئيبٍ قد هلك
ألـــذنبٍ تتجنّى ألشيءٍ وصلك
إنمـا روحي ملك وكـــذا قلبيَ لك
إنمـا أنت هــلال فلَكَ القلبُ فلك

١ ـــ ج : الفتى .

١٤ - الخطيب الشيخ ابو يزيد خالد بن خالد الونالشي ، رحمه الله :

شيخ مليح الخطابة ، جامع بين الإطالة والإطابة ، والنغمة المستطابة ، أنس بالانقطاع ، وتعلل بيسير هذا المتاع ، بجهد الاستطاع ، وانقبض وتقشف ، وقبل ثغر الحقيقة وترشف ، وكان مجموع خصل ، وضارباً في هدي [1] الفصل بنصل ، وله شعر عطرة جرياله ، موشاة طرره وأذياله ، فمن ذلك [2] :

غرامي قـــديمٌ بالحمى وجديدُ ... وشوقي إلى من حلَّ فيه شديدُ
ولي من هوى سكانه ولهٌ متى ... تذكرتُ أو فكرتُ فيه يزيد
همْ غُيَّبٌ بالحسن عن بصري وهمْ ... معي بالمعاني في الجَنان شهود
يلوحون لي سراً [3] فتلمح مهجتي ... من أسرارهم ما اللحظُ منه بعيد
فيشقى بهم لحظي وتسعدُ مهجتي ... فمن جملتي شاقٍ بهم وسعيد
همُ أسهروا [4] جفني لنفيهمُ الكرى ... فما للكرى المنفيِّ بعد وجود
وفي الحبِّ من أنفاسِ نفسيَ صعدوا ... دموعاً شكتْ من حرِّهنَّ خدود
بِحَشْوِ [5] الحشا نارَ الصبابةِ اودعوا ... فمن حرِّها بين الضلوع وقـود

---

١ — ج : في هذا .
٢ — ج : فمن ذلك قوله .
٣ — ج ك : أمراً وفي هامش ك وفي د : سراً :
٤ — ج ك : سهروا .
٥ — د : فحشوا .

أحاديثهم أشهى لديّ من الصّبا   لو أنّ الصّبا يوماً بذاك تجود

بها رَوحُ أنفاسٍ تروحُ وروحها   إذا ما للصبا ذاك الحديث تعيد[1]

أعيدي صبا نجدٍ عليّ حديثَهُمْ   ففي عَوْدها رَوحُ الحياةِ يعود

وعِدْ يا خليلي باجتماعيَ موعداً   فيومُ اجتماعي ذاك عنديَ عيد

أرى الحب يبلى إنْ تطاولَ عهده   وحبي، وإنْ طال الزمان، جديد

فلا تنكروا وجدي وفرطَ صبابتي   إذا ما بــدا منها عليّ شهود

(١٣ ب) فقد كان بالمعنى وجوديَ واحداً

ووجدي ومــا للكون قبل وجود

فان قيل إني في مقالتي[2] مُدَّعٍ   فعندي على دعوايَ فيه شهود

وقال ايضاً، رحمه الله تعالى :

خليلي إن مررتَ على المغــاني   وادناكَ اشتياقُك للمعــاني[3]

فحيّ الساكنين هنــاك عني   بمجموعَيْ فؤادك واللسان

وصفْ شوقي لهم أبداً ووجدي   بأوصافٍ تجلّ عن العيــان

وقل مــا زال ذلكم المعنّى   يُعاني للصبابة مــا يعــاني

تضيقُ الأرضُ بعدكمُ عليــه   كأنّ الكونَ ضاق عن المكان

وتعروهُ لذكراكمْ جنونٌ   من الأشواقِ تعبثُ[4] بالجنان

تخالُ الصبَّ حين تراه حيــاً   لدى التذكارِ وهو هناك فان

---

١ ـــ ك : يعيد ؛ ج : بعيد .

٢ ـــ د ج : مقالة ؛ ويتقصر عند القراءة .

٣ ـــ نسخة بهامش ك وفي د : للاغاني .

٤ ـــ تعبث : سقطت من د .

وأفنى ما يكونُ إنِ اعترته معانٍ كان يألفُ بالمغـــاني
زمانُ الصبِّ مرَّ ولا جوابٌ يُرى منــكم على مرِّ الزمان
وقـــد كنتم بذاك وعدتموه فما للوعـــدِ[1] أعقبه التواني
رضيتمْ بالبعـادِ له وما إنْ على حمل البعـــادِ له يدان
وقـــد عزَّ اقترابكمُ وأمسى مـــن التقريب يَقْنَعُ بالاماني
ينادي عنـد ذاك بكلِّ نادٍ لسانُ الشوق فيه نداءَ عـان
من الدنيـا وصالـكم المنى لو يُرى يومــاً لوصلـكمُ تدانى
متى يبدو من أرضكمُ بريقٌ لعينيــه فيسعدَ بالعيـان
وتدنو بعدمــا شحطتْ ديارٌ فنجني الوصلَ من شجر التداني

١٥ – الشيخ المكتب ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد العبدري اليتيم*
رحمة الله تعالى عليه وغفرانه (١٤ آ) :

مجموع ادوات حسان ، من خط ونغمة ولسان ، اخلاقه روض تتضوع نسماته ، وبشره صبح تتألق قسماته ، يقرطس اغراض الدعابة ويصميها ، ويفوّق سهام الفكاهة الى مراميها ، يتحرّف بالتعليم والتكتيب ، مغرى في اموره بحسن الترتيب ، وخطب بقصبة بلده متحلياً بوقار وسكينة ، حالاً

١ – ج : للعود .

* ترجم له لسان الدين في التاج ايضاً ، ونقل المقري بعض ترجمته ومراسلات بينه وبين ابن الخطيب في النفح ٨ : ٢٠٠ – ٢٠٤ ، وتوفي اليتيم سنة ٧٥٠ .

من النفوس بمكانة مكينة . وله شعر لا يرتد في سماء الاجادة طرفه ، ولا يقصر عن الغاية طِرْفه ، فمن ذلك قوله :

آياتُ حسنِكَ حجّةٌ للتالي ... في الحبّ قائمةٌ على العذّالِ
يا من سبى طوعاً عقولَ ذوي النهى ... ببلاغةٍ قد أُيِّدَتْ بجمال
يستعبدُ الابصارَ والاسماعَ ما ... يجلو ويتلو[1] من سنيٍّ مقال
وعليك اهواءُ النفوس بأسرها ... وقفتْ فغيرُك لا يمرُّ ببال
رُفعتْ لديك[2] في البلاغةِ رايةٌ ... لما احتللتَ بها وحيدَ كمال
وغدتْ تباهي منك بالبدر الذي ... تعنو البدورُ لنوره المتلالي
ماذا ترى يا ابنَ الخطيب بخاطبٍ ... وداً ينافسُ فيك كل مُغالي
جذبته نحو هواك غُرٌّ محاسنٍ ... مشفوعةٍ أفرادُها بمعالي[3]
وشمائلٌ رقتْ لرقةِ طبعها ... فزلالها يُزري بكلِّ زلال
وحليٌّ آدابٍ بمثلِ نفيسها ... تزهو الحُلىَ ويجلُّ قدر الحالي
تستخدمُ الياقوتَ عند نظامها ... فمقصِّرٌ مَنْ قاسها بلآلي
سبق الأخيرُ الاولين بفضلها ... فغدا المقدَّمُ تابعاً للتالي
شَغَفي ببِكرٍ من عقائلها اذا ... تبدو تُصانُ من الحجى بحجال
فابعثْ بها بنتَ المنى ممهورةً ... طيبَ الثناءِ لنقدها والكالي
لا زلتَ شمساً في الفضائل يُهتدى ... بسناكَ في الاقوال والاعمال
(١٤ب) ثم السلامُ عليك يُترى ما تلتْ ... بُكرَ الزمان روادفُ الآصال

---

١ ــ ج ك : وتبلو .
٢ ــ ج ك : لديه .
٣ ــ كذا ولعلها : بمتالي .

١٦ ـ الخطيب الحاج ابو عبدالله محمد بن علي ابن يوسف السكوني ، رحمه الله :

طالب رحل غفلاً من الشهرة لم تلح عليه سمة ، ولا عمرت دمنه [١] منها بسمسمة ، فحجّ وشرّق ، وتدرج وتطوق [٢] ، وأزهر دوحه وأورق ، وقدم يحمل رواية جمــة ، ويجلو محاسن معتّمه ، وينظم شعراً لا بأس بعرضه [٣] ، ولا تنكر سماؤه على أرضه ، فمن ذلك في الغرض المعروف :

أَمِنْ بعدِ ما لاحَ المشيبُ بمفرقي أميــل لزورٍ بالغرور يُصاغُ
وارتاح للـّذاتِ والشيبُ منذرٌ بما ليس عنه للأنام مَراغ
ومن لم يمتْ قبل المشيب فانـه يُراعُ بهولٍ بعده ويراغ
فيا ربِّ وفقني الى ما يكونُ لي به للذي أرجوهُ منك بلاغ

وهذا مُترفع عن نظمه ؛ ومن شعره كذلك :

يا مَنْ عليــه اعتمادي في قُلِّ امري وكُثْرِهْ
سَهِّل علي ارتحــالي الى النبيِّ وقــبره
فذاك أقصى مرادي من الوجود بأسره
وليس ذا بعزيز [٤] عليـك فامـنن بيسره

١ ـ د : ذمته .
٢ ـ د ج : وتطارق .
٣ ـ ج ك : بغرضه ؛ ومن نسخة بهامش ك : بعرضه
٤ ـ ك : ذاك بغرض .

١٧ الخطيب العدل علي بن احمد بن محمد بن احمد الحسني ابو الحسن الأحيمر[١] :

رجل وقار وسكون ، له الى الخير ركون ، والى خواطره الجائلة في شعب التقى وكون ، أيقن ان الله تعالى بالمرصاد ، فلازم خطة الاقتصاد ، الى ان ابيض زرعه للحصاد ، وعلقت طيره حبائل المصاد . وله شعر يحيد ويجيد ، ويباين مبانيه التنجيد ، ثم يتحلى آونةً [٢] منه الجيد ، فمن ذلك قوله من قصيدة :

(١٥آ) ارى لكَ في الهوى نظراً مريبا[٣] كأنّ عليك عاذلاً أو رقيبا

ولستُ بخائف في الحب شيئاً على نفسي مخافتيَ المشيبا

يُريني كل ما تهواه نفسي قبيحاً مالئاً عيني عيوبا [٤]

اتى منه ابن قيس لا براح فذُقْ مُرَّ التأسُّفِ مستطيبا

اذا ما كنتَ تبكي فقد حبٍ فما مثلُ الشبابِ ترى حبيبا

وقال ايضاً من اخرى اولها :

الآن تطلبُ ودَّها ووصالها من بعدما شغَلتْ بهجركَ بالها

وقد استحالتْ فيك سيماءُ الصِّبا حالاً يروِّع مثلها امثالها

واتيتها متلبساً بروائعٍ نُكرٍ بفوْدِكَ اصبحتْ عذالها

---

١ ــ الأحيمر : سقطت من ج .

٢ ــ آونة : سقطت من ج .

٣ ــ ج ك : قريباً .

٤ ــ هذا البيت متقدم على الذي قبله في د .

بيضٍ تخيّل للنفوس نُصولها ... سُمْراً تحوّلُ للنحور نصالها
مثل الافاعى الرقطِ تنفثُ في الحشا ... وأرى بفودكَ كمنَّاً أصلالها[1]
نارٌ تضرّمُ في الفؤادِ حريقها ... لكن تَشبُّ بمفرقيك ذُبالها
جزعتْ لهذا الشيب نفسي وهيَ ما ... زالت تهوّنُ كلَّ صعبٍ نالها
ولكم صدعتُ بنافذٍ من عزمتي ... يهماءَ[2] لا يُهدَى الدليلُ خلالها
صادَمتُ من كربِ الدُّنا اشتاتها ... ما خفتُ غربتها ولا اخلالها
ولئن تُقلَصْ عسرتي فيءَ الغنى ... عني فلي نفسٌ تمدُّ ظلالها
ما مزّقتْ ديباجتي عينُ امرىءٍ ... عرضت عليه النفسُ قط سؤالها
القى الليالي غيرَ طيب صرفها ... والأسر غير مجنّبٍ اغيالها
امشي الهوينا والعداةُ تمرُّ في ... جريٍ يُطير عن الجياد نِسَالها[3]
علمتْ ليَ الخلقَ الجميلَ محققاً ... وتسيء فيَّ على عمىً اقوالها
تبغي انثنائي هل سمعتَ بنسمةٍ ... مرّتْ على نجدٍ تهزُّ جبالها
(١٥ ب) ولربما عرضتْ لعيني نظرةٌ ... يرضى الحكيمُ غرامها وخبالها
من غادةٍ سَرَقَ الصباحُ بهاءَها ... والبدرُ في ليل التمامِ كمالها
تهوى المجرةُ ان تكون نجومُها ... من حَليْها ، وهلالُها خلخالها
عرضت كما مرتْ لعينك مُطفِلٌ ... تَرْعى بناظرها الكحيلِ غزالها
ما نهنهتْ نفسي وان ظمئتْ لها ... عبراتُها يومَ الوداع وما لها

---

١ ـــ هذه رواية نسخة بهامش ك ، وفي المخطوطات : اغلالها .

٢ ـــ سقطت هذه الكلمة من ج

٣ ـــ هامش ك : ما يسقط من شعرها ، واحدها نسالة ، واصلها من ريش الطير .

من كان يأملُ ان يقومَ بمجلسٍ   حطَّت به شهب السما[1] اثقالها
تجني احاديثَ السُّراةِ اولي النهى   نصاً وتضربُ في العلا امثـالها
ألقى هواه جانباً وسرتْ بـه   وجناءُ تدمِنُ[2] في الفلا إعمالها

وختمها بعد مدح السلطان بقوله :

يا ايها الملك الذي من مُلكِهِ   جَنَتِ[3] الملوكُ جمالَها وجلالها
خُذْها كما دارتْ بكأسِ سلافها   حوراءُ تمزج باللمى جريالهـا
تَثْني على السِّحر المبينِ وشاحَها   وتديرُ من خمرِ الفتورِ حلالها
لمياءُ تبرزُ للعيون كشاطرٍ[4]   والعقلُ يوجبُ حكمهُ اجلالها
وقفتْ وذو احسابها من هاشمٍ   من خيرِ سِبْطِ العالمين حيالها
ترجو رضاكَ وطالما ارضيتمُ   آلَ النبيِّ وكنتمُ أرضَى لهـا
كم من يدٍ بيضا لدينا منكمُ   شَكَرَ الإلهُ وأولياهُ فعالهـا
آويتمُ آسيتمُ واليتمُ   احللتمونا داركمْ ومَحلالها
وهجرتمُ لوصالنـا اعداءَنا   ووصلتمُ لصلاتنـا اوصالهـا
فصلوا حمانا ما استطعتمْ وصله   تُعْطَوْا من أجزاءِ الجزاءِ جزالها[5]

---

١ ـ د : السخا .
٢ ـ هامش ك من نسخة : ترمس ؛ وفي ج بياض
٣ ـ جنت : بياض في ج .
٤ ـ كشاطر : بياض في ج .
٥ ـ د : الجزا اجزالها .

١٨ - الخطيب ابو عبدالله محمد بن جعفر بن مشتمل الاسلمي البلياتي * رضي الله عنه [١] :

(١٦ آ) بمجموع مغبوط ، وذهب استأثر به من البادية بوط[٢]، ما شئت من فضل وعفاف ، وتبلغ بكفاف ، وصون ضاف ، وباطن صاف ، غير منضاف ، دوّنَ وألف ، وتسهّلَ وتكلف ، وتحلق بجناح شهم ، ورمى الى أكبر الفنون بسهم ، وكان في جهته صدرا ، وهلاّ لو أمهله الأجل لكان بدرا ، إلا انه أعتُبِط [٣] ، إثرَ ما به اغتبط ، وكان له حصة في الفضل المأثور ، وحظٌ في المنظوم والمنثور . فمن شعره :

سبانيَ من بين المغاني عقيقها	ومن بينه انفضّتْ بعيني عقيقُها
وسالتْ بآمالي إليها قبابُها	فأشرقني بالدمعِ منها شُروقها
فهيّجَ أنفاسي غراماً نسيمُها	وتقدحُ نارُ الشوق عند بروقها
ومن دون واديها ظباءٌ خواذلٌ	حكى لحظَها ماضيَ الشفارِ رقيقها
فلو برزتْ للشمس منهنَّ في الضحى	مُخَدَّرَةٌ أضحت كالاً تفوقها
نسيمَ الصَّبا انسرتَ نحو الحمى فقلْ	يحيِّي الديارَ النازحاتِ مَشوقها
غريبٌ كئيبٌ مستهامٌ متيمٌ	جريحُ الجفونِ الساهراتِ غريقها

* ولي قضاء غربي مالقة وناب في شرقيها ، توفي ٧٣٦ . ذكره الحضرمي في فهرسته وعنه نقل صاحب نيل الابتهاج : ٢٣١ (ط . فاس) وانظر ترجمته في بغية الوعاة : ٩٤ وفيها البلياني - بالنون -

١ - رضي الله عنه : سقطت من ج .

٢ - البوط : جمع بوطة وهي ما يذيب فيه الصائغ الذهب .

٣ - هامشك : أي مات شاباً ، وأصل الاعتباط أن تنحر الناقة لغير علة . قال قطري بن الفجاءة :

ومن لا يعتبط يهرم ويسأم ... وتسلمه المنون الى انقطاع

فهل عطفَةٌ تُرجَى وهل أملٌ يُرَى
لعودة أيـــام تقضَّى أنيقهـــا
سقى ربعَكُمْ من أدمعِ الصبِّ جودُها
ومن دِيَمَ الغيثِ الملثَّات [1] ريقها

وقال موطئاً على البيت الأخير :

ما للأحبَّةِ في أحكامهمْ جاروا نأَوْا جميعاً فلا خِلٌ ولا جارُ
كيف الحياةُ وقد بانت قبابهُمُ وقد خلتْ منهمُ والهفيَ الدار
حداة عيسهمُ بالقلبِ قد رحلوا يا ليتهم حملوا الجثمان إذ ساروا
جارَ الزمانُ علينا في فراقهم من قبلِ أن تنقضي للصبِّ أوطار
ساروا فخيمتِ الأشواقُ بعدهمُ ما لي عليها سوى الآماق [2] أنصار
(١٦ب) تراك [3] يا ربعهمْ ترجو رجوعهم
يا ليت لو ساعدتْ بذاكَ أقــدار
ودّعتُ منهم شموساً ما مطالعُها إلا جيوبٌ وأطواقٌ وأزرار
أستودعُ اللهَ من جاز [4] الفراقُ بهمْ
وخلّفوني ودمعُ العـــين مدرار

---

١ ــ الملثات : سقطت من ج .
٢ ــ الآماق : سقطت من ج .
٣ ــ بهامش ك : نراك .
٤ ــ خ بهامش ك : فاز .

١٩ – الخطيب الاستاذ ابو سعيد فرج بن قاسم بن احمد بن لب التغلبي ، وهو لهذا العهد بقيد الحياة :

هذا الرجل توكىء عليه لما عدم الزمان الوساد ، وخلت الديار فساد، وخلف ثعلبانه الآساد ، لم يستند الى ابوة ترعى ، ولا ناظر[١] عن اصل الاصالة فرعا ، إنما هو اكتساب لا انتساب ، ونجابة لم يقع عليها حساب، جعلت العلم درجا ، واجلبت[٢] عليه بسببه فرجا ، فنالت من أهلها ما اشتهت ، واستأثرت بجنى السّحوق ، الجامحة عن[٣] اللحوق ، وقد زهت؛ حتى اذا حصل المطلوب ، واطمأنت بتحصيل الغاية القلوب ، ودرت الحلوب غلب الهوى المغلوب ، فبدا له ، وحطت الحال الصالحة لأدالة ، وعزلت الجرحةُ العدالة ، وساء الاعتقاد ، وعظم من الناس الانتقاد ، ونيطت الهنات ، وهدمت الصروح المبتناة ، وفكت الألسن العناة ، وقبحت من بعد المشيب القالة[٤] ، وشهدت بفساد المعاملة الاولى هذه الاستقالة[٥] ، والشيخ

---

* بين تأليف الاحاطة والكتيبة الكامنة تغيرت صورة ابن لب لدى لسان الدين . فقد وصفه في الاحاطة بأنه من أهل الخير والطهارة والذكاء والديانة وحسن الخلق وانه كان معظماً عند الخاصة والعامة مقروناً اسمه بالتسويد . (انظر النفح ٨ : ٢٤ – ٢٨) وقد ذكره الشيخ ابو زكريا السراج في فهرسته وقال : قل من لم يأخذ عنه في الاندلس في وقته وله تواليف وفتاوى ؛ ولد ٧٠١ وتوفي ٧٨٢ راجع نيل الابتهاج : ٢١١ (ط . فاس) وبغية الوعاة : ٣٧٢ .

١ – خ بهامش ك : تأطر .
٢ – خ بهامش ك : وأملت .
٣ – ج : والجامحة على .
٤ – ج ك : الغناة .
٥ – الاستقالة : سقطت من ج .

لا يبالي بعذل العاذل ، في مهاودة الطبع الخاذل ، وليس بأول من أبق ، وفك الربق ، وأعجبه اصيل العمر فاغتبق . ولله القائل :

وقالوا : أتلهو والشباب قد انقضى ... وعمرك قد ولّى ولم يبقَ طائلُ
فقلت : أصيلُ العمرِ ماقد بلغته ... وأطيبُ أوقاتِ النهارِ الاصائل

(١٧آ) وما عسى ان يجدي التأنيب ، وقد شرد [١] الجنيب (الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب) (الشورى : ١٣) وهو وان ضل عن [٢] هدى ، واصبح في هواه مجتهداً ، فمحله من الطلب لا ينكره ذو حب [٣] صاف ، ولا مدعي اتصاف بوصف انصاف ، ويلم بالنظر [٤] احياناً ، ويبين عن اغراضه بياناً ، راجع الله به . فمن شعره [٥] :

خذوا للهوى من قلبيَ اليومَ ماأبقى ... فمـــا زال قلبي كلهُ للهوى رِقّا
دعوا القلب يَصْلى في لظى الوجدِ نارهُ ... فنارُ الهوى الكبرى وقلبي هُوَ الأشقى
سلوا اليومَ اهلَ الوجد ماذا لقوا به ... فكلٌ الذين يلقَوْن من بعض ماالقى
فان كان عبدٌ يسأل العتقَ مالكاً ... فلا أبتغي من مالكي في الهوى عتقا
بدعوى الهدى يدعو اناسٌ وكلهُمْ ... اذا سُئلوا طُرْقَ الهوى جهلوا الطرقا
فطرقُ الهوى شتى ولكنَّ اهله ... يحوزونَ في يوم السباق به السَّبقا

---

١ ـــ شرد : سقطت من ج .
٢ ـــ خ بهامش ك : ضل على .
٣ ـــ خ بهامش ك : ذو جو .
٤ ـــ د وخ بهامش ك : بالنظم .
٥ ـــ الابيات في النفح ٨ : ٢٦ .

فكم جمعت طرق الهوى بين أهلها ... وكم أظهرت عند السُرى بينهم فرقا
بسيما الهوى تسمو معارفُ اهله ... فحيث يرى سيما الهوى فاعرف الصدقا
فمن زفرةٍ تُزْجي سحائب عبرةٍ ... اذا زفرةٌ ترقى فلا عبرة تبقى
اذا سكتوا عن وجدهم أعرفت بهم ... بواطن احوال[1] وما عرفت نطقا

وقال يمدح بعض مماليك السلطان يسترفده ، أيام كانت فارغة من الدنيا يده :

مالتْ بنا ايدي الرجاءِ فلم تجدْ ... متناولاً[2] للجودِ غيرَ مُسافرِ
فتناولته وهو في بحرِ النَّدى ... عذبٌ يَطيبُ لواردٍ او صادر
قد دلَّ منك عليك فضلك إنني ... لم آت إلا بالدليل الظاهر
القى عليك الفضلُ منه محبةً ... في الناسِ تنفحُ بالثناءِ العاطر
نشرَ الرجاءُ وكان يدعى ميّتاً ... فاليومَ يُدعى بالرجاءِ الناشر
(١٧ب) واذا الرجاءُ اتى بصدقٍ اولاً ... شهدتْ اوائله بصدقِ اواخر
أمسافرٌ خيرُ المتاجرِ متجرٌ ... لله فيه عُرِفْتَ اربح تاجر
لا زلتَ تجمعُ بين غرٍّ محامدٍ ... تُهْدَى اليك وبين غُرٍّ مآثر

ومن شعره في الغرض الذي انهمك فيه على الكبر ، وانها لاحدى الكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله :

وصالُكَ يا مولايَ بعتُ به ديني ... فعجّله قبلَ الحينِ للصبِّ في الحينِ
وصالك مطلوبي وقربُك جنَّتي ... وان زُيِّنَتْ بالحورِ عدْنٌ وبالعين

---

١ - ج : احوالي .
٢ - متناولا : سقطت من د .

وما انا الا مَيِّتٌ إنْ هجرتني نحوليَ يكفيني اذا شئتَ تكفيني
غليلٌ: ولكنْ أنت ريِّي من الظما عليلٌ: ولكن ليس غيركَ يَشفيني
لقد جلَّ ما بي عن عبارة مقولي وما كلُّ حـــالٍ يُستفادُ بتبيين

- ٢ -

طبقة المقرئين والمدرسين، والممهدين لقواعد المعارف والمؤسسين[١]

وهذه الطبقة اولى ممن قبلهـــا بدرجة الانحطاط ، وغضٍّ عنان الاشتطاط ، اذ لا خفاءَ عند المتمرس ، بفضل الخطيبِ في باب الفصاحة على المدرس ، إلا ما وقع بالعرض ، وخرج عن هذا القياس المفترض .

٢٠ – الشيخ الاستاذ ابو عبد الله محمد بن علي الفخار * من شريش

رجل سليم الباطن ، متفق على فضله وورعه من الراحل والقـــاطن ، نافع التعليم، متلقاة دعوى معرفته بالتسليم ،خرج من بلدة أركُش[٢] لما استباح

١ – سقط العنوان كله من ج .

* ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة وقال انه استوطن مالقة بعد ان استولى العدو على شريش وتصدر للاقراء والتدريس بها . وله عدة تصانيف اكثرها في النحو . توفي سنة ٧٢٣ (انظر البغية : ٨٠) .

٢ – حصن بالأندلس على وادي لكة .

العدو حماه ، وغير اسماه ومسماه ، فانتصب يقرىء الفنون ، حتى لقي المنون، وأوجب الله به النفع فوجب ، وقل ان يقرأ [1] عليه أحد إلا نجب .
وكان له شعر شهير الشان في الاخشيشان [2] ، تنزر منه الاجادة نزور الأبيض بين الحبشان [3] (١٨ آ) فمن ذلك قوله [4] :

أنظرْ إلى وردِ الرياضِ كأنه ديباجُ وشيٍ في بَنانِ زبرجدِ
قد فتَّحته نضارةٌ فبدا له في القلبِ رونقُ صُفْرَةَ كالعسجد
حكَتِ الجوانبُ خدَّ حِبٍّ ناعم والقلب يحكي خدَّ صبٍّ مكمد

وقال :
خرجت يوماً من حلقة الاستاذ [5] بشريش ، وأنا شاب في جملة الطلبة ، وكان يقابل باب المسجد حانوت سرّاج وفيه فتى وسيم يرقم جلداً فقالوا لي : لا تجاوزْ هذا الباب حتى ترتجل لنا شيئاً في ذلك الفتى فقلت:

ورب معــــذرٍ للحبّ داعٍ يروقُ بهـــاءُ منظرهِ البهيج
وشى في وجنتيه الحسنُ وشياً كوشي يديه في أدمِ السُّروج

---

١ ـ خ بهامش ك : وقلما قرأ .
٢ ـ ج ك : الأفشان ، وما أثبتناه هو رواية د و خ بهامش ك .
٣ ـ خ بهامش ك : من الحبشان .
٤ ـ الأبيات في بغية الوعاة : ٨٠ .
٥ ـ الاستاذ: سقطت من ج .

٢١ – الشيخ المقرىء ابو عبدالله محمد بن محمد بن ادريس القلطوسي من اسطبونة ، رحمه الله تعالى :

شيخ قديم الطلب والاجتهاد، هامي [١] العهاد ، كلف بالقوافي والعروض ، كلفَ العابد بالنوافِل والفروض ، وله في ذلك ، ما يدل على عنايته بذلك ، وتردده بتلك المسالك . ومن شعره يمدح الوزير ابن الحكيم [٢] من قصيدة :

علاهُ رياضٌ أورقتْ بمحامد   تنوّرُ بالجدوى وتثمرُ بالأملْ

تسح [٣] عليها من نداهُ غمائمٌ   تروّي ثرى المعروفِ بالعلِّ والنَّهل

وهل هو إلا الشمس نفعاً ورفعةً   فيغربُ بالجدوى وَيَقْرُبُ بالأمل [٤]

تعمُّ اياديه البريةَ كلها   فدانٍ وقاصٍ جودُ كفيه قد شمل

ومن شعره ايضاً يمدح القائد ابا عبد الله ابن الرنداحي :

(١٨ب) أَطْلِعْ بأفقِ الراحِ كاسَ الراح

وَصِلِ الزمانَ مساءَه بصباحِ

---

١ – ج ك : سامي .

٢ – د : فسح .

٣ – رندي رحل الى مصر والشام والحجاز وأخذ عن العلماء ، وكان رفيقاً لابن رشيد في رحلته ، ثم عاد الى بلده (٦٨٥) وقربه السلطان واستمرت حاله معظم النذر الى ان توفي السلطان ثاني ملوك بني نصر رجاه ابو عبدالله فزاد في تقريبه ولقبه ذا الوزارتين وجعله صاحب العلامة . ولما خلع السلطان انقضت ايامه فقتل ومثل به . و انتهبت كتبه وتحفه عام ٧٠٨ (انظر الاحاطة ٢ : ٢٧٨ والنفح ٣ : ٣٧٣ ، ٨ : ١٣ وأزهار الرياض ٢ : ٣٤٠) .

٤ – د : ويبعد بالامل .

خُذْها على رغْمِ العذولِ مُدامةً تنفي الهمومَ وتأتي بالافراح
والارضُ قد لبستْ برودَ أزاهرٍ وتمنطقتْ منْ نهرها بوشاح
والجوُّ اذ يبكي بدمعِ غمامةٍ ضَحِكَ الربيعُ له بثغرِ اقاح
والروضُ مرقومٌ بوشي أزاهرٍ والطيرُ تُفْصِحُ أيَّما إفصاح
والغُصنُ من طرب يميلُ كأنما يُسْقَى بكفِّ الريحِ صرْفَ الراح
والوردُ منتظمٌ على أغصانِهِ يبدو فتحسبُهُ خدودَ ملاح
وكأن عَرْفَ الريحِ من زَهرِ الربى عَرْفُ امتداحِ القائدِ الرنداحي

٢٢ - الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن فرح بن شقرآل اللخمي الطرسوني* رحمه الله تعالى

درة مغفلة ، وخزانة على كل[1] فائدة مقفلة ، كان اكبر من الزمان وبنيه ، فعدم روضه من يجنيه ، انظاره بعيدة ، واغراضه مبدية في الكمال ومعيدة ، حكم له في رقاب المعارف تحكيم ، وتصرف لا يعوقه شكيم ؛ يتكلم في المادة المحصورة ، وقبولها للصورة ، ويصدع في صناعة البرهان بالحجج المنصورة ، ويشرح على الكون والفساد ، ويضطلع من علل النفوس

* ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة وقال انه كان قيما على النحو والقراءات واللغة مجداً في ذلك محكما لما يأخذ فيه منه . حظي عند الوزير المحروق فجعله ناظراً لخزانة الكتب السلطانية ثم اعتقله واخرجه الى افريقية فلما مات الوزير رجع الى الاندلس فمات في الطريق ببونة عام ٧٣٠ (انظر بغية الوعاة : ١٨ وفيها : فرج بالجيم) .

١ - كل : سقطت من ك .

والاجساد ، بشجى [1] الحساد ، ويركض اقلام التعليم جائلة ، ويعطي صور الافلاك مستقيمة ومائلة ، سابقاً في كل ما اعاده وابداه ، ما لم يزاحم في مداه ، ولا ظفرت به الا يداه ، الى تحسين المجالسة وبيان الالقاء ، والجمع بين معاملة الآباء ومعاملة الاصدقــاء . ظفرت منه يدي بالنهر الذي امن غائصه الدرك ، وجمع فيه القوم بين آخذ ومن ترك ، هذا يندم لزهده ، وهذا لما ترك من جهده ، (١٩ آ) فقلَّ أن أتَبَجَّح [2] بغريبــة ، الا وهي له اليوم منسوبة ، وعلي له محسوبة ، تعاهده الله تعــالى من الرحمة بسحاب ، ومن الملائكة الكرام بترحاب . وكان يشعر وينثر ، ويعثر من من المعاني ما لا يمر به غيره ولا يعثر ، وقدر هــذا الشيخ اقل من ان تستوعبه هذه الاسطر ، او يفي به خاطر يخطر ، فسبحان الذي حجب الفضائل [3] بالتراب ، وشبه هذا المتاع الفاني بلمع السراب [4] لا إله إلا هو .

من مجموعٍ سماه **السليمانيات والعربيات** قوله :

نام طفل النَّبت في حجر النعامى ... لاهتزازِ الظلّ في مهدِ الخزامى

وسقى الوسميُّ أغصانَ النقــا ... فهوتْ تلثمُ أفــواه الندامى

كَـحَلَ الفجرُ لهم جَفْنَ الدجى ... وغدا في وَجْنةِ الصبح لثاما

تحسب [5] البدرَ محيًّا ثملٍ ... قد سَقَتْهُ راحةُ الصبح مداما

حوله الشهبُ كؤوس قد غدت ... مسكةُ الليــل عليهنّ ختاما

---

١ ــ ج ك : بحشا .

٢ ــ هذه العبارة مضطربة في النسخ إذ تبدأ بكلمة « فقال » ثم أن لفظة أتبجح ساقطة من ج ك ، وهي يتبجح في د .

٣ ــ د : الفضل .

٤ ــ ج ك : بالسراب .

٥ ــ ك : يحسب .

يا عليلَ الروح رفقـــاً عـلّـني	أشفِ بالسقم الذي حُزْتَ سقاما
وابلغنْ عني عُريباً بالحمى	همتُ في أرضٍ بها حلوا غراما
فرشوا فيها من الدرّ حصىً	ضربوا فيهـــا من المسك خياما
كنتُ أشفي غُلـّةً من طيفكمْ	لو أذنتمْ لجفوني ان تنـاما
واستفدت الرَّوْحَ من ريح الصَّبا	لو أتت تحملُ من سلمى سلاما

ومن هذه بعد كثير :

نشأتْ للصبِّ منهـــا زفرةٌ	تسكبُ الدمعَ على الربـع سجاما
طربَ البرقُ مـع القلب بهـا	وبها الأناتُ طارحن [1] الحماما
طللٌ لا تشتفي الأذنُ بـــه	وهو للعينين قـد ألقى كلامـا
(١٩ب) ترك الساكنُ لي من وصله	ضَمَّةَ الجدران لثماً والتزامـاً
نزعـاتٌ من سليمانَ بهـا	فَهِمَ القلب معانيهـا فَهَاما
شادنٌ يرعى حُشاشاتِ الحشـا [2]
حَسْبُ حظـّي منه أن أرعى الذماما

ومن السليمانيات ايضاً :

أأرجو أماناً منك واللحظُ غادرُ	ويثبتُ قلبي فيك والطرفُ ساحر
عجبتُ للحظٍ كلُّ قلبٍ يُطيعهُ	ويرضى بما يَقضي بـه وهو جائر
ويترك وردَ الخدّ نهب جفونها	جريءٌ على دفع المعرة [3] قاصر

---

١ ـ هذه هي رواية د ؛ وفي ك ج : رمها [ ] طرحن
٢ ـ الحشا : سقطت من ك .
٣ ـ د : المضرة .

وَأعجبُ من ذا كيف تنهبُ في الدجى
لصوصُ الهوى نومي وطرفيَ ساهر

ويسلمُ من بعدُ الذي سكن الحشا ويشكومن الهجرانِ والطيفُ زائر
ولا َنيْلَ الا من طروقِ خياله فمن لي بوصلٍ منه والنومُ هاجر
أعـدَّ سلـيمانُ أليمَ عذابِـهِ لهدهدِ قلبي فهو للبـينِ صابر
أُشاهدُ منه الحسنَ في كلِّ نظرةٍ وناظرُ أفكاري لمعنـاه ناظر
دعتْ للهوى أنصارُ سحرِ جفونِـهِ فقلبي له عن طيبِ نفسٍ مهاجر
إذا َشقَّ عن بدرِ الدجى أُفْقَ زِرِّهِ
فـاني بتمويـه العواذِل كافر

وفي َحرَمِ السُّلوانِ طافت[1] خواطرُ
وقلبي لمـا في وجنتيـه مُجـاور

وقد ينزعُ القلبُ الشجيُّ[2] لسلوةٍ كما اهتزَّ من قطرِ الغمامةِ طائر
يقابلُ أَغراضي بضدِّ مرادها ولم يدرِ ان الضدَ للضدِّ قاهر
ونارُ اشتياقي َصعَّدَتْ ُمزْنَ أدمعي
فمضمرُ سرّي فوقَ خـديَ ظـاهر

وقد كنتُ باكي العينِ ، والبينُ غائبٌ
فقل : كيف حالُ الدمعِ ، والبينُ حاضر

وليس النوى بالطبـع مُرّاً وانمـا لكثرةِ ما ُشقَّتْ عليه المرائر

---

١ ـ ج ك : طابت .
٢ ـ ج : الملي ، وفي ك بياض .

ومن السليمانيات ايضاً قال :

(٢٠ آ) الا استودع الرحمنُ بدراً مكمّلا

بفاسٍ من الدربِ الطويلِ مطالعُهْ

وفي فلَكِ الأزرارِ مَطْلعُ سَعْدِهِ

وفي أُفُقِ الاكبادِ تُلفَى مواقعه

يصير مرآه منجّمُ مقلتي فيصدقُ في قطْعِ الرجاءِ قواطعه

تجسّم من نورِ الملاحة خدُّهُ وماءُ الحيا فيه ترَجْرَجَ مائعه

تلوّنَ كالحرباءِ في خجلاته فيحمرُ قانيه ويبيض ناصعه

اذا اهتزَّ غنّى حليُهُ فوق نحره كغصنِ النقا غنّتْ عليه سواجعه [1]

يؤكدُ حتفَ الصبِّ عاملُ قدِّهِ وتعطفُ من واو العذار توابعه

أعدَّ الورى سيفاً كسيفِ لحاظه فهذا هو الماضي وذاك مضارعه

ومن قصيدة في هذا الغرض المذكور .

وصالُك هذا أم تحيةُ بارقِ وهجرُكَ أم ليلُ السليم لتائقِ

أناديك والاشواقُ تركضُ حُمْرُها بصفحة خدي من دموعٍ سوابق

أبارقَ ثغرٍ من عُذَيبِ رضابه قضَتْ مهجتي بين العُذَيبِ وبارق

ومن شعره يمدح السلطان حين فتح حصن أشكر [2] :

بحيثُ البنودُ الحمرُ والأسدُ الوردُ كتائبُ ، سُكانُ السماءِ لها جندُ

---

١ — ج : سوابعه .

٢ — السلطان هو اسماعيل بن فرج ابو الوليد ، وقد هاجم حصن أشكر سنة ٧٢٤ فأخذ بمخنقه ، ورماه بالنفط فنزل أهله قسراً على حكمه . وأشكر من عمل مدينة بسطة (اللمحة البدرية : ٧٢ وفيه وردت بعض أبيات من هذه القصيدة ، وقال انها للحكيم ابي زكريا بن هذيل .)

حدتْ بهم خوصٌ عرابٌ ضوامرٌ وقدضاقتِ الارجاءُ اذ عظمَ الوجد

عساكرُ مَلكٍ شرّفَ اللهُ قدره فسيانِ من إقدامها السهل والنجد

اذا رجّعوا الذكرى حماماًسواجعاً فأعطافهمْ في مَيْلها قُضُبٌ ملد

وان حلّ صبر الصبر بين ضلوعهمْ فأفواههمْ من ذكر ربهمُ شَهْد

وتحسبُ نورَالصدقِ والعزمِ دائماً سراجاً من التقوى بآزرهمْ يبدو

هم القومُ رهبانٌ اذا لبسوا الدجى وان لبسوا حرّ الهياج فهم أُسد

حَذوا حذو سلطانٍ على الشرع عاطفٍ

رفيقٍ بهم حانٍ اذا عظم الجهد

(٢٠ب) وتحت لواء الشرع مَلكٌ هو الهدى

تضيقُ به الدنيا اذا راح او يغدو

فلو رام ادراكَ النجومِ لنالها ولو همّ لانقادتْ له السِّندُ والهند

تأمّنتِ الارواحُ في ظلّ بَنْده كأن جناحَ الروح من فوقه بند

منها في الحض والقتال وآلة النفط :

على انها ضَنّتْ بعذب ورودها غُدّية راح الأسْدُ والضمَّر الجردُ

فكان صباحُ القوم قوماً بوصلها وقوماً بوصل الحور قد أُنجز الوعد

ولولا دفاعُ الخودِ عنعذبِ ريقها لما لذّتِ الشكوى ولاعَذُبَ الورد

ومن عانق الأخطارَ حقّ لهالعلا ومن نبذ الفاني يحقُّ له الخلد

وظنوا بأنّ [1] الرعدَ والصّعْقَ في السما

فحاقَ بهم من دونها الصعقُ والرعد

---

١ — ك : فبان .

عجائبُ اشكال سما هرمس بها　　مُهَنْدَسةٌ تأتي الجبال فتنهد

ألاَ إنها الدنيا تريكَ عجائباً　　وما في القوى منها فلا بدَّ ان يبدو

بعينيَّ[1] بحرُ النقعِ فوق أسِنَّةٍ　　تُنَمْنِمهُ وَهناً كما نُمِم البُرد

سماءُ عجاجٍ والقوانسُ شهبها[2]　　ووقعُ القنا رَعد إذا برق الهند

وقد نُثِلَت[3] فيها الكنائنُ فارتمتْ　　سقيط نثارٍ مثلما قُدِحَ الزند

كأن قلوبَ الروم أهدافها التي　　تطير بحياها وما شَعرَ الجلد

ومن دمهمْ زرقُ الأسنة لُفِّعَتْ　　فتلك إذا ما شُبِّهت أعينٌ رمد

تسيلُ على الراياتِ منها مدامعٌ　　كخدٍّ محبٍّ شفَّه البينُ والوجد

ألا شفَّعَ الرحمنُ غزوة أشكرٍ　　بها رَضيَ الاسلام والأحدُ الفرد

ومن رغبةِ الأشياءِ في نيلِ فضلها　　إذا سُلَّ سيفٌ كاد يحسدُهُ الغمد[4]

وتذاكرنا[5] يوماً أساليب الشعراء وأفضنا في ذكر ابن هاني[6] فنظم لي في طريقته هذه الأبيات مساجلاً لمثلها مما ثبت في موضعها من شعره (٢١ آ) :

طرقنا دُيورَ القوم وهناً وتغليساً　　وقد شرفوا الناسوت إذ عبدوا عيسى

وقد رفعوا الانجيل فوق رؤوسهم　　وقد قدسوا[7] الروح المقدس تقديسا

---

١ ــ فوقها في ج : كذا .

٢ ــ ك : شبهها .

٣ ــ ج : نثلت .

٤ ــ سقط هذا البيت من د .

٥ ــ ك ج : وتذاكرت .

٦ ــ يعني الحسن بن هانىء أبا نواس ، ويلمح الى طريقته في وصف طروق الحان ليلا مع عصبة من الندامى .

٧ ــ ك : قدموا .

فما استيقظوا الا لصكة بابهم — فأدهشَ رهبـاناً وروَّع قسيسا

وقام بها البطريقُ يسعى ملبّيا — وقدأُصمِتَ الناقوسَ رفقاً وتأنيساً

فقلنا له : أَمنـــاً فانا عصابة — اتينا لتثليث وان شئت تسديساً

وما قصدنا الا الكئوس وانمـــا — لحنّا له في القول خُبثاً وتدليسا[1]

ففتّحتِ الابواب بالرحبِ منهم — وَعَرّس طلاب المدامة تعريسا[2]

فلما رأى زقي امامي ومزهري — دعـــانيَ تأنيساً لحنث وتلبيسا

وقام الى دنٍ ففضّ ختامَـهُ — فكبّسأجرامَالغياهبتكبيسا[3]

وطاف بها رطبُ البنان مُزنّرٌ — فأبصرتُعبداً صيّر الحرّ مرءوسا

سلافاً حواها القارُ لبساً فخلتُها — مثالاً من الياقوت في الحبر ملبوسا

الى ان سطا بالقومِ سلطانُ نومهم — ورأسُفتيلالشمع نُكّس تنكيساً

وثبتُ اليه بالعناقِ فقال لي : — بحقّ الهوىهبْ لىمنالضمّ تنفيسا

كتبتُ بدمع العينِ صفحةَ خده — فطلّس حبرُ الشعر كتبيَ تطليسا

فبئسَ الذي احتلنا وكدنا عليهم — وبئسَ الذيقداضمروا قبلذا بيسا

فبتنا يرانا الله شرّ[4] عصابةٍ — تطيعُ بعصيانِ الشريعة ابليسا

ومن مقطوعاته ، رحمه الله تعالى ، قوله :

أتمنَعُ أنْ أُقبّلَ منك كفاً — وقد حرّمت ثغرك بالعفـافِ

وها انا طائفٌ بك كلّ حينٍ — فعـــيّنْ لي المقبّلَ للطواف

---

١ ــ اي اوهمناه بالتورية في التثليث وانما قصدنا ان نشرب ثلاثاً او ستاً .

٢ ــ عرسوا : اقاموا ، والتعريس : النزول آخر الليل .

٣ ــ كبس : اقتحمها فأزال الظلمات بما فاض من نور الخمر فيه ، ولعلها « فكنس » أي ازالها جملة .

٤ ــ ك : وقت ، وعليها علامة خطأ في د .

٢٣ ـ الشيخ الامام ابو حيان محمد بن يوسف بن حيان النفزي الغرناطي *
الملقب في البلاد المشرقية « اثير الدين » رحمه الله تعالى : (٢١ ب)

سيف النصرة ، المدافع عن اهل البصرة ، وامام صناعة النحو ، المتقلب في حججها بين الاثبات والمحو ، والغيم والصحو ، لو مرّ به ابو الاسود لقال : سلام ، ثم اراه كيف ينقسم الكلام ، أو مرّ بأبي بشر[1] لقال يا بُشرايَ هذا غلام . كان رحمه الله براً يغرف من بحر ، ونسيم سحر ، يهبُّ على تلك البلاد من شحر[2] ، رحل عن الاندلس والغصنُ ناضر ، وزمن الشبيبة حاضر ، وقد برع في علم اللسان ، وفي اغراضه الحسان ، واستقر بمصر على الطير الميامين ، والبر الكفيل الضمين ، وصحب الركبان الى الحرم الامين ، ورفع له لواء الشهرة الذي اليه يشار ، ولظله تحدى العشار ، فقصد دَرْسُه ، وعرف بالانجاب غرسه ، وتغالى فيه الغلاة ، واعتنت به الامراء والولاة ، وتأكد بينه وبينهم بسبب ابنائهم الموالاة ، وكثرت لديه العوائد والصلات ، وانتفعت المغاربة بجاهه مدة حياته ، واهتدت سراتهم بنور آياته ، وساعده امله ، وكان ممن طال عمره وحسن عمله ، واحب الراوين ، ودون الدواوين ، وزين الاواوين . وكان له شعر

---

* هو النحوي المشهور والمفسر صاحب البحر المحيط ، ترحم له ابن الخطيب في الاحاطة والصفدي في اعيان العصر (ونقل صاحب النفح عنهما ٣ : ٢٨٩ ؛ ٣ : ٣٣٧) وله ترجمة في نكت الهميان : ٢٨٠ ، والدرر الكامنة ، وبغية الوعاة : ١٢١ وطبقات الشافعية ٦ : ٣١ .

١ ـ ابو بشر ، هو سيبويه .

٢ ـ العبارة : يهب من تلك البلاد على شجر ، في النسخ ، وكلمة شجر مضطربة في ج د .

مهاده في الاجادة وثير ، ودعابة يثيرها الطبع فتثير[1] ، وان لم القَ هذا الرجل فهو من بلدي ، وتأخرت وفاته عن مولدي ، الى أن اجاز ولدي.

ومن شعره ، قال رحمه الله تعالى حسبما نقل عن خطه : قدم علينـــا الشيخ المحدث ابو العلاء محمد بن أبي بكر البخاري الفرضي بالقاهرة في طلب الحديث ، وكان رجلاً حسناً طيب الأخلاق لطيف المزاج ، فكنا نسايره في طلب الحديث ، فاذا رأى صورة حسنة قال : هذا حديث على شرط البخاري ، فنظمت هذه الأبيات :

بدا كهلالِ الأفقِ وقتَ طلوعِهِ ... ومال كغصنِ الخيزرانِ المنعّمِ
غزالٌ رخيمُ الدلِّ وافى مواصلاً ... موافقةً منهُ على رغم لوَّم
(٢٢آ)مليحٌ غريبُ الحسن أصبحَ معلماً ... بجمرة خدٍّ بالمحاسنِ معـــلم
وقالوا: على شرط البخاريّ قد أتى ... فقلتُ على شرط البخاري ومسلم

قال فقال لي : يا مولانا انا البخاري فمن مسلم ؟ قلت له : انت البخاري وأنا مسلم ؛ قلت : ولو كنت المخاطب لكان مدى الدعابة أفسح ، ومن العصمة ان لا تجد . ومن أبياته في غرض التصوف قوله في جيـد كلامه :

تفردتُ لما ان جُمِعْتُ بذاتي ... وأُسكِنْتُ لما أن بَدَتْ حركاتي
فلم أرَ في الأكوانِ غيري لأنني ... أزحتُ عن الأغيارِ روحَ حياتي
وقدَّستُها عن رتبةٍ لو تعيَّنتْ ... لها دائما دامتْ لها حسراتي
فها أنا قد أصعدتها عن حضيضها ... الى رتبةٍ تقضي لهـــا بثبات
تشاهدُ معنى روضُهُ أذهب العنا ... وايقظني للحقِّ بعـد سناتي

---

١ – خ بهامش ك : للطبع مثير .

أقامتْ زماناً في حجابٍ فعندما تزحزحَ عنها رامتِ الخَلوات
لنقضي بها ما فاتَ من طيبِ أُنسنا بهـــا ونَنالَ الجمعَ بعد شتات

ومن شعره في النسيب وما يناسبه قوله :

كتم[1] اللسان ومدمعي قد باحا[2] وثوى الأسى عندي وأنسي[3] راحا
اني لصبٌ طيٌ ما نشرَ الهوي نشراً وما زالَ الهوى فضاحا
وبهجتي من لا أصرح باسمـه ومنَ الإشارةِ ما يكونُ صراحا
ريمٌ أرومُ حنوَّه وجنوحَهُ ويرومُ عني جفوةً وجماحـــا
أبدى لنا من شَعْره وجبينه خدين ذا ليـــلاً وذا اصباحا
عجباً له يأسو الجسومَ بطبّه ولكنْ بأرواحٍ أثار جراحا
فبلفظه برءُ الأخيذِ ولحظِهِ أخذُ البريء فما يطيقُ بَراحا
نادمتهُ في ليلةٍ لا ثالثٌ إلا أخوه البدر غار فلاحا
(٢٢ب) يا حُسنَها من ليلةٍ لو أنها دامتْ ومدتْ للوصال جناحا

وقال رحمه الله تعالى في الغرض المذكور ايضاً :

نور بخدِّكَ أم توقدُ نارِ وضنى بجفنكَ أم كئوسُ عقارِ
وشذا بريقكَ أم تأرجُ مسكةٍ وسنا بثغركَ أم شعاعُ دراري
جُمِعَتْ معـاني الحسن فيك فأَصبحت
قيدَ القلوب وفتنـةَ الأبصار

---

١ ـــ ج د : كتب .
٢ ـــ ج ك : لاحا .
٣ ـــ ج ك : وآسي ؛ ج : لاحا .

متصاونٌ خَفِرٌ إذا ناطقتَهُ	أغضى حياءً في سكونِ وقار [1]

في وجهه زهراتُ روضٍ تجتلى	من نرجسٍ مع وردةٍ وبهار

خاف اقتطافَ الورد من وجناتِهِ	فأدارَ من آسٍ سياجَ عذار

وتسللتْ نَمْلُ العذارِ بخده	ليردنَ شهدةَ ريقه المعطار

وبخده وردٌ حمتها وِرْدَها	فوقفنَ بين الورد والاصدار

كم ذا أُواري في هواه محبتي	ولقد وشى بي فيه فَرْطُ أُوراي

ومن نظمه في المقطوعات وان عدت لها اجادة فهي مظنة ذلك ، قال رحمه الله تعالى :

أرحتُ نفسي من الايناس بالناسِ	كما غنيتُ عن الأكياس بالياس

وصرتُ في البيت وحدي لا أرى أحداً	بناتُ فكري وكتبي هنَّ جلاسي

وقال ايضاً رحمه الله :

وزهّدني في جمعيَ المال أنّهُ	إذا ما انتهى عند الفتى فارقَ العمرا

فلا روحَهُ يوماً أراحَ من العنا	ولم يكتسبْ حمداً ولم يدّخرْ أجرا

وقال ايضاً رحمه الله :

أجلُّ شفيعٍ ليس يمكنُ ردُّهُ	دراهمُ بيضٌ للجروحِ مراهمُ

تصيّرُ صعبَ الأمرِ أسهلَ ما أرى	وتقضي لباناتِ الفتى وهو نائم

---

١ ـ سقط البيت من د .

(٢٣ آ) ومن ابدع ما ينسب اليه من المقطوعات قوله :

عداتي لهم فضلٌ علي ومنّةٌ فلا أذهبَ الرحمنُ عني الاعاديا
همُ بحثوا عن زلتي فسترتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

ومن النسيب :

سال في الخدّ للحبيب عذارٌ وهو لا شكَّ سائلٌ مَرْحُومُ
وسألتُ ٱلتثامــهُ فتجنى فأنا اليــوم سائلٌ محروم

ومن ذلك في فتى يسمى بمظلوم :

وما كنت ادري ان مالك مهجتي يسمى بمظلومٍ وظلمٌ جفــاؤه
الى أن دعاني للهوى فأجبتُهُ ومن يكُ مظلوماً أُجيبُ دعاؤه

وقال أيضاً :

جُنَّ غيري بعارضٍ فترَّجى اهله ان يُفيق عمــا قريب
وفؤادي بعــارضينِ مُصابٌ فهو داءٌ أعيــا فؤادَ الطبيب

وقال ايضاً :

شكا الخصرُ منه ما يلاقي بردفه ويُضْعِفُ غصنَ البانِ جرٌّ كثيب
اذا كان منه البعضُ يظلمُ بعضه فما حالُ مشتطٍّ الديار غريبِ

وقال ايضاً :

وذي شَفَةٍ لمياءَ زِيْنَتْ بشامة من المسكِ في تَرشافها يَذهبُ النسكُ

ظمئتُ اليهـا ريقةً كوثريّةً بمثلِ لآلي ثغرها يُنْظمُ السلك
تُعَلُّ بمعسولٍ كأن رُضابَهُ مُدامٌ من الفردوس خاتمهُ مسك

وقال ايضاً رحمه الله :

بعيد ودٍّ ، قريبُ صدٍّ كثيرُ عَتْبٍ ، قليلُ عتبى
(٢٣ب) كالشمسِ ظرفاً ، كالمسك عرفا كالخِشْفِ طرفاً ، كالصخر قلبا

٢٤ – الشيخ ابو عثمان سعيد [1] بن احمد بن ليون * رحمه الله :

شيخ مولع بالتأليف والتدوين ، متميز بذلك في بلده تميز أواخر الاسماء بالتنوين ، ويلخص ويوجز ، ويظن انه يعجز ، وكان شديد التخلق ، متعلقاً بأهداب الفنون أشد التعلق ، شهير الايثار ، وبعيداً عن الجمـــع والاستكثار ، بضاعته خزانة جمعت الآباء والامهات ، والفرقد والمهاة ، والحقائق والترهات ، لا يزال عاكفاً على دنانها ، وجانياً لألفاف جنانها ؛ حسن المجلس ، مقصوداً من الغني والمفلس ، خفيف الروح ، آوياً الى الصدر المشروح ، وشعره يلم بالاجادة احياناً ، فيبين [2] المقاصد بياناً ، فمن ذلك قوله [3] :

....

١ – هكذا هو في جميع النسخ وفي نيل الابتهاج : سعد .

* هو أحد أشياخ لسان الدين ، كان مولعاً باختصار الكتب ، قال المقري : وتواليفه تزيد على المائة ، وقد وقفت منها بالمغرب على أكثر من عشرين ؛ (النفح ٨ : ٥٨ حيث أورد له مجموعة كبيرة من مقطعاته الشعرية ، وله ترجمة في نيل الابتهاج : ١٠٥ (ط . فاس) .

٢ – ج ك : فبين .

٣ – الابيات في النفح ٨ : ١٠٠ وذكر انها وما يليهـــا من كتابه « انداء الديم في المواعظ والوصايا والحكم » .

ارحِ النفسَ تنتفعْ بحيــاتِكْ   واغنمِ العيشَ قبلَ يومِ وفاتِكْ
واطّرحْ عيبَ مَنْ سواكَ وسالمْ   جُملةَ الناس يَغفَلوا عَنْ أذاتك
واعتبرْ بالذين بادوا وبادرْ   ما يدانيك من سبيلِ نجاتك

وقال أيضاً رحمه الله[1] :

كنْ معَ الناسِ كيفَ كانوا ووافقْ   انّ مَنْ لا يوافقُ الناسَ مائقْ
من يخالفْ في شيءٍ الناسَ يرجعْ   هدفاً للسهامِ من كلِّ راشق

وقال في المعنى[2] :

خالفِ النفسَ في قُصُودِ هواها   تَبْقَ ما عشتَ سالماً من اذاها
فاتّباع الهوى هوانٌ ولكنْ   هانَ للنفسِ كي تنالَ مُناهـا

وقال يحرض على طلب العلم[3] :

العلمُ نورٌ وهـدى   فكنْ بجـدٍ طالبَهْ
واحرصْ عليه واعتمدْ   فيه الامورَ الواجبـه
من لازمَ العلمَ علا   على الانامِ قاطبـه

وقال ايضاً رحمه الله :

فلا تَكلمْ بما تخشى أذاك ولا   بما يُعابُ وحاذرْ ذا وذا أبدا
ولا تقلْ غير مالو كنت تُسمعُهُ   كلَّ الورى لم تَعِبْ ولم تَخفْ احدا

---

١ ـ المصدر نفسه .
٢ ـ المصدر نفسه .
٣ ـ المصدر السابق نفسه .

٢٥ – المقرىء النحوي ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن لب الامير[1] ابن الصائغ* :

فاضلٌ رحيبُ باع ، في ميدان انطباع ، ومــد واشباع ، ركض في ميدان الراحة. طلق عنانه ، وتفسح في جنان جنانه ، متمتعاً بأفنانه ،غير مبال بجنانه في طاعة جنانه ، ثم رحل للبلاد ، مستجداً للميلاد ،فاستأنف العمر وجنى الثمر ، وسلا في النيل[2] وشخاتيره ، عن شم قتيره ، ومكايدة تقتيره ، فتمشت حاله يغبطها الولي ، ولا يستطيعها ببلاده الملي ، ولا من له القدر العلي ، الى أن استأثر به من له البقاء الأزلي ، وكان له شعر ينجده الطبع المعين ، فتتخايل في جناته الحور العين ؛ فمن ذلك قوله[3] :

بُعْدُ المزارِ ولوعةُ الأشواقِ ... حَكما بِفَيْضِ مدامعِ الآماقِ
وخفوقُ نجديِّ النسيمِ اذا سرى ... أذكى لهيبَ فؤاديَ الخفّـــاق
أَمُعللي أنَّ التواصلَ في غــدٍ ... من ذا الذي بغــدٍ فديتكَ باق
ان الليالي سُبَّقٌ إن اقبلتْ ... واذا تولتْ لم تُنَلْ بلحـــاق

---

١ – النفح : الامي ، وفي البغيه : الا-وي.

* ترجم له لسان الدين في التاج والاحاطة وفي الثاني نقل عن كتاب « المؤتمن على انباء ابناء الزمن » لأبي البركات . ووصفه بالميل الى الراحة والدعة مع ذكاء ونباهة ومعرفة بالتلاحين وكان يغني بالمرية ثم ذهب الى غرناطة وقرأ فيها العربية وارتحل الى المشرق في حدود ٧٢٠ فلم يتجاوز القاهرة لموافقة هوائها علة كان يشكوها وبها اقرأ العربية . (انظر النفح ٨ : ٣٣١ وبغيــة الوعاة : ٦٠) توفي سنة ٧٤٩ .

٢ – ج : وسما بالنيل .

٣ – النفح ٨ : ٣٣٣ .

عُجْ بالمطيِّ على الحمى سُقِيَ الحمى صَوْبَ الغمام الواكفِ الرقراق
فَبِهِ لذي القلبِ السليم ودادُهُ لا كانَ في الأيام يومُ فراق
ياسارياً والليلُ ساجٍ عاكفٌ يَفْري الفلا بنجائبٍ ونياق
(٢٤ب) عرِّجْ على مثوى النبيِّ محمد خيرِ البرية ذي المحلِّ الراقي
ورسولِ ربٍّ العالمين ومن له حفظُ العهود وصحةُ الميثاق
الظاهرُ الآياتِ قام دليلها والطاهرُ الاخلاقِ والأعراق
بدرُ الهوى البادي الذي آياتهُ وجبينُهُ كالشمسِ في الأشراق
الشافعُ المقبولُ مَنْ عمَّ الورى بالجودِ والإرفادِ والإرفاق
والصادقُ المأمونُ اكرمُ مُرْسَلٍ سارتْ رسالتُهُ الى الآفاق
أعلى الكرامِ ندى وأبسطهُمُ يداً قَبَضَتْ عنانَ المجدِ باستحقاق
من صيّر الأديان ديناً واحداً من بعدِ إشراك مضى ونفاق
وأَحَلّنا مِنْ حرمة الاسلامِ في ظلٍّ ظليلٍ وارفِ الأوراق
لو أنَّ للبدرِ المنيرِ كماله (١) ما طاله كسْفٌ وكشفُ محاق
أو ان للآباءِ رحمةَ قلبه ذابتْ قلوبهمُ من الإشفاق
ذو الحلم والعلم الخفيِّ المنجلي والجاهِ والشرفِ القديم الباقي
آياتُهُ شُهْبٌ وغرٌّ بنانه سُحُبُ النوالِ تدرُّ بالأرزاق
ذو رأفةٍ بالمؤمنين ورحمةٍ وهدىً وتأديبٍ بحسن سياق
وخصالِ مجدٍ أُفردت بالخصْل في مرمى الفخارِ وغايةِ السبَّاق

ومنها بعد كثير :

يا ذا الذي اتصل الرجاءُ بحبله وأنبتَّ من هذا الورى بطلاق

---

١ ــ ج ك : كفاله .

حُبّي إليك وسيلتي وذخيرتي إني من الاعمالِ ذو إملاق
وإليك أعملتُ الرواحلَ ضُمّراً تختالُ بين الوخدِ والاعناق
نُجُباً إذا نشَرَت حُلى تلك العلا تطوي الفلا ممتدةَ الأعناق
تحدو لهنَّ من النحيب[1] تردد وتقودهنَّ أزمّةُ الأشواق
غَرَضٌ إليه فوَّقتَها أسهماً وهي القسيُ بُرِينَ كالأفواق
(٢٥آ) فأنختها بفنائكَ الرحبِ الذي وَسِع الورى بالنائلِ الدفّاق
وقِرى مؤملكِ الشفاعةُ في غدٍ وكفى بها هِبةً من الرزّاق
وعليك يا خيرَ الأنام تحيةٌ تحيي النفوسَ بنشرها الفتاق[2]
تتأرجُ الأرجاءُ من نفحاتها أرجَ النديِّ بمدحك المصداق

٢٦ — **الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد بن بيش العبدري*** رحمة الله عليه :

شيخ قديم الطلب ، حمد المأمَّ والمنقلب ، معروف انقباضه وصونه ، منذ تعيّن كونه ، عانى صناعة النحو ، بين الاثبات والمحو ، واشتهر بالالحاح على كتاب الصحاح ، واقتصر على التجارة في الكتب ، فيا شد ما اتكل

١ — د : الرحيب ؛ ك : النجيب .
٢ — هذا البيت والذي يليه سقطا من د.

* قال فيه لسان الدين في موضع آخر : له في صنعة العربية باع مديد، وفي هدفها سهم سديد . . تميز اول وقته بتجارة الكتب فسلطت عليه منها أرضة آكلة . . وانتقل لهذا العهد الاخير الى سكنى مسقط راسه ، ومنبت غراسه ، وجرت عليه جراية من احباسها ، ووقع عليه قبول من ناسها (النفح ٨ : ٣٥١) ترجم له في الاحاطة ، انظر بغية الوعاة : ١٠٠ مولده في حدود ٦٦٠ ووفاته في رجب عام ٧٥٣ .

خطره بأم[1] ، وكم خير من عزيز علمه فقده في كم[2] . صحبني في بعض خطراتي بسبتة رسولاً فأعدته الى بلده يقيم به رسم الاقراء ، فجهد زنده[3] في الايراء ، بعد ما نبذه بالعراء ، فتمشت به حاله ، الى أن قوضت الى العالم الحق رحاله ، وكان له في الشعر نصيب ، وبين الخواطر سهم مصيب ، انشدني بدار صنعة سبتة عام اثنين وخمسين وسبعمائة يجيب عن الابيات التي اولها :[4]

« يا ساكنا قلبيَ المعنى »

نحلتني طائعـــاً فؤاداً — فصار إذ حزُته مكاني

لا غروَ إذ كان لي مضافاً — أني على الكسرِ فيه بانِ

وأنشد في التاريخ المذكور يخاطب ابا العباس عميد سبتة وقد أهدى اليه اقلاماً[5] :

اناملك الغرُّ التي سَيْبُ جودِها — يَفيضُ كفيضِ المزنِ بالصيّبِ القطرِ

أتتنيَ منها تحفةٌ مثلُ حدّهـــا — اذا أنْتُضِيَتْ كانت كمرهفة السمر

هي الصُّفْرُ لكنْ تعلمُ البيضُ أنها — مُحكمةٌ فيها على النفعِ والضر

(٢٥ب) مُهَذّبةُ الاوصالِ ممشوقةٌ كما — تصاغُ سهامُ الرمي او خالصُ التبر

فقبّلتهـــا عشراً ومثّلتُ أنني — ظفرتُ بلثمٍ في أناملكِ العشر

---

١ ـ سقطت العبارة من ج ، وهذه هي رواية د ك ، وهي غير واضحة .
٢ ـ خ بهامش ك : وكم قبر من عزيز عليه فقده في كم .
٣ ـ زنده : سقطت من ج .
٤ ـ هما بيتان لابن العفيف التلمساني ، وعجز البيت : وليس فيه سواك ثاني . انظر النفح وقد اكله بهامش ك .
٥ ـ المصدر نفسه .

وأنشدني في التاريخ المذكور في ترتيب حروف الصحاح قوله [1] ،

أساجعـــةً بالواديين تبوأي ثماراً جنتها حاليات خواضبُ
دعي ذكرَ روضٍ زانه سقي شربه صباحَ ضحىً طيرٌ ظماءٌ عصائب
غرامُ فؤادي قاذفٌ كلَّ ليـــلة متى ما نأى وهناً هواه يراقب

ومن مطولاته ، ورَفَعها إلى السلطان على يدي :

ديارٌ خطَّها مجـــدٌ قديم وشاد بناءَها شَرَفٌ صميمُ
وحلَّ جنابهـــا الاعلى عـــلاءٌ يُقصِّرُ عنه رضوى أو شميم
سقى نجـــداً بها وهضابَ نجـــدٍ عهـــادُ ثرَّةٌ وحيـــاً عميم
ولا عدمت رباهُ ربابَ مزنٍ يغادي روضهنَّ ويستديم
فيصبحُ زهرُهـــا يحكي شذاه فتيتَ المسكِ يُذكيـــه النسيم
وتنشرهُ الصَّبا فـــتريكَ دراً نثيراً خانَهُ عِقْـــدٌ نظيم
وظلتْ في ظلالِ الأيك تشدو مُطوَّقةٌ لهـــا صوتٌ رخيم
تُرَجِّعُ في الغصونِ فنونَ سجعٍ بألحـــانٍ لها يصبو الحليم
أهيم بملتقى الوادي بنجـــدٍ وليس ســـواهُ في وادٍ اهيم
وكنت صرفتُ عنه النفس كرْهاً ومـــا برحتْ على نجدٍ تحوم
وما ينفكُّ لي ولهـــا نزاعٌ الى مغنىً بـــه مَلِكٌ كريم
له بيتٌ سما فـــوق الثريّا وعزٌ لا يخيّمُ [2] ولا يَريم
تبوأَ من بني نصرٍ علاهـــا وأنصـــارُ النبيِّ له أروم

---

١ ـــ المصدر السابق نفسه

٢ ـــ كتب فوقها « كذا » في ج ، وخام : نكل وحاد .

أفاض على الورى عدلاً ونيلا   سواءٌ فيه مُثْرٍ أو عـــديم
مـــلاذٌ للملوكِ اذا ألمَّتْ   صروفُ الدهرِ او خطبٌ جسيم
(٢٦ آ) تؤمِّله فتأمنُ في ذَراه   وتدنو من عُـــلاه فتستنيم
ويبدو في نديِّ الملكِ بدراً   تحفُّ به الملوكُ وهمْ نجـــوم
بوجـــهٍ يوسفيِّ الحسنِ طلقٍ   يُضيءُ بنورهِ الليـــلُ البهيم
وتلقاهُ العفـــاةُ له ابتسامٌ   ومنـــه للعـــدا أخذٌ أليم
فيا شرفَ الملوكِ لك انقطاعي   واني في محلكمُ خـــديم
وآمـــالي أَملتُ اليكَ حتى   وردنَ على نداك وهنَّ هِيمُ
فلا ظمأ وورْدُكَ خيرُ وِردٍ   نميرٌ مـــاؤُهُ عَذْبٌ جميم
ولا أضحى وفي مغنـــاكَ ظلٌ   ظليلٌ حـــين تحتدم السَّموم
ركبتُ البحر نحوك والمطايا   تسير لهـــا ذميلٌ أو رسيم
وإن عُلاكَ إنْ عطفتْ بلحظٍ   عـــليَّ فذلك العزُّ القديم [1]
فوا أسفي على عمرٍ تقضَّى   بدارٍ ليس لي فيها حميم
سوى ثمرِ الفؤادِ ذهبتُ عنها   وبين جوانحي منهـــا كلوم
ودونَ لقائهـــا عَرْضُ الفيافي   وبحرٌ مَوجُـــهُ طوْدٌ عظيم
لعـــلَّ الله يُنـعِمْ باجتماعٍ   وينظمُ شملنا البرُّ الرحيم
بقيتَ بغبطةٍ وقرارِ عينٍ   بملكٍ سَعْدُهُ أبـــداً يدوم
كما دامتْ حُلى الأنصار تُتْلى   يُشيدُ بذكرها الذِّكرُ الحكيم
عليكَ تحيـــةٌ عطرٌ شذاها   كعَرْفِ الروض جادته الغيوم

---

١ ــ خ بهامش ك : القويم .

٢٩ – **المتكلم ابو الحسن علي بن ابراهيم الرقاص** ، رحمه الله تعالى :

رجل متهور ، وفي اقبح الاطوار متطور ، يأوي الى ابوة خـــاملة ، وحماقة على حملة العلم حاملة ، إلا انه ظهر باجتهاده ، وترفع عن وهاده ، واستمرت حاله على تـكلف ، الى ان مات قتيلاً في سبيل تخلف . ومن شعره :

(٢٦ب) أنسياناً فديتُكَ يا حياتي لمـن لم ينسَ حبَّكَ للمماتِ
وَرَجماً بالظنون أخا حنينٍ اليك حليفَ شوقٍ وأنبتات
يميناً بالنهـــار اذا تجـلى وبالقمرِ المنـــير وبالاياة
لقد احللتُ حبَّك من فؤادي محلَّ الروح من بيتِ الحيـاة

٢٨ – **المقرىء ابو عبد الله محمد بن سعد**[1] **بن بقي** * ، رحمة الله تعالى عليه :

هذا الرجل فاضل الوقت[2] ونعتذر عن القيد ، ونقول اذا ذكرت المحاسن : « كل الصيد »[3] ، اما خلقه الجميلة فخميلة ، واما محادثه فجريال

* ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة ووصفه بكرم العشرة وبسط الكف والعفـة والحشمة وسعة الخلق . توفي سنة ٧٩١ (انظر نيل الابتهاج : ٢٧٩ ط . فاس) .
١ – ك : سعيد .
٢ – الوقت : سقطت من ك .
٣ – يشير الى القول المأثور : كل الصيد في جوف الفرا .

مستميلة ، واما فوائده فجزيلة ، وللشكوك مزيلة ، ينتهي في العلم والدين الى مجـــد ، ويشير من سلفه الى علم نجد ، ويدرس العلم حلف سداد ، واستظهار بالتحصيل والرأي الاصيل واعتداد . وقام بالرباط الذي بنيناه بالحضرة قياماً ارضى الوارد ، واعذب الموارد . وله نظم لا تنكر الاجادة نسبه ، ولا تنازع مكسبه . فمن ذلك ما انشدنيه مما نظمه عنـد مواراة جنازة [1] :

كم أرى مُدْمِن لهوٍ وَدَعَهْ   لستُ أُخلي[2] ساعةً من تَبِعَهْ

كان لي عذرٌ لدى عهـد الصبا   وانا آمُـــلُ في العمرِ سعه

أوما يوقظنـــا مَنْ كُلُّنا   آنفـــاً [3] لقبره قد شيَّعه

سيَّما إذ قـــد بدا في مفرقي   ما إخالُ الموتَ قد جاءَ معه

فدعوني ساعةً أبـــكي على   عُمُرٍ أمسيتُ من ضيعـــه

---

١ ـ الابيات في نيل الابتهاج : ٢٧٩ .

٢ ـ فوقها في ج ك كلمة « كذا » .

٣ ـ فوقها « كذا » في ج .

٢٩ – الفقيه ابو محمد عبدالله بن ابي القاسم بن جزي الكلبي * رحمه الله :

خزانة تنفق الأدب إذا كسد ، وتصلح من أدواته ما فسد ، ونفس لا تناسب الجسد ، هي حركة في جمود ، وبحر مجمود ، في طي [1] منزور (٢٧ آ) مثمود ، وذهول ، غطى على ربع مأهول ، وروض مفتَّح َنوْر ، إلا أنه محتجب في غـوْر ، ان ذكر النحو أزرى بحفـَّاظِ بصرته ، وسلَّ على كافة الكوفيين صوارم نصرته ، أو ذكر البيان ، أنسى الخبر العيان ، الى مجادة سندها معنعن ، واصالة ليس فيها مطعن ، يعضدها عم وخال ، ويزين اعلاها وأسفلها خال وخلخال ؛ وهو اليوم بمدرسة الحضرة يعرب فيغرب ، فيباهي [2] به على المشرق المغرب ، وشعره وان شغلته عنـــه شواغل الفنون ، مظنة اللؤلؤ المكنون ، وشاهدٌ لعناية الله تعالى بالحمأ المسنون ، وايجاد المعدومات بين الكاف والنون ؛ فمن شعره من المقطوعات يوري بألقاب من العروض :

لقــد قطّعتَ قلبي يا خليلي بهجرٍ طـال منك على العليلِ
ولكن ما عجيبٌ منك هــذا اذ التقطيع من شأْنِ الخليل

---

* ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة وقال : قريع بيت نبيه وسلف شهير .. حافظ قائم على العربية ، شارك في فنون لسانيه ، قعد للاقراء بغرناطة ثم نقدم للقضاء ؛ أخذ عن والده ابي القاسم أشياء كثيرة وعن ابي البركات بن الحاج (أنظر نيل الابتهاج : ١٢٩ ط فاس).

١ – في جميع النسخ : فطر ؛ والتصويب عن خ بهامش ك

٢ – خ بهامش ك : ويباهي .

ومن التورية النحوية قوله :

لقد كنتُ موصولاً فأبدل وصلكمْ بهجرٍ وما مثلي على الهجرِ يصبرُ
فمـــا بالكمْ غيرتمُ حالَ عبدكم وعهديَ بالموصول لا يتغير

ومن التورية بالعدد وهو مليح :

يا ناصباً علـمَ الحسابِ حبالةً لقناصِ ظبي[1] ساحرِ الألباب
ان كنت تُرْزَقُ بالحسابِ وصالهُ فاللهُ يرزقنا بغـــيرِ حساب

ومن التورية العروضية :

لقـد كمُـلَ الودُّ مـــا بيننـا ودُمنا على فرحٍ شامـــلِ
فإن دخل القطعُ في وصلنا فقد يدخلُ القطع في الـكامل

(٢٧ب) وقال في تضمين مثل :

ألا أكتمْ حبَّ منْ أحببتَ وأصبرْ فانّ الهجر يُحْدِثُهُ الكلام
وان أبـــداهُ دمعٌ أو نحولٌ فمن بعدِ أجتهادكَ لا تُـلام

ومن التورية بأسماءِ كتب جواباً عن معمى :

لك الله من خل حباني برقعةٍ حبتنيَ من أنبائهـا بالنوادرِ
رسالةُ رمزٍ في الحجال مُهابةٌ ذخيرةُ نظمٍ أُتحفتْ بالجواهر

ومن النسيب قوله :

واشنبِ الثغرِ له وجنةٌ تعدّت النحلُ على وردها
ما ذاك إلا حسداً إذ رأتْ رضابَه أعـذبَ من شهدها

---

١ ــ خ بهامش ك : ليصيد ظبياً .

وقال في النسيب ايضاً :

لئنْ كان بابُ القربِ قد سُدَّ بيننا ولم يبقَ لي في نيلِ وصلكَ مطمعُ
وأُخفرَ عهدي دون ذنبٍ جنيتُهُ
وأصبحَ وُدِّي فيكَ وهو مُضيَّع
ولم تَرْثِ لي مما ألاقي منَ الأسى
وصرتُ أُنادي منكَ مَنْ ليس يسمعُ
وضاقتْ بيَ الأحوالُ من كل وجهة
لَما أرتجي من رحمةِ الله أوسع

وقال رحمه الله يخاطب رجلاً من اصحابه [1] :

ابا حسنٍ ان شتَّتَ الدهرُ شملنا فليس لودٍّ في الفؤاد شتاتُ
وإنْ حلْتَ عن عهدِ الإخاءِ فلم يزلْ لقلبي على حفظِ العهودِ ثبات
وهبني سَرَتْ منّي اليكَ إساءةٌ ألم تتَقَدَّمْ قبلَها حسنات

وقال وهو مما نظمه في التضمين وفيما يظهر منه :

لقد صرتَ في غصبِ القصائد ماهراً
فما اسمُ جميع الشعرِ عندك غيرُ لي [2]
ولم تُبقِ شعراً لامرىءٍ متأخرٍ
ولم تُبقِ شعراً يا ابن فعلٍ لأول

---

١ ـ أورد المقري هذه الأبيات في أزهار الرياض (٣ : ١٩٥) منسوبة لمحمد بن جزي صاحب الترجمة رقم : ٧٨ فيما يلي .

٢ ـ هامش ك : ولو قال عوض الشطر « فا لك حظ في قريضك غير لي » لكان أوضح .

فشعرَ جريرٍ قـــد غصبتَ ورؤبةٍ
وشعرَ ابنِ مَرْج الكحلِ وابن المرحّلِ
وان دام هــذا الأمرُ أصبحتَ تدّعي
« قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل »

وقال في التورية :

الى الله اشكو غدر آل تودّدي اليَّ فلما لاح سرّي لهم حالوا
لقد خدعوني اذ أروني مودةً ولكنه لا غَرْوَ أنْ يخدعَ الآل

وهو الآن فتى بقيد الحياة يتولى ما ذكر .

٣٠ — المقرىء ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العظيم * رحمه الله :

بقية بيت ، وكيت وكيت ، وحسب ميت ، وفتيل سراج قديم عهده بزيت ؛ أقام رسم الاقراء ببلده على لُوثةٍ تُخِلُّ بخلاله ، وتطرق[1] حدّه بكلاله ، وكان النحو محطّ رحاله ، ومعوّلَ انتحاله . وله شعر مهلهل ، لا يُجَمُّ به منهل ، ولا يُعْلَمُ به مجهل ، فمن ذلك قوله يمدح الامير بسبتة ويصف الأسطول من قصيدة أولها :

امـا الوصالُ فانــه كالعيـد عُذْرُ المتيّم واضحٌ في الغيدِ

* ترجم في الاحاطة لمن اسمه محمد بن عبد العظيم بن ارقم النميري الوادي آشي ، وكنيته ابو عامر فلعله هو هذا . توفي سنة ٧٤٠ (انظر بغية الوعاة : ٥٨) .

١ — جك : وتطري .

منهـا :

بتنا وليس سوى النجومِ نديمنا نجني الازاهرَ منْ رياضِ خدودِ
حفَّ العناقُ بنا كأنا في الهوى غصنانِ معتنقانِ في تأويـد
نـُثني على يحيى الذي زان العلا بامـارةٍ وانارةٍ وصعود
ثم انثنينـــا عامدين لقصرِهِ في خير أسطولٍ وخـير بنود
نسري ونركبُ كلِطرْفٍ ما ونى عن كلّ شأوٍ في المياه مديد
قد نازعتْهُ الريحُ في فعلٍ[1] له فجرى مخافـــةَ ذلك المقصود
أَقدامُهُ عودٌ ولكنْ طوِّقَتْ ليئلا بنـــار مضرَّمٍ ووقود
وانظر الى ماءٍ ونار وأعتبرْ يا صاحِ كيف تجمَّعا في عود
(٢٨ب) وترٌ ولا لسواهُ إلا أربعٌ سرُّ السباق يبين في التعديد
ان قلتُ فيه البرق قلتُ حقيقةً لكنْ ندى يحيى سحابُ الجود
ان قلتُ إن الفلك أفلاكٌ فقلْ وجه الامير كمثلِ بدرِ سعود

١ – ج ك : فل .

— ٣ —

طبقة القضاة أولي الخلال المرتضاة [١]

وهذه الطبقة منحطة في البيان ، لاقتصار مداركها على علوم الأديان ، وما يصدر عنها فعلى جهة الافتنان وسخاء الافنان ، وربما ندر في هذه الطبقة ما يُعيي يدَ الحالب ، ويُحْسَبُ طلبَ الطالب ، لكن الحكمَ للغالب .

٣١ ـ الشيخ ابوجعفر احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن فركون القسري رحمة الله تعالى عليه * :

قاض ركب الكفاية ظهرا ، وجعل الاجتهاد للخطة مهرا ، قريع بيت ضيعة نَوّه به حظه ، فسمى الى الغاية لحظه ، اذ كان مولى على الاحكام ، فارعاً منها للاكام ، ماهراً في علم الفريضة ، طبيباً[١] لمعاناة مقاماتها

١ ـ سقط العنوان كله من ج .

* ولد سنة ٦٤٩ وتوفي سنة ٧٢٩ . ولي القضاء برندة ومالقة ثم ولي قضاء الجماعة بغرناطة ثم صرف عن القضاء في بعض الاحداث السياسية فانقطع الى ارض له خارج غرناطة . ترجم له ابن الخطيب في عائد الصلة والتاج والاحاطة ايضاً (الاحاطة ١ : ١٥٩) وقال : وذكره ابوبكر ابن الحكيم في كتاب « الفوائد المستغربة والموارد المستعذبة » من تأليفه . وانظر ترجمته في المرقبة العليا : ١٣٨ ونيل الابتهاج : ٣٩ (ط. فاس) وفيه نقل عن فهرسة الحضرمي .

١ ـ د : طالباً .

المريضة ، شديد القحة والصلف ، مزريـاً بالخلف والسلف ، يدعو المشيخة بأسمائها ، فتشجى بغمائهـــا ، وينبزها بألقابها [1] ، فتنجحر بانقابها ، تلوي برقابها ، وله نادرة شاردة ، وفـكاهات صادرة في مجلس القضاء وواردة ، يبدي بهـــا في مقصد الحـكم [2] ، وجوه الصم البكم ، فيهضم جبارها ، وتنقل اخبارها ، وكان ينظم شعراً منحطاً ، ويرتاد من طبعه جنـــاباً يشتكي قحطـاً ، فمن ذلك قوله يخاطب السلطان [3] :

شفاؤُك للملك اعتزازٌ وتأييدُ   وبرُؤك مولانا بـه عندنا عيدُ
مرضتَ فلم تَأْوِ النفوسُ لراحةٍ   ولا كان للدنيـا قرارٌ وتمهيـد
ولم تستطعْ عيني تراكَ مؤَمَّلاً   ولازمها طولَ اعتلالِكَ تسهيد
(٢٩ آ) فلما شفاك اللهُ وافى سرورُنا   ولم يبقَ للدنيا على الدهرِ تعديد
فللبشرِ بالأبلالِ في القلب موقعٌ   وللشكر في الأقوال لله ترديد
هنيئـاً وبشرى للعباد ببرئكمْ   نعم وبه الاعزازُ للدين موجود
شهدتُ بان الفتحَ يدنو مبادِراً   ويتلوهُ يومٌ في عداتك مشهود
وتملكُ أمصارَ العدا ورقابَهُمْ   وللنصرِ تاجٌ في لوائك معقود
لذاتِكَ في الدنيا اعتلاءٌ ورفعةٌ   وعزٌ وفي الآفاقِ ذكرك محمود
بقيتَ على مرِّ الدهور مملَّكاً   جنابُكَ محروسٌ وبابُكَ مقصود

وكتب يهنّىء بمولود :

هنيئـــاً للقيادةِ والمعـــالي   وبشرى للمجادةِ والجلالِ

---

١ ـ وينبزها بألقابها : سقطت من د ج .
٢ ـ خ بهامش ك : يسم بها في مجلس الحكم .
٣ ـ وردت الأبيات الثلاثة الأولى في الاحاطة ١ : ١٦٢ .

بمولودٍ بمولـــده ٱستقامتْ لوالدِهِ السعود على التوالي
به بلغت أمانيـــه مناها به غدتِ المكارمُ في ٱحتفال
سيطلعُ في سماءِ المجـدِ بدراً ومنصبُه على الجوزاءِ عـال
ويغـدو بالنفاسةِ في ٱبتـداءٍ ويحظى بالرئاسةِ في المـآل
ويحرسهُ الإله بعينِ حفـظٍ ويمنحه البقـــاءَ مدى الليالي
تباكرك المسرةُ كلَّ يومٍ ويصحبُكَ السُرور بلا ٱنفصال

وقال في شأن ما كان يُقرَفُ[1] به غفر الله له[2] :

انا منَ الحكمِ تائبْ وعن دواعيـه راغبْ
بعـد التفقـه دهري ونيـلِ أسنى المراتب
اصبحتُ أُرمى بعـارٍ للحـالِ غـيرِ مناسب
اشكـو الى الله بـثّي فهو المثيبُ المعـاقب

٣٢ - الشيخ القاضي ابو عبد الله محمد بن يحيى بن غالب (٢٩ ب)

كان هذا الرجل ممن ينتحل الأدب في جيله ، ويتبرع بمجاولة مُجيله ، ويكتب قاضي[3] الاستحسانِ ، على اغراضه الحسان بتسجيله ، فاشتهرت ابياته ، وحفظت مبتدهاته ومروياته ؛ فمن ذلك قوله يمدح السلطان ويصف الاسطول من قصيدة طويلة :

---

١ - خ بهامش ك : يعرف .
٢ - انظر الابيات في الاحاطة ١ : ١٦٢ .
٣ - في هامش ك : قضايا .

أضاءَتْ بكَ الدنيا وأشرقَ نورها ولاح عليها بشرها وسرورُها
وقد طلعَتْ بالسعدِ منكَ سعُودها كما صلحَتْ بالامر منك أُمورها
فكلٌّ الى مرآكَ هزّته وَحشَةٌ كما استوحشتْ غرناطةٌ وقصورها
وبان بأنَّ الحقَّ حقُّكَ في العلا وبانَ بكم إفكُ العداةِ وزورها
فمن لم يقوّمْ ميلهُ عنكَ عقلُه تقوّمهُ أعجازُ القنا وصدورها

منها في وصف الاسطول :

بعثتَ لتأمينِ البحورِ جنودَها بها أمِنتْ كالبر منها بحورها
شوانيَ تحكيها انقضاضاً شواهنٌ وان صرّ صرتْ يوماً حكاها صريرها
وان قيل غربانٌ فمنْ أجل أنها نواعب ارواحِ العدا اذ تغيرها
وان قيلَ عقبانٌ فغيرُ حقيقةٍ والا على التحقيقِ فهي وكورها
تخطفُ اذ تنقضُّ كالنجم يرتمي بغاثَ العدا عقبانُها وصقورها
تجاذُبها اجناحها شَبهاً كما نواظرُها زرقُ العيونِ وحورها
لها صفحاتُ الماءِ مثلُ صحائفٍ وتلك الجواري المنشئاتُ سطورها
ميامينُ في الاسفار أنى تيممتْ فباليمن والإقبالِ يأتي سفيرها

ومن شعره في غرض النسيب :

آهِ من لوعتي وممّا أُعاني ضاق صدري بالسرِّ والكتمانِ (١)
كنتُ أُخفي عن الوشاةِ الى أن فضحتني بدمعها أجفاني
(٣٠آ) ولئن دام يا خليليَّ ما بي فاحسباني بالحبِّ لا شك فان

١ ـ هذا البيت والذي يليه سقطا من د .

ونحولي على غرامي دليـــلٌ شاهدٌ بالذي يُجنُّ جَناني
مذ زمانٍ قدكنتُ أُخفيولكنْ منْ نحولي لم يدرِ مني مكاني
يا فؤادي صبراً عسى مَنْ قضى بالبعدِ يقضي من بعده بالتداني
يا زمانَ الوصالِ هل من رجوعٍ حفظَ اللهُ عهدَ ذاك الزمانِ
أين وردٌ وسوسنٌ كنتُ أجني أين شهدٌ رشفتُ من أُقحوان
بتُّ ليلي والبدر فيـــه نديمي مخجلاً بدرَه ببدرٍ ثانِ
قائلاً للحسَّادِ موتوا بغيظٍ نلتُ ممن أُحبُّ كلَّ أمان
ولكم بتُّ أرقبُ النجمَ سُهداً ودموعي كالوابـلِ الهتان
باسطاً لليدين أدعو بذلٍّ ليس لي بالبعاد منـك يدان

٣٢ – الشيخ القاضي المسن ابو جعفر احمد بن عتيق الشاطبي *

من الاكليل ؛ رحمه الله تعالى بمنه :

شيخ طالت مصاحبتـه للأنساء ، وملازمتـــه للاصباح والأمساء ، طالمـا نظر بـين غني ومسكين ، وذبح بغير سكين ، يقضي عمره في الحقوق ، ويهب بين رعود وبروق ، واكتسب مـالاً ، وبلغ من الدهر آمالاً ، الى ان اوثقته اشراك الحمام ، وكل شيء فإلى تمـام . وله شعر

---

* كان صدراً في صنفه من شيوخ الطلبة وقدماء القضاة ضابطاً للشروط عارفاً بالوثائق بصيراً بعللها . توفي ببرجة بعد صرفه عن القضاء عن سن يقارب التسعين أو يزيد عليها عام ٧٤٣، ذكره الحضرمي في فهرسته . انظر نيل الابتهاج : ٤٦ (ط . فاس) .

خفيف الروح ، ودعابة توسى بها الجروح ، فمن ذلك قوله يخاطب نفسه :

تراختْ بكَ الدنيا وجدَّ بك السَّيْرُ
وأُشغلتَ بالفاني وقد زهد الغيرُ
فحتى متى تكبو السوابقُ في الثرى
وتصحبُ رجلاك السلامةَ يا عَيْرُ
عَدَتْ بك عن نيلِ المعيشة كَبْرَةٌ
تراختْ لها الاعضاء وٱسْتُنْزِرُ الخير
وَقلَّ انتفاعُ الأهل منكَ فأعرضوا
كأنك فرخٌ مَلَّ منْ زَقِّهِ الطير
مُرادُ الغواني منك خيرٌ ووزنُهُ
فها أنت لا خيرٌ لديك ولا أير

وقال وقد استسلم للقضا ، وعجز عن خطة القضا ، وتلقى امر الله جل جلاله بالرضى :

قد عجزتُ عن القضا كلُّ شيءٍ الى ٱنقضا
أغمدَ الدهرُ مُرْهَفاً كان منّا قد ٱنتضى
كلُّ ما يفعلُ الإله قبلناهُ بالرضى
نسألُ اللهَ عفوَهُ ٱلمرتجى في الذي مضى

٣٤ – الشيخ القاضي ابو جعفر احمد بن محمد بن سعيد بن ابي حبل المعافري رحمة الله عليه

فذ تثنى عليه الخناصر ، وصدر لا يحصر فضائلَهُ حاصر ، وقاضٍ يريش سهامَ الاحكام وَيَبريها ، ويزيلُ بنظره الشُبَهَ التي تعتريها ، ويطبق مفاصل الفصل ، بذهنه الذلق النصل ، فيعرّيها ، تولى الاقطار فازدانت ، وتقلد الاحكام فلاحت المعْدَلةُ وبانت ، وظهرت الحقوق الشرعية حيث كانت ، واما الأدبُ فكان من سُبَّاق جلبته ، وَفُرَّاع هضبته ، وان كان بغير فنه معروفاً ، والى سواه من الفنون الشرعية مصروفاً ؛ فمن شعره :

تكفّلَ بالرزقِ الذي تستحثُّهُ   الهُكَ فلتُجْمِلْ اذا انتَ طالبُهْ

وكن ساعياً فيه على وَفْقِ أمره   شكوراً له فالشكرُ لا شكَّ جالبه

واياك والسعيَ المذلَّ فانه   ينالُكَ منه ما أنالكَ واهبه

دعِ الحرصَ فيه واسألِ الله بسطةً   فما الحرصُ مُدْنيه ولا البطءُ سالبه

فيا رُبَّ وانٍ ناله كيف ما اشتهى   وربّ حريصٍ أعوزته مكاسبه

(٣١ آ) وقال وهو من شواهد كماله :

عتوّي كلَّ يومٍ في آزديادٍ   وعمري في انحطاطٍ وانتقاص

ولذاتي تقضّتْ وآتّباعي   بها باقٍ إلى يوم القصاص

ولي حاجاتُ نفسٍ لا أرى ما   أُشيرُ اليه منها غيرَ قاص

وقد حُمّلتْ أعباءَ ثقالاً جوافيَ لا تنوءُ بها قلاصي
ويبطئني المعاشُ ولا عتابٌ على قدر لرزقٍ ذي اعتياص
أُلاقي دونه حرباً عواناً بأعداءٍ على قتلي حراص
َثنوْا نحوي أعِنتَّهمْ طلاباً وجاسوا بالأداني والأقاصي
فمهما لحتُ أَصْمَتْني سهامٌ نوافذُ لا تقي منها دلاصي

وقال يتفجع لعمره الماضي ، وزمانه المتقاضي ، ويرتقب غريم التقاضي :

مضى من دنّ عمري كلُ صفوٍ فما أبغي من الدرديّ لهفي
وولتْ طيباتُ العيشِ عني وأعوزَ من بقاياها التشفي
فلا قَدَمٌ تساعدني لمشيٍ ولا بَصَرٌ برئيٍّ يُوَفي
ولذاتُ المطاعمِ شرُّها ما غدا[1] بالسنِّ من خلل وضعف
وذا داعي المنونِ ضحىً ومسىً يُناديني هلمَّ نداءَ عُنف
فلي هَرَبُ المروع يروم منجىً أمامي وهو لا ينفكُّ خلفي
وقد جعلتْ لي الستونَ قيداً وثيقاً مؤذناً بلحاقِ حتف
وشيبي مُنْذِرٌ لو أن نفسي تطاوعُ بالمتابِ بغيرِ خلف
فكم وعدٍ لها من بعد وعدٍ ولكن ما لها عزمٌ موفي
وليس سواك يا مولاي أرجو على إسرافيَ الأحرى بصرف
فعاملْ بالجميل جميلَ ظني وقابلْ نُكر أفعالي بعُرف

---

١ ـ ج : غدت .

(٣١ ب) ومن شعره مقتطعاً من ابيات :

أقولُ لها من بعدِ ما كدتُ للهوى
أميلُ وأعصي داعيَ الرشدِ والنصحِ
إليكِ فهذا الشيبُ أوْضَحَ صُبْحُهُ
وقد أوجبَ الامساكَ متضحُ الصبح
فصدَّت وأغرتْ بالخضابِ لعلها
تسومُ دليلَ الحكم يوماً من القدح
فقلت كفى بالزور في الوجه شاهداً يحطُّ جميلاً في الوقار الى قبح

٣٥ - القاضي ابو القاسم محمد بن يوسف المعروف بابن الجقالة :

صدر في القضاة ، وينبوع للخلال المرتضاة ، وطابع لسيوف الكلام المنتضاة ، شب في الحكم وشاب ، وورد الجمام والاوشاب ، وسلك من الادب على السنن المأثور ، وركض جياد المنظوم والمنثور ، فكان مخصوصاً في أهل زمانه بالاجادة ، إلى ما تميز به من الاصالة والمجادة ، ومن شعره في غرض النسيب :

أَعِدِ التفاتَكَ في الهوى لمتيَّمٍ يشكو النوى من ظالمٍ متظلِّمِ
لو كنتَ تسمحُ بالتفاتك ساعةً لرأيتَ كيف أذابَ حبُّكَ أعظمي
جسمٌ نحيلٌ لو وقفتَ برسمه لعرفتَهُ من بعد طول توهم
أخفى الضنى جسدي فصار كأنه معنىً خفيٌّ في كلامٍ مبهم
ولنارِ شوقي في الضلوعِ توقّد ويزيدها دمعي التهابَ تضرم

وعجبتُ من ضدين كيف تجمَّعا   النارُ تُضرَمُ والمدامع تَنهمي
رحماك في دنفٍ أرقَّ من الهوا   رفقاً بمن يهواكَ وارحمْ تُرْحم
يا هاجري يا قاتلي بصدوده   أحللت لا بالشرع قتلَ المسلم
هذا نجيعي فوق خدِّك شاهدٌ   أَجنَيْتُ حق حلَّ قتلي أو دمي
إن قلتَ ما في الخدّ غيرُ تورّدٍ   فدمي عليـه لائحٌ كالعندم
(٣٢آ) سلتْ على قُرْب لحاظك مرهفاً
ورمتْ على بُعْدٍ كَرَمي الاسهم
ولقد علمتُ بأنها سفكتْ دمي   لكن جهلتُ كأنني لم اعلم
واردتُ أخذَ الثأرِ منك فراعني   من غابةِ الغزلان صولةُ ضيغم
ما كنتُ أطلبُ منك ثاراً في دمي   ان شئتَ قتلي فهو غير محرم
لا ثارَ لي غيرُ الوصولِ وأخذُهُ   صعبُ المنال على المشوقِ المعدم
بهواكَ الا ما رحمتَ صبابتي   ونظرتَ من حالي بعينٍ ترحم

ومن مقطوعاته قوله :

وصحبتُ أيامي على علاتها   وبلوتُهـا في شدةٍ ورخاءِ
وقطعتُها بالشكرِ في نعمائها   ولقيتُها بالصبرِ في الضَّراء

وقال يرثي الوزير اباعبد الله بن الحكيم رحمه الله ، وكان لم يقبر :

قتلوكَ ظلماً واعتدَوا   في فعلهمْ حدَّ الوجوب
ورمـوك اشلاءً وذا   أمرٌ قضته لك الغيوب
ان لم يكن لك سيدي   قبرٌ فقبركَ في القلوب

٣٦ - اسماعيل بن محمد بن محمد بن هانيء القاضي ابو الوليد * ، رحمه الله :

قريع حسب ، جامع بين مورث في الفضل ومكتسب ، تحلى بالصيانة الضافية الجلباب ، ونشأ في اللبـاب ، من ذوني العكوف والاكباب ، فحفظ موطأ الامام ، كأنما اجترع جرعة من ماء الغمام ، ورحل من بعد التحصيل ، والطلب الأصيل ، واستقر بالمشرق بادي احتشام ، مدرساً بحماة الشام ، وله شعر عارضته قوية ، وسبله في الاجادة سوية ، فمن ذلك قوله :

أتعرفُ ربعاً للتواصلِ قاوياً ... عَفَتْ آيُهُ الا الصُّوى والأواريا

(٣٢ب) تعاورَ فيها كل عاس مجلجلٍ ... وجرَّتْ عليه الرامساتُ السوافيا

بكتْ رباهُ للسحاب مدامعٌ ... فلما وهت[1] القتْ عليه المآقيا

ولما دعا داعي الفراقِ وأجهشتْ ... قلوبٌ تلقَّتْ من يد الشوق فاريا

واصبح داعي الشوقِ لأياً مسيرُهُ ... وداعي التنائي ناعبَ السربِ ضاويا[2]

ظللتَ ترجّي الوصل منه ولم تكنْ ... له قبل إلمـامِ التفارقِ راجيا

اذا شمتَ برقاً هجتَ بشراً لعلَّه ... أتى موهناً من أرضه لك ساريا

* ترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة ، وابن كثير في البـداية ، ولي قضاء المالكية بحماة ، وكان نحوياً يحفظ كثيراً من الشواهد ، توفي سنة ٧٧١ (انظر بغية الوعاة : ١٩٩) .

١ - غ بهامش ك : فلما همت .

٢ - ج د : خاويا .

وان سمعتْ أُذناك فيسببٍ صدىً   اصختَ رجاءً أنْ أتى لك داعياً
وان كان وافى في الدجنّة طارقٌ   تبَادرُ عساه أن يكونَ الموافيا
لعلك تلقـاه بعـافٍ سبيلهُ
من َالأرضِ قد أضحى من الأنس خاليا
عفا فغدا لا يستبينُ لناظر   وإدراكُـهُ يعشي العيونَ الروانيا
فتلقاهُ فرداً لا يُراعُ بكاشحٍ   أميناً من أن تلقى سواه ملاقيا
قريبَ التلافي غير صعبٍ قيادُهُ   كما شئتَ بسامَ الثنايا مُواليا
يمدُّ رواقاً للتواصلِ سجسجاً   ويورَدُ عذباً من تدانيه صافيا
فتجني الرضى منه على حين غفلةٍ   من الدهر مهلاً ليس ترهب واشيا

ومنها بعد كثير :

فهاك معنّى القلبِ جمٌ غرامُهُ   له لوعةٌ لا ترتجي الدهرَ آسيا
يجهّزُ جيشاً للغرام مظفّراً   ويورده بحراً من الدمعِ طاميا
مواردُ دمعٍ لا يُخافُ َنفادها   يمدُّ الشكالى بحرُها والبواكيـا
يغالبُ أشجاناً براه غِلابُها   فأصبح للخدين والوجه كابيا[1]
سفاهٌ لعمري ان يغاَلبَ قادرٌ   على الفصلِ لا يلقى عن الهمِّ ثانيا
ومن رام غمر البحر يزحم[2] موَجهُ
فأوشك بأن يلقى لدى النسف طاميا
(٣٣آ)فلا تتبع يأساً َفتُتْلِفبالاسى   فؤاداً بنار الوجدِ أصبح صاليا

١ ـ خ بهامش ك : كافيا .
٢ ـ ج ك : يرحم .

فقد يُدْركُ الصعبُ البعيدُ مَرامه ويضحي الذي أبدى الجماحَ مواتيا
ويضحي الذي منه الغرامُ وداؤه اذا شاءَه الله الطبيب المداويا

وقال في قصيدة :

هوىً والهوى يتلوه إثرَ الهوى هوىً
كذاك هوىً حتى أزورَ المقابرا

فلو جئتَ قبري بعد سبعين حجةً
تزورُ وقد صارت عظامي نواخرا

لكان الصدى مهما أتيتَ مسلِّما
ومؤتمراً ان كنت قد جئتَ آمرا

وهو لهذا العهد بالبلاد قد ارتبط واغتبط ، وفي غير الفنون النافعة ما خبط ، وبلغت عنه وفاة كاذبة اقتسم لها ميراثه ، كما قيل :

أكلوه حياً هل سمعتَ كآكلٍ من غير مضطرٍّ للحم أخيه

٣٧ — الشيخ القاضي ابو عمرو عثمان بن محمد بن يحيى بن منظور القيسي *

صدر معارف جمة ، وصاحب نفس بالكمال مهتمة ، كانت أخلاقه كالزلال بل هي أعذب ، وشمائله يحسدها الأريحيُّ المهذب ، بذّ السوابق في منقول ومعقول ، وبشرٍ مصقول ، وتولّى القضاءَ فحسنت السيرة ، وسهلت في الحق المذاهب العسيرة ، وكان لا يتصف بنثر ولا نظم ، ولا يغتبط من ذلك بلحم ولا بعظم ، إلا ما وقفت عليه بخطه في ظهر كتاب ألفه شيخنا الوزير أبو بكر ابن الحكيم ، رحمه الله ، وسماه الفوائد المنتخبة والموارد المستعذبة ، فاستحق الذكر في هذه الطبقة لذلك ، والسير في هذه المسالك ، ونصه :

قد جمع الحكمَ وفصلَ الخطابْ ما ضمَّه مجموعُ هذا الكتابْ
من أدبٍ غضٍّ ومنْ عِليةٍ تسابقوا للخيرِ في كل باب
(٣٣ب) فجاءَ فذاً في العلا والنهى ومنتقى صفوِ لبابِ اللباب
ألـّفـَه الحبرُ الجليلُ الذي حازَ العلا إرثاً وكسباً فطاب

---

* ترجم له ابن الخطيب في ايضاً الاحاطة وعائد الصلة وعنه نقل النباهي في المرقبة العليا (١٤٧) . وقد توفي ابن منظور ببلده مالقه عام ٧٣٥ . انظر بغية الوعاة : ٣٢٤ .

٣٨ – القاضي الشيخ ابو بكر بن ولي الله تعالى ابي جعفر ابن الزيات *

هضبة توقير لا ترجف ولا تزلزل ، وذروة دونها السماك الأعزل ، بنى على أساس الأبوة الشهيرة ، وسفر فضله عن محيا شمس الظهيرة ، وكان فرعاً من دوحة ، وصفيّ غدوة في سبيل الله وروحة ، متبحر الرواية عاليها ، متصل المثابرة متواليها ، حسن الخط مجيده ، محلياً به نحر ما يلفظه وجيدَه . وكان يلمُّ بشعر لم أقف منه إلا على قوله :

يفاتَحُ بالتسليمُ مجلسُ عزكمْ — وبالرحمةِ العظمى وبالبركات
وحيَ فيكم غيرُ خافٍ عليكمُ — وحسبيَ هذا الحبُّ طولَ حياتي
أدام لكَ اللهُ السعودَ وأُبقيت — علاك بجيدِ الملك منتظمات

وكتب مستدعياً إجازةَ أهلِ عصره اياه ، فكان من منظوم ذلك قوله :

لما علوتمْ يا مصابيحَ الدجى — رُتباً قَصَرْتُ عليكمُ مني الرجا
وقرعتُ بابَ الفضلِ منكم سالكاً — سُنناً من الحرصِ الرضيِّ ومنهجا
وأبيتُ إلا ان أكون أبناً لكم — عملاً بما يقضي به حكمُ الحجى
واللهُ جلَّ اسماً يطيلُ بقاءَكمْ — ويُري أبنَكمُ فيكمْ جميعاً ما رجا

---

* هو محمد بن احمد بن علي بن الزيات : ترجم له الخطيب في عائد الصلة وعنه نقل صاحب نيل الابتهاج : ٢٢٧ (ط . فاس) . ومما قاله فيه : « يشبه أباه في هديه وسمته ووقاره؛ كان حافظاً للرتبة مقيماً للأبهة ، بقية أبناء المشايخ ظرفاً وأدباً ومروءة الى رواية كثيرة ، مشاركاً في فنون من فقه وقراءة وعربية وأدب وفريضة ومعرفة الوثائق والاحكام ، تولى قضاء بلده بلش وامامته وخطابته » .

٣٩ – محمد بن محمد بن شعبة الغساني ابو عبدالله ، رحمة الله عليه :

فاضل نزع من بيت العمل ، الى ارعاء الهمل ، وصحا من بعد الثمل ، فظفر من القضاء بالأمل ، وجنح على [١] قلم الحساب ، الى الاستماء [٢] للخطط الرفيعة والانتساب ، لما شهر بزهده [٣] في الاكتساب ، فكان مشكور التحوُّل ، (٣٤آ) محمودَ التعوّل ، موفقاً في ترك التكسب المعتاد والتمول ، وله أدب نبيل ، وسمت وضح منه في التزامه سبيل. فمن ذلك قوله :

يَبْلى على مرّ الجديدينِ الهوى   وهواكِ يا ليلى جديدٌ باقِ
قد رقّ منفرطِ الهوىجسميفهل   لي في الهوى من مُشْفق أو راق
ما ذاق قيسٌ في الهوى ما ذقته   كلا ولا أحدٌ من العشاق
انتِ المنى فصلي محبَّكِ أو ذري   لا بدّ منك على نوى [٤] وتلاق

ومن شعره قوله :

إذا ما الخلُّ خالك دونَ ودٍّ   وجارُكَ بالكلامِ عليكَ جارا
ففارق كلَّ مَنْ يُدْعى خليلا   ولا تصحبْ من الأقوام جارا

---

١ – ك : وجنح عن .
٢ – خ بهامش ك : الى الانتماء .
٣ – ك : من زهده .
٤ – ج : منى ؛ د : هوى .

ومن شعره ايضاً :

ما ذوّق الدهرُ الأنامَ مشقةً مثلَ اعتياضِ شبيبة بمشيب
وبعادُ من َقرُبَتْ إليهمْ دارُهُ وفراقُ كلِّ حبيبةٍ وحبيب

٤٠ ـ محمد بن سعد بن قاسم الأوسي ابو عبدالله بن الفخار ،رحمه الله

متفنن من المعارف في أزهار على أنهار ، بين بنفسج وبهار ، ونفس سهلة ، تريك عين السراوة لأول وهلة ،لا تدري من أي أمريه تعجب ، ولا أيهما بالاستحسان أوجب : أصورته الوضية ، أم أخلاقه المرضية ، برع في الوثيقة وإحكامها ، وتنزيل فصولها على مقتضيات أحكامها ، وولي القضاء فشكر له فيه التصرف ، وأمكن بالمعارف التعرف ؛ وله شعر نبيه ، وبستانه [1] في الفضل والظرف شبيه ؛ فمن ذلك قوله من كتاب سماه : **« خمائل الكمام في شمائل الكرام »** :

(٣٤ب) جمالُ ذي الأنفسِ أن تَتَّضِعْ فاعملْ على تحصيلِ ذا تنتفعْ
فهذه الأثمانُ في وزنها ان يكُ فيها ناقصٌ يرتفع

وقال في الزهد :

اخرجْ من الدنيا ولا تعتلقْ منها بما لا بدّ ان يُنتَسَفْ

---

١ ـ د : وبشانه .

ألا ترى البــدر على بُعْدِه مهما يكن في ظلها يَنْكَسِفْ [1]

ومن ذلك قوله :

إياك من زهرة الدنيــا وزينتها وَلْتنأ عن ذا الدنا مهما اليك دنا
وازهد إذا أمكنتْ من نفسها كرماً فالزهدُ فيها يُريحُ النفسَ والبدنا

ومن ذلك في فعل الخير :

دارِ بهذي الدارِ سكانها تُقِمْ على التأسيسِ أركانهــا
ولتفعلِ الخـيرَ فما غيره من واجبٍ قاومَ إمكانها

ومن ذلك في اجتناب الغش :

صافِ لمن صافاك [2] وأبرزْ له مستويَ البــاطن والظاهر
لا تكُ كالمــاءِ يغرُّ الفتى صفاؤُهُ وليس بالطاهر

ومنه في السفر :

سافر فمــا استولى على غايةٍ من ليستِ الاسفارُ من دَيْدَنِهْ
فالغيثُ غيمٌ وهو في جوّه والتبرُ ترب وهو في معدنه

---

١ ـ د : ينخسف .
٢ ـ ج ك : صافى

٤١ – الشيخ القاضي ابو بكر محمد بن عبدالله بن منظور القيسي *

رجل أصيل الحسب ، كريم المنتسب ، جامع في الفضل بين الموروث والمكتسب ، أحسن الناس لقـــاء ، وأرواهم في البر سقاء ، وأوطأهم (٣٥آ) كنفا ، وأقلهم بأواً وأنفا ، شيمٌ تنمّ الاصالة على أثوابها الضافية ، وتخبر رواية الرواة عن فضل مواردها الصافية ، وكان يصدر منه[١] شعر لم يحضرني منه الآن إلا ما انشدنيه[٢] :

ما للعطاسِ ولا للفالِ من اثر فثقْ فديتُكَ بالرحمنِ واصطبرِ

وسلمِ الأمرَ فالاحكامُ ماضيةٌ تجري على السنن المربوطِ بالقدر

٤٢ – الشيخ القاضي ابو الحجاج يوسف بن موسى الجذامي المتشافري **

حسنة من حسنات الدهر ، وتحفـــة من تحف السر والجهر ، وجالب أبكارِ افكارٍ تجلُّ عـــن المهر ؛ شيخٌ دمث الخلائق ، متمسكٌ من

---

* ولي القضاء بجهات شتى من الاندلس فحمدت سيرته ، ثم تقدم ببلده مالقة قاضياً وخطيباً بقصبتها ، وكان سريع العبرة كثير الخشية ، وله مؤلفات جمة . توفي ببلده عام ٧٥٠ ترجم له ابن الخطيب في عائد الصلة والاحاطة ٢ : ١٢١ وانظر المرقبة العليا : ١٥٤ .

١ ـ د : يصدر عنه .

٢ ـ البيتان في المرقبة العليا : ١٥٥ والاحاطة ٢ : ١٢٢ .

** ترجم له لسان الدين في التاج المحلي وعنه نقل المقري (النفح ٨ : ٢٤٥)

الفضل بأقوى العلائق ، كلف بالأدب الرائق ، وشتى الفنون والطرائق ، سبق بقطره حلبة الرهـان ، وصان حشمته من الامتهان ، وعني بالبيان ، فجاء على خبره بالعيان ، وطارت منظوماته في الأقطار كل مطار ، مزرية بِعَرْفِ الروضة المعطار ، وله تواليفُ حسنة الأغراض ، وجواهر تلفى خلل تلك الاعراض ، وولي القضاء فحمدت سيرته ، وأثنت عليه جيرته . لقيته في بعض الغزوات فاستظرفته ، لما عرفته ، وخاطبته بقولي :

حفظتُ[1] على فرطِ المشقة رحلةً أتاحتْ لعينيَّ اجتلاءَ محيا كا
وقد كنتُ بالتذكارِ في البعدِ قانعاً وبالريح ان هبَّتْ بعاطرِ ريا كا
فجاءتْ ليَ النُّعْمى بما أنعمتْ به عليَّ فحياها الإله وحيا كا

واتصل بها نثر ثبت في غير هذا[2] فأجابني بمنظوم ومنثور ، افتتحه بهذه الأبيات :

حباكَ فؤادي نيلَ بُشرى فأحيا كا وجيدٌ بآدابٍ نفائسَ حيا كا
بدائعُ أبداها بديعُ زمانه فطاب بها يا عاطرَ الروض ريا كا
(٣٥ب) أُمهْدِيها اودعت قلبي علاقةً وان لم ازل مُغرىً قديماً بعليا كا
اذا ما اشار العصرُ نحو فريده فـاياكَ يعني بالاشارة ايا كا
لأَتحَفَني لقياك أسنى مؤمّلي وهل تحفةٌ في الدهر إلا بلقيا كا
واعقبتَ اتحافي فرائدَكَ التي وجوُب ثنائي يا لسانيَ اعيا كا

---

١ ــ هكذا في جميع النسخ ، وفي النفح : حمدت .
٢ ــ ثبت في كتاب التاج ، انظر الأبيات والنثر بعدها في النفح ٨ : ٢٤٤ .

وأنشدني قصيدته المطولة في مدح مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] :

لمـــا تناهى الصبُّ في تشويقه دُرَرَ الدموع أعتاضَها بعقيقـه

وقصيدته في الغرض المذكور وأولها [٢] :

اليكَ تحنُّ النُّجبُ والنجباءُ فهمْ وَهْيَ في أشواقهم شركاءُ

وأنشدني من شعره [٣] :

هوا كمْ بقلبي ما لِمُحكَمِهِ نسخُ ومن أجلهِ جفني بمدمعه يسخو
ومن نشأتي ما إنْ صحَتْ منه نشوتي سواءٌ به عصرُ الشباب أو الشرخ
عليه حياتي قد تمادت وميتتي وبعثي اذا بالصور يتّفق النفخ
ولي جَـلَدٌ أضحى قنيصَ غرامه ولا شركٌ يدني إليه ولا فخ
قتلتُ سلوّي حين أحييتُ لوعتي وما احتيج للإقرارِ في حالتي لطخ
وما صحَّ جسمي إذ زكت بيّناته يحولُ عليه من دموع الأسى نضخ
وأرجو بتحقيقي هواكم بأن أفي [٤] بعهدٍ ولا نقضٌ وعقدٍ ولا فسخ
وما الحبُّ إلا ما استقل ثبوتُـهُ لمبناهُ رصٌّ في الجوانبِ أو رسخ
اذا مَسْلَكٌ لم تستقمْ بطريقه سلكتَ اعتدالاً مثلما يسلكُ الرخ
بدا لضميري من سناكم تلمُّحٌ فبَخٌ لعقلٍ لم يَطِرْ عندها بَخٌ
على عوْدِ ذاك العهدِ ما زلت نادباً كما تندبُ الورقاءُ فارقها الفرخ
(٣٦آ) يدي بأياديكم وقلبيَ شاغلٌ فمن فكرتي نسجٌ ومن أنملي نسخ

---

١ ـ أوردها المقري في النفح ٨ : ٢٤٦ ـ ٢٤٩ .
٢ ـ أنظر المصدر نفسه : ٢٤٩ .
٣ ـ المصدر نفسه .
٤ ـ هامش ك : مآربي .

ومن مقطوعاته [1] :

أدبُ الفتى في ان يُرى متيقظاً لأوامرٍ من ربّـــهِ ونواهي
وإذا تمسكَ بالهوى يهوي بـــه فالحبلُ منه لمن تيقّنَ واه

ومنها أيضاً [2] :

ترى شعروا أني غبطتُ نُسَيْمَةَ ذكتْ بتلاقي الروض غبَّ الغمائمِ
كما قابلتْ زَهْرَ الرياضَ وقبّلتْ ثغورَ أقاحيه بلا لومِ لائم

ومنها [3] :

لوعةُ الحبِّ في فؤادي تعاصتْ أن تُداوى ولو أتى ألفُ راق
كيف يُرْثي من علةٍ وعليهـــا زائدٌ علةُ النـــوى والفراق
فانسكابُ الدموعِ جارٍ مجارٍ والتهـابُ الضلوع راقٍ فراق

ومنها :[4]

يا من بدنيـــاهُ ظلَّ في لجج حقّقْ بأنَّ النجاةَ في الشاطي
تطمعُ في إرثكَ الفلاحَ وقـد أضعتَ مـــا قبله من آشراط
كنْ حذراً في الذي طمعتَ به من حَجْبِ نقْصٍ وَحجب إسقاط

١ ـ النفح ٨ : ٢٥٠ .
٢ ـ المصدر نفسه .
٣ ـ المصدر نفسه : ٢٥١ .
٤ ـ المصدر نفسه : ٢٥٠ .

٤٣ – القاضي ابو جعفر احمد بن عبد الحق الجدلي الاستاذ * ، رحمه الله :

مدلول لفظ الظرف ، وروضه[1] العطر العرف ، المستوقف للطرف ، فتح الله له في الفضل باعاً ، وملأه[2] له انقياداً وانطباعاً ، وأمتعه إمتاعاً وخوّله من حظوظ العاجلة والآجلة متاعاً ؛ ما شئت من وجه جميل ، وخدٍ في السرو وذميل ، واضطلاع بالفنون الجمة ، والمعارف [٣٦ ب] المخولة المعمة ، يجيل في ميادينها الجياد ، ويروم صعابها فتعطي القياد ، واتصلت برعي اياه ايام ولايته ، وَضفتْ عليه لله أثوابُ عنايته ، الى ان مات موجع الفقد ، وثيق العقد ، محاشى صداق صدقه من النقد . وكان له شعر يحسن متى يسرد ، ومعانٍ عن حمى الاجادة لا تطرد . فمن ذلك قوله في جدول :[3]

ومنمنمِ الشطينِ منه حمائلٌ   كالمشرفيّ قد اكتسى بفرندِهِ
فخمائل الديباج منه خمائل   متعانقٌ فيها البهارُ بورده
وقد اختفى طوقٌ له في دوحةٍ   كالسيف رُدَّ ذُبابُهُ في غمده

وقال في شجر نارنج [4] :

وثمارِ نارنجٍ تُرى أزهارُهُ   مع قانيءِ النارنج في تنضيدِ

* مالقي ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة ١ : ١٨٦ (١ : ٦٥) توفي سنة ٧٦٥ ، انظر بغية الوعاة : ١٣٨ .

١ – د ج : ولفظه ، وكذلك في أصل ك ، وصوبه في الحاشية .

٢ – د : ومده .

٣ – الابيات في الاحاطة ١ : ١٨٨ .

٤ – البيتان في الاحاطة .

فاذا نظرتَ الى تآلفها أتتْ كمباسمٍ أومتْ للثم خدود

وكتب صحبة أقلامٍ أهداها :

يا ناظمـــاً أربـى على حسّانِ يا ناثراً أزرى على سحبـانِ
خذها ذوابلَ من وشيجِ يراعةٍ حازت َقواماً مثلَ غصنِ البان
أهديتُـها لبراعةٍ راقت علىَ طرسٍ لـكم ُيربي على بستان
آخيتَ بين يراعـــةٍ وبراعة إذ زنتَ خطّـاً رائقاً ببنان [1]

٤٤ – الشيخ القاضي ابو زكريا يحيى بن السراج الاستاذ المعروف بابن جلوط

شيخ سكون ، له الى حومة [2] الخير ركون ، منقبض عن الناس ، طاهر ثوب العدالة من الأدناس ، نشأ خدن الصيانة ، وقاضياً دين الديانة ، ولقي جلـّة ، وقادة بأعباء الفضل مستقلة ، فاستفاد معارف (٣٧آ) تجمّل منها بحليٍ ومطارف ، وولي القضاء فلم يأل تسديداً ، ولا عدم للنزاهة ظلاً مديدا ، لقيته بجبل الفتح حليف اغتباط ، بجهاد ورباط ، وقيدت من شعره ما وسعه زمان لقائه ، مكتتباً من إلقائه ، فمن ذلك قوله وهو شاهد بزهده ، وانقباضه عن الدنيا بجهده ، رحمه الله تعالى :

نهـــاك نذيرُ الشيبِ لو كنت ترعوي
وهل بعـــد إنذارِ المشيبِ نذير

---

١ ــ د: ببيان .
٢ ــ د : حرمة .

الى كم تُرى عن نُصحِ نفسكَ مُعرضاً
وتصغي الى الآمالِ وهي غرور

أرى العمرَ ولّى مُعرضاً عنك فاغتنمْ
بقيّتَهُ إنّ البقاءَ عسير

وبادرْ الى الطاعاتِ غيرَ مقصّر فأَطولُ ايام الحياة قصير

إلهي أَجِرْني من عذابك إنه عذابُكَ محذورٌ وانت مجير

ولا تُخزني يومَ الحسابِ ونجني بفضلكَ إن الفضل منك كبير

نَدَبْتَ الى الصفحِ الجميلِ فجدْ به فأنت به يا ذا الجلال جدير

وَمنَّ يجْبري من قبيحِ إساءتي فعبدُك مما قد جناه كسير

فما ضلّ من آتيتَه رُشدَ نفسِهِ ولا ذلّ مَنْ والاه منك نصير

٤٥ — القاضي ابو جعفر احمد بن محمد بن علي بن برطال* رحمة الله عليه :

رجل تجمل بلباس نبيه ، من ميراث ابيه ، فلم يأل اقتصاداً ، ولا اعمل للعنقاء مصادا ، ولا ارصد للحظ ارصادا ، فجاءه عفواً ، وورده صفواً ؛ وتقدم قاضي الجماعة ، شارداً امله عن الطماعة ، وعجب لذلك خطاب

* اصله من قرية تعرف بحارة البحر من وادي طرش شرقي مالقة . كان من اهل الخير وعلى طريقة مثلى من الصمت والسمت والانقباض والذكاء . تقدم قاضياً بغرناطة بعد ولاية القضاء ببلده واصبح اماماً وخطيباً لمسجد قلعتها الحمراء (٧٤١) على قصور في المعارف وضعف في الاداة وقد ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة ١ : ٧٧ (١ : ٥٩) وعائد الصلة وعن الثاني نقل النباهي في المرقبة العليا : ١٤٨ ، توفي ايام الطاعون الكبير سنة ٧٥٠ .

الخطة ، والقَـدَر لا يُستَعْدى عليه صاحب الشرطة ، وفي ذلك يقول شيخنا ابو البركات : [1]

(٣٧ب) ان تقديمَ ابنِ برطالٍ دعا   طالبي العـلم الى ترك الطلبْ
حسبوا الأشياءَ من أسبابهـا   فاذا الأشياءُ من غـيرِ سبب

الا انه وإن لم يعمل الاستعداد ، لم يتخط السداد ، وكان الصون اخص صفاته ، والهوادة تزل عن صَفَاته ، وكانت ولايته قريبة من وفاته ، ولم ينتحل الشعر ليحسب من أربابه ، أو يعده من حيل الرزق وأسبابه ، إلا أنني وقفت له على بيتين يندران على أمثاله ، ويدخلان وليمة الشعر ويترفعان عن مثاله ، وهما مما أنشد مَنْ ودَّعه [2] :

استودع الرحمنَ مَنْ لوداعهم   قلبي وصبري آذنا بوداع
بانوا فطرفي والفؤادُ ومِقْولي   باكٍ ومسلوبُ العزاء وداع

---

١ ــ انظر الاحاطة والمرقبة العليا .
٢ – الاحاطة ١ : ١٧٩ .

٤٦ - الشيخ القاضي ابو البركات محمد بن ابي بكر محمد بن آبراهيم ابن الحاج البلـَّفيقي السلمي * شيخنا[١] رحمه الله تعالى

واحد الفئة ، وصدر صدور هذه المائة ، ولعمري ان قوادم الاجتهاد لمقصوصة ، وقواعـــد النصفة غير مرصوصة ، لتعيين غاية [٢] مخصوصة ، بل نقول وهو الوفاء ، وفيه للصدر الشفاء ، تحفة الدهر التي يقل لهـــا الكفاء ، وبقية السلف التي يقال عندها : « على آثار من ذهب العفاء » ، اما لفظ السيادة فهو مدلوله ، واما ربع المجادة فلولاه لأقوت طلوله ، فما شئت من شرف زاحم الثريا بمناكبه ، ومجد خفقت بنوده فوق مواكبه ، وحسب ككعوب الرمح كابراً عن كابر ، وأصالة تنتقل أسرارها الىبطون المحارب من ظهور المنابر ، تواضع عن علو الهمة ، وتنازل مع الاستواء بأعلى القمة ، وآثر الخمول[٣] مع (٣٨ آ) جلالة القدر ووفور الذمة ، واخذ عن الاصاغر مع كونه إمام الأئمة ؛ كان رحمه الله ابعد خلق الله عن الحسد ، واشدهم إقداماً على الاسد ، ومتنفساً عن نفس لا نسبة بينها وبين الجسد ؛

---

* توفي بالمرية سنه ٧٧٣ (وفي النفح ٧٧١) ، ومن مؤلفاته : « المؤتمن في أنباء من لقيه من أبناء الزمن » وهو من مشاهير الرجال في عصره. ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة (٢:١٠١) وابن خاتمة في مزية المرية ، والنباهي في المرقبـة : ١٦٤ ، وابن فرحون في الديباج : ١٦٤ ، وانظر النفح ٧ : ٩٣١ - ٤٠٨ ؛ والبلفيقي ضبطه ابن خلدون بفتح البـاء وتشديد اللام (انظر التعريف : ٦١ وترجمة ابن الحاج فيها وفي طبقات الجزري ٢ : ٢٣٥) .

١ - شيخنا : سقطت من د .

٢ - خ بهامش ك : آية .

٣ - د ج : وايثار الخمول .

معروف الوفاء لمن عرفه ، لا يساكنه الرياء في بقعه ، ولا يساوقه الملق في رقعه ، يرسل النـــادرة ، ثم يتبعها الزفرة البادرة ، والعبرة الهادرة ، فمجالس العدل والاقساط ، مشوبة بالانبساط ، ودسوت الاثبات والمحو ، متعاقبة الغيم والصحو ، وسقائف الجعجاع ، جامعة بـــين الاسترسال والاسترجاع ، والتفكه بالاسجاع ، والتزلف بتسكين الاوجاع ؛ وامـــا الخطابة فهو زيد الخيل اذا منبر[1] اخرج ، ولموقف الفضل أسرج ، يبتده الشوارد على ظهره ، معفياً طبعه من قهره ، مقتضياً منه في الساعـة من دهره ، خبيئة شهره ، كلما فجر مذانب البيان من نهره ، اتحفهـــا عود المنبر[2] بزهره .

وبالجملة فكان هذا الشيخ في سلف ، واهتمام وكلف ، وعــدم خلف ، بمنزلة ابي دلف ، « ولـّت الدنيا على اثره » ، وقلّ ان ترجع ، والبرهان يفضح من يجعجع ؛ وله في الادب عليا الدرجات ، والافواه المتأرجات ، والبدائع التي سارت مسير الشمس في الاقطار ، وتغنى بها راكب الفلك وحادي القطار ؛ فمن ذلك قوله في الاغراض الواهيات والاذواق الشهيات[3] :

يأبى شجونَ حديثيَ الإفصاحُ	اذ لا تقومُ بشرحِهِ الألواحُ
قالتْ صفيةُ عندما مرّتْ بها	إبلي أتنزلُ ساعـــةً ترتاح
(٣٨ب) فأجبتها لولا الرقيبُ لكان في	مـــا تبتغي بعد الغدو رواح
قالتْ : وهل في الحيِّ حيٌ غيرنا	فاسمحْ فديتك فالسماحُ رباح
فأجبتها : إن الرقيبَ هَوَاكِ ٌ	بيديه منـــا هـــذه الارواح

١ ـــ خ بهامش ك : اذا المهر .

٢ ـــ خ بهامش ك : البيان .

٣ ـــ القصيدة في الاحاطة ٢ : ١١٠ .

وهو الشهيدُ على مواردِ عبده ... سيانِ مــا الإخفاء والايضاح
قالتْ واين يكون جودُ الله إذ ... يُخشى ومنه هــذه الافراح
فافرحْ على اسم الله جلَّ جلاله ... وآشطحْ فنشوانُ الهوى شطاح
وارهجْ على ذمم الرجال ولا تَخَفْ ... فالحلمُ رحبٌ والنوالُ مُباح
وانزلْ على حكم السرورِ ولا تُبَلْ ... فالوقتُ صافٍ ما عليك جُناح
وآخلعْ عذارك في الخلاعةِ ياأخي ... باسمِ الذي دارتْ به الاقــداح
وانظر إلى[1] هذا النهار فسنُّهُ ... ضحكتْ ونورُ جبينه وضاح
انواره نفحتْ وَأُترِعَ كأسُهُ ... فقــد استوى ريحانُهُ والراح
وآنظرْ الى الدنيا بنظرةِ رحمةٍ ... فجفاؤُها بوفائهــا يـنزاح
لا تعذلِ الدنيا على تلوينها ... فلليلها بعد المساءِ صباح
فاجبتُها لو كنت عالمة الذي ... يبدو لِتارِكِهَا وما يَـلْتَـاح
من كلِّ معنىً غامضٍ من أجله ... قد ساح قومٌ في الجبال وناحوا
حتى لقد سكروا من الأمر الذي ... هاموا به عند العيان فباحوا
لعذرتني وعلمتِ أنــِّيَ طالبٌ ... ما الزهد في الدنيا له مفتاح
فاتركْ صفيّك قارعاً باب الرضى ... والله جلَّ جلاله الفتّاح
يا أُختُ حيّ على الفلاح وخلّني ... فجماعتي حثُّوا المطيّ وراحوا

ومن هذا النمط الغريب النزعة [2] :

(٣٩آ) خُذْها على رغم الفقيه سُلافةً ... تُجلى بها الأقمارُ في شمس الضُّحى

---

١ ـــ ك : وانظر على

٢ ـــ القصيدة في الاحاطة ٢ : ١١١ .

أبدى أطبـــاءُ العقول لأهلها   منها شراباً للنفوس [1] مفرّحا
وإذا المرائي قال في نشوانهــا   قلْ انت بالاخلاصِ فيمن قد صحا
يا قهوةً دارت على أربابها   فاهتزتِ الأقدام منها والّلحى
مُزجَتْ فغارَ الشيخُ من تركيبها   فلذاك جرَّدها وصاح وصرّحا
وبدتْ فغار الشيخ من إظهارها   فاشتدّ يبتدرُ الحجاب ملوِّحا
لا تعترضْ أبداً على مستهترٍ   قد غارَ من أسرارها ان تُفتَضَحا
وكذاك لا تعتبْ على مستهترٍ   لم [يدر] [2] ما الايضاح لما أوضحا
سكرانُ يعثرُ في ذيولِ لسانه   كفراً ويحسبُ انه قد سبحا
كتم الهوى حرية بعض وبعض ضاق ذرعاً بالغرام فبرَّحا
لا تُحْسَبنَّ على العدالة هاتفاً   نَقْدَ ارتياحِ العاشقين مُبرِّحا
الحبُّ خمرُ العاشقينَ وقد قضت   حتماً على من ذاقها ان يشطحا
فاشطحْ على هذا الوجود وأهلهِ   عُجْباً فليس براجح من رجحا
كبِّر عليهمْ انهمْ موتى على   غيرِ الشهادةِ ما أعزَّ وأقبحا
واهزأْ بهم فمتى يقل نصحاؤُهمْ   أفلحْ فقلْ حتى ألاقيَ مفلحا
وإذا رزينهُمُ استخفكَّ قل له   بالله يا يحيى بن يحيى دع جحا
ابني سليمى قد محا مجنونكم   مجنونَ ليلى العامرية قد محا
هل يستوي من لم يَبُح بحبيبه   مَعَ مَن بذكر حبيبه قد صرحا
فافرحْ وطبْ وارهجْ وقل ما شئته   ما أملح الفقراءَ يا ما أملحا

---

١ ــ بهامش ك : القلوب .
٢ ــ بياض في جميع النسخ واكملناه من الاحاطة .

ومن الأبيات المقطوعات قوله لمن استدبره بحلقة العلم (٣٩ب) بسبتة أيام رحلته اليها في طلب العلم الشريف يعتذر من فعله ذلك [١] :

ان كنتُ أبصرتُكَ لا أبصرتْ بصيرتي في الحقّ برهانها
لا غروَ اني لم أشاهدكمُ فالعين لا تبصرُ إنسانها

ومن ذلكَ قوله في غرض التورية وهو بديع [٢] :

يلومونني بعدَ العذارِ على الهوى ومثليَ في حبي له لا يُفنَّدُ
يقولون : أَمْسِكْ عنه قد ذهبَ الصِّبا .
وكيف أرى الامساكَ والخيط أسود

ومن ذلك قوله في المجبنات وهو بديع جداً [٣] :

ومصفرةِ الخدين مطويَّـةِ الحشا
عن الجُبْنِ والمصفرُّ يؤذنُ بالخوفِ
لها بهجةٌ كالشمسِ عند طلوعها
ولكنها في الحينِ تغرب في الجوف [٤]

وقال في مُعْتَقَلٍ شَفَعَ فيه يقال له مُرَجَّى :

مُرَجّى يرجّي فضلَ أنعمك التي بكفيك مجراها ثناءً وَموحدا

---

١ ــ المرقبة العليا : ١٦٦ والنفح : ٤٠٣ والاحاطة ٢ : ١١٢ .
٢ ــ البيتان في النفح : ٣٩٨ والمرقبة العليا : ١٦٧ والاحاطه ٢ : ١١٢ .
٣ ــ انظر النفح والمرقبة العليا والاحاطة .
٤ ــ سقط البيت والسطران التاليان من د .

وقدجدتَ بالإحسانِ فيحلِّ قيده   فصيِّره بالإحسانِ منكَ مقيَّدا

ومن قوله في السر والمحافظة عليه [1] :

إذا ما كتمتُ السرَّ عمن أودُّهُ   توهَّمَ أن الودَّ غيرُ حقيقي

ولم أُخفِ عنه السرَّ من ظِنَّةٍ به   ولكنني أخشى صديقَ صديقي

ومن قوله في شكوى البعاد [2] :

قالوا : تغربتَ عن أهـــلٍ وعن وطنٍ
فقلتُ : لم يبقَ لي أهـــل ولا وطنُ
مضى الأحِبَّـةُ والأهلون كلهمُ
وليس بعـــدهمُ سُكنى ولا سكن
أفرغتُ حزني ودمعي بعـــدهم فأنا
من بعـدِ ذلك لا دمـعٌ ولا حَزنُ

ومن قوله في الحكم والأمثال [3] :

ما رأيت الهموم تدخلُ إلا   من ضروب العيونِ والآذان
(٤٠آ) غضَّ طرفاً وسدَّ سمعاً وان أحسستَ همّاً فلا تثقْ بضماني

وقال في زرقة عينيه وهو من الغريب في معناه [4] :

حزنتْ عليكَ العينُ يا مَغْنى الهوى
فالدمـعُ منها بَعْدَ بُعدك مـا رقـا

---

١ ــ المرقبة : ١٦٦ والنفح : ٣٠٢ .
٢ ــ المصدر نفسه .
٣ ــ الاحاطة ٢ : ١١٣ .
٤ ــ الاحاطة ٢ : ١١٣

ولذاك ما صُبغتْ بلونٍ أزرقٍ
أوما ترى ثوبَ المآتم أزرقا

ومن نفثاته الغريبة قوله (١) :

تطالبني نفسي بما ليسَ لي به يدانِ وأُعطيها الأماني َفتَقبَلُ
عجبتُ لخصمٍ لجّ في طلباته يصالحُ عنه بالمحال فيفصل

وقال في ذم النساء (٢) :

ما رأيتُ النساءَ يصلحنَ إلا للذي يصلح الكنيف لأجله
فعلى هذه الشريطة فأصحبهنّ لا تعدُ بامرىءٍ عن محلّه

وقال في المعنى المذكور (٣) :

قد هجوتُ النساء دهراً فلم أبلغْ أداني صفاتِهنّ الذميمهْ
ما عسى ان يقال في هجوِ من قد خصّه المصطفى بأقبح شيمه
أوَ يبقى لناقص العقل والدين إذا عُدّتِ المثالبُ قيمه

وقال وما أعرقه في الاصالة (٤) :

قد كنتُ مغروراً بوعظي وما أبثُّ من علميَ بين البشرْ
من حيثُ قد أمّلتُ إصلاحَهُمْ بالوعظِ والعلم فخانَ النظر

١ ــ المصدر نفسه .
٢ ــ المصدر نفسه .
٣ ــ الاحاطة ٢ : ١١٤ .
٤ ــ خ بهامش د : الاصابة ؛ والابيات في الاحاطة ٢ : ١١٤ .

فلم أجد أوعظ للنـــاس من أصواتِ وعّاظٍ جلود البقر

ومما أنشدني [1] وقد خرجت يوماً لتوديعه :

يا من إذا ما رمتُ توديعَهُ ودعتُ قلبي قبــل ذاك الوداعْ
فأترك التوديع عمداً [2] لكي أعلل النفسَ ببعضِ الخداع
(٤٠ب) يا محنة النفس بمألوفها من أجلها قد جاء هذا الصراع

ولو لم يكن في هذه الطبقة الجليلة إلا هذا الرجل لكان كافيـاً ، رحمه الله تعالى .

٤٧ - القاضي ابو يزيد خالد بن [عيسى بن] احمد القتوري البلوي * صاحبنا :

هذا الرجل كالجمل المحتمل يريبك مجموعه ، ويهولك مرئيه ومسموعه ، فإذا زمزم الحادي سالت من الرقة دموعه ، فظاهره جسم جسيم ، وللزرافة قسيم ، وباطنه في اللطافة نسيم ، وروض يرتاده مسيم ؛ سكن

١ ــ د : أنشدنيه .

٢ ــ عمداً : سقطت من ج .

* هو صاحب الرحلة التي سماها « تاج المفرق » وكنيته أبو البقاء ولعل له كنيتين ــ ترجم له في الاحاطة ١ : ٥٠٨ (١ : ٣٢٤) ، وذكره الحضرمي في فهرسته (انظر نيل الابتهاج : ٩٩ ط . فاس) وانظر النفح ٣ : ٢٨٥ . وقد لقي في رحلته كثيراً من العلماء وأخذ عنهم . غادر بلده ضحوة يوم السبت ١٨ صفر سنة ٧٣٠ وكان أخوه قد سبقه متوجهاً الى الحجاز ، فالتقيا في الاسكندرية . ولما عاد الى الاندلس أصبح قاضياً ببلده وظل في القضاء زمناً طويلا .

البادية خيراً عفيفاً ، ومن المؤن خفيفاً ، يرتاح الى عقائل الآداب ارتياح قيس الى ليلى ، ويميل به الغبيط الى الاغتباط ميلاً ، وكلما ظفر بها يوماً أو ليلا ، طفف كيلاً ، وجمع ثريا وسهيلا ، ثم راح المشرق ، وعشا الى نوره المُشرق ، مع اخضرار العود وسواد المفرق ، وغفلة من الزمان المطرق ، فحج وزار ، وطرح الأوزار ، واستسقى السحب الغزار ، ودوّن رحلته فأحسن وأطرف ، وحلى وعرف ، وقفل مغرباً بتشريقه ، وكتب عن بعض الملوك الكبار بطريقه ، ثم ارتسم في حزب القضاء وفريقه ، وأدبه مشتمل على نثر ونظم ، ولحم وعظم ، ولنثره على نظمه شفوف ، والى اللحاق بذي الاجادة خفوف ؛ فمن شعره [1] :

الله اكبرُ حبــذا إكبارُهُ   هذا الشفيـعُ لنا وهذي دارُه [2]
لاحتْ معالمُ يثربٍ وربوعهـا   مثوى الرسولِ وداره وقراره
هذا النخيل وطيبةٌ ومحمــدٌ   خيرُ الورى طراً وها أنا جاره
هذا المصلى والبقيـعُ وها هنـا   ربعُ الحبيبِ وهــذه آثاره
(٤١آ) هذي منازله المعظمةُ التي   جبريلُ رُدِّدَ بينها تكراره
هذي مواضعُ مهبط الوحي الذي   تشفي الصدورَ من العمى أسطاره
هذي مواطىءُ خيرِ من وطىءَ الثرى
وعلا على السبعِ العــلا استقراره
ملأ الوجودَ حقيقةً اشراقـُهُ   فأضاءَ منه ليله ونهـــاره
والروضةُ الفيحاءُ هب نسيمها   والبانُ بانَ ونمَّ منه عراره

---

١ ــ هذه القصيدة في رحلة البلوي ؛ الورقة ٩١ (النسخة ١٠٥٣ جغرافيا بدار الكتب) .
٢ ــ الرحلة : لاح الهدى وبدت لنا انواره .

وتعطرتْ سَلعٌ فسلْ عن طيبها لِمَ لا تطيبُ وبينهـا مختاره
بشراكَ يا قلبي فقد نلتَ المنى وبلغتَ ما تهوى وما تختاره
وتجلَّ يا طرفي فيالك ناظراً ابصرتَ طيبة فانقضتْ أوطاره
قد امكنَ الوصلُ الذي أَمّلتُه وكذاك حبي أمكنتْ اسراره
قد كان عندي لوعةٌ قبل اللقا والآن ضاعفَ لوعتي ابصاره
رفقاً قليلاً يا دموعيَ أقصري فالدمعُ يحسنُ في الهوى اقصاره
قد كانت الدمنُ الكريمةُ في غنىً عن ان يفيض بربعها تيـاره
أيضيعُ من زار الحبيب وقد رأى[1] ان المزورَ ببـاله زوّاره
أيخيبُ من قصد الكريمَ وعنده حسنُ الرجاء شعارُهُ ودثاره
أيؤمُّ بابَكَ مستقيلٌ عـاثرٌ فيردّ عنك ولا تُقَالُ عثاره
حاشا جلالك ان يؤمّلهُ امرؤٌ فيعودَ صفراً خُيِّبَتْ أسفاره
يا سيدَ الأرسال ظهري مُثْقَلٌ فعسى تخفُّ بجـاهكم أوقاره
رحماك فيمن أوبقتـه ذنوبه فكأنمـا إقباله ادباره
لبس الصغارَ وقد تعاظم وِزْرُهُ والعفوُ تصغر عنـده اوزاره
شطَّ المزار ولا قرارَ وشدّما يلقى محبٌ شطَّ عنك مزاره
وافى حمـاك يفرُّ من زلاته واليك يا خـيرَ الأنام فراره
(٤١ب)وأتاك يلتمسُ الشفاعةَ والرجا يقتـادُهُ وظنونُهُ أنصاره
والعبد معتذرٌ ذليلٌ خاضعٌ ومقصّرٌ قد طُوّلتْ اعذاره
متوّسلٌ قد أغرقته دموُعهُ متوصلٌ قـد أحرقته ناره
قذفتْ به في غربةٍ أوطاُنهُ ورمتْ به لعلائكم اوطاره

---

١ ــ ج : وقد درى .

فامننْ وسامحْ واعفُ واصفحْ واغتفر
فلأنتَ ماحٍ للخطا غَفّاره
صلى عليك الله ما حيّا الحيا روضَ الربى وترنمتْ اطياره

ومما نسب لي الى نفسه ، واربى يومه في الاجادة لديها على امسه ، قوله :

بَعَثَتْ خيالاً والعواذلُ هُجَّعُ فسرى ينمُّ به شذا يتضوّعُ
ودنا يُعاطيني الحديثَ على دجىً كأس الثريا في يديه تشعشع
وكأنما الاكليلُ جامٌ مُذْهَبٌ بيواقتِ الجوزاءِ فيه يُرَصَّع
نادمتُ فيه اخا الغزالة جؤذراً يغدو بأكنافِ القلوب ويرتع
في ليلةٍ لا الوصلُ فيها بيننا خجِلٌ ولا قلبُ العفاف مُرَوّع
رقّ الهواء بها ورقّ لي الهوى فمشى مُوشىً بيننا وموّشع
يا جيرةً جار الزمانُ ببعدهمْ ومقرُهمْ مني الحشا والاضلع
ان كان موضعكمْ خلا عن ناظري لم يخلُ منكم في فؤادي موضع
لم تسكنوا وادي الأراك وإنما قلبي مصيفكمُ ودمعي المربع
والله ما ضحكَ الربيع بربعكمْ إلا وعن عينيَّ مزنٌ يهمع
وإذا شكوتَ إلى الصديق فانه يسليكَ أو يغنيك أو يتفجع
يا بارقاً تنشقُّ عنه سحابةٌ عن مثل مدمعيَ السفوحِ وتقلع
(٤٢آ) أشبهتَ منأهواه حُسْنَ تبسّمٍ فأصبتَ إلا أنه هُوَ أنصع
بالله خُذْ عنّي تحيّةَ نازحٍ لم يبق فيه اليوم فيما يطمع
واقرأ على الجِزْعِ السلامَ وسحَّ منْ
قَطَراتِ دمعكَ حيث تلك الأربع

ما كان أطيب عيشنا الماضي بها   لو كان ذاك العيشُ فيها يرجع
أيام نغفرُ للصبا ذنب الهوى   ونشفــّعُ الوجه الجميلَ فيشفع
ما سرّني تبديدُ دمعي لؤلؤاً   وعهدتُهُ بيدِ الحسان يُجمّع

٤٨ - القاضي ابو جعفر احمد بن ابي القاسم محمد بن جزي ولد الخطيب المذكور *

هضبة وقار ، تنظر الى رضوى بعين احتقار ، اقتدى بما له من كرم الابوة ، ولبس وقـــار الشيخ في سن الفتوة ، فتقلد مآثر سلفه وتوشح ، وتأهل لرتبتهم العلية وترشح ، فما شئت من هدوء وسكون ، وجنوح الى الخير وركون ، ونزاهة وعفاف ، وتبلغ بكفاف ، واصبح في عصره زينا ، وفي جملة[1] اعيانه عينا ، ان ركض في مراكزه سبق ، او اهـــتز الى محاضرة تأرج عرفه وعبق ، وأدبه ادب ساطع ، حسن المقاطع ؛ فمن غرر قصائده التي حملتها عنه الرواة ، واعانه على مصنوعه الشريف الادوات ، قوله[2] :

* ولد سنة ٧١٥ ولما كتب لسان الدين الاحاطة كان ما يزال حياً ؛ تقـدم قاضياً بحضرة غرناطة وخطيباً بمسجد السلطان (٨ شوال ٧٦٠) ثم انصرف عنها واعيد اليها عام ٧٦٣ ، ورجح المقري ان تكون وفاته سنة ٧٨٥ وكان موصوفاً بالنزاهة والمضاء ، له تقييد في الفقه على كتاب والده المسمى « القوانين الفقهية » وله رجز في الفرائض . ترجم له ابن الخطيب في التاج والاحاطة ١ : ١٦٣ (١ : ٤٨) وانظر ازهار الرياض ٣ : ١٨٧ .

١ ـ خ بهامش ك : وفي حلبة .

٢ ـ انظر القصيدة في الاحاطة ١ : ١٦٥ وازهار الرياض ٣ : ١٨٢ .

أقولُ لعزمي او لصالح أعمــالي
« الا عِمْ صباحاً ايها الطللُ البالي »
اما واعظي شيبٌ سمــا فوق لمتي
« سُموَّ حَبابِ الماء حالاً على حال »
انار به ليــلُ الشبــابِ كأنه
« مصابيحُ رهبانٍ تُشبُّ لِقفال »
نهانيَ عــن غي وقال منبهـــاً
« الستَ ترى السمّار والناس احوالي »
يقولون غَيِّرْهُ لتنعمَ برهـــة
« وهل يَعمِنْ من كان في العُصر الخالي»
(٤٢ب) اخالطُ دهري وهو يعلمُ انني
« كبرتُ وان لا يحسنُ اللهوَ امثالي »
ومؤنسُ نار الشيبِ يقبحُ لهوه
« بآنسةٍ كأنهــا خطُّ تمثــال »
أشيخاً وتأتي فعلَ مَنْ كان عمره
« ثلاثينَ شهراً في ثلاثةِ احوال »
وَتَشْغَفُكَ الدنيا وما إن شَغفتها
« كما شَغف المهنوءةَ الرجلُ الطالي »
الا إنمـــا الدنيا اذا ما اعتبرتها
« ديارٌ لسلمى عافياتٌ بذي خال »
فأين الذين استأثروا قبلنا بهــا
« لناموا فما إنْ من حديثٍ ولا صال »

ذهلت بها عنّا فكيف الخلاص من

« لعوبٍ تنسِّيني إذا قمتُ سربالي »

وقــد علمتْ مني مواعدُ توبتي

« بأنّ الفتى يهذي رليس بفعّال »

ومذ وثقت نفسي بحبّ محمـدٍ

« هصرتُ بغصنٍ ذي شماريخَ ميّال ،

فأصبح شيطانُ الغواية خاسئاً

« عليه القتام سيءَ الظنّ والبال »

ألا ليت شعري هل تقول عزائمي

« لخيلي كرّي كرّة بعد إقبال »

فانزلَ داراً للنبي نزيلـُهـــا

« قليلُ همومٍ ما يبيت بأوجالِ »

فطوبى لنفسٍ جاورت خيرَ مرسلٍ

« بيثربَ أدنى دارها نظر عال »[1]

فَمِن ذكره عند القبول تعطرت

« صبا وشمال في منازلِ قفّال »

جوارُ رسولِ الله مجـدٌ مؤثّلٌ

« وقد يدركُ المجدَ المؤثلَ أمثالي »

وماذا الذي يثني عنان السرى وقـد

« كفاني ولم أطلبْ قليل من المال »

---

١ ــ ج ك : النظر العالي .

ألم ترَ ان الظبية استشفعتْ به

« تميلُ عليه هَوْنةً غير مِجفال »

وقال لها : عودي فقالت له : نعم

« ولو قطعوا رأسي لديك واوصالي »

فعادتْ اليه والهوى قائلٌ لها

« وكان عداءُ الوحش مني على بال »

ويا لبعيرٍ قال أزمعَ مالكي

« ليقتلني والمرءُ ليس بقتال »

(٤٣ آ) وثورٍ ذبيحٍ بالرسالةِ شاهدٍ

« طويلِ القوى والروق اخنسَ ذيال »

وحنّ اليه الجذع حنةَ عاطشٍ

« لغيثٍ من الوسمي رائدهُ خال »

وَأَصليْنِ من نخلٍ قد التأما له

« بما احتسبا من لين مسٍ وتسهال »

وقبضةِ تُرْبٍ منه ذَلتْ لها الظبا

« ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب اغوال »

وأضحى ابن جحش بالعسيب مقاتلاً

« وليس بذي سيف وليس بنبّال »

وحسبك من سوطِ الطُفَيْلِ إضاءَةً

« كمصباحِ زيتٍ في قناديل ذبال »

وبزّت له العجفاءُ كلَّ مُطهّمٍ

« له حجَبَاتٌ مشرفاتٌ على الفال »

ويا خسفَ أرضٍ تحت باغيه إذ علا

« على هيكلٍ عبل الجزارة جوّال »

وقد أُخمدتْ نارٌ لفارس طالما

« أصابت غضاً جزلاً وكفت باجذال »

أبان سبيلَ الرشد اذ سُبُلُ الردى

« يقلن لأهلِ الحلم ضُلّا بتضلال »

لاحمد خيرِ العالمين آنتقيتها

« ورضتُ فذلّتْ صعبةٌ أيَّ اذلال »

وان رجائي أن الاقيَهُ غداً

« ولستُ بمقليٍّ الخلال ولا قال »

فأدركَ آمالي وما كلُّ آملٍ

« بمدركِ أطرافِ الخطوب ولا آل »

ومن غير المطولات ما أجابني به وقد خطبت شيئاً من نظمه، صحبة ما طلبته منه[1]:

فديتك يا سيدي مثلما فداك الزمانُ الذي زِنْتَهُ

جمالُ فعالك أظهرتَهُ وسرّ كمالكَ أخفيته

تشوفتَ مني الى بنت فكري فشرّفتَ شعري وزينته

وقد وردْتكَ وانت الذي اخذتَ فؤادي فخذ بِنْتَهُ

---

١ ـ البيت الاول في الاحاطة ١ : ١٦٥ .

ومن المقطوعات قوله[1] :

(٤٣ب) كم بكائي لبعـدكم كم انيني ... مَنْ ظهيري على الأسى مَنْ مُعيني
جَرَّحَ الخدَّ دَمْعُ عيني ولكن ... لا عجيبٌ إن جَرَّحَ ابنُ معين

ومن ذلك قوله :[2]

ارى الناس يولون الغنيَّ كرامةً ... وان لم يكنْ اهلاً لرفعةِ مقدارِ
ويلوونَ عن وجهِ الفقير وجوهَهُمْ ... وان كان أهلاً ان يُلاقى بإكبارِ
بنو الدهرِ جاءتهم أحاديث جمةٌ ... فما صححوا إلا حديثَ ابن دينار

٤٩ ـ القاضي عبد الله ابو محمد بن عبدالله بن خديم اللخمي الغرناطي ، رحمة الله عليه :

فاضل تطوى عليه الخناصر ، ويقوم بحجة مطريه البرهان الناصر ، وتقصر عن[3] مثل عقائـل بيانه المقاصر ، يأوي الى الحسب الأصيل ، والطلب المؤسس على التحصيل ، والإدراك الجميل الجملة والتفصيل ، ورقة الحاشية التي تحسدها رقة الأصيل ؛ قرأ ببلده واشتهر ، وباهى ببيانه وبهر ، ورحل الى المغرب شأن الكواكب ، إذا ضرب من أفلاكهـا آباط المراكب ، وتزاحمت بالمناكب في تلك المواكب ، إلا أنه أشرق

1 ـ الاحاطة ١ : ١٦٥ ،
2 ـ الاحاطة ١ : ١٦٥ وازهار الرياض ٣ : ١٨٨ .
3 ـ ج د : وتقصر من .

فلم يغرب والحمد لله ثاقبه ، واختلف سيزه ولم تختلف مناقبه ، ولا جهلت مراقبه ، ونال خططاً شرعية ، ورتباً مرضية مرعية ، وعلا على صهوات أكام ، ما بين مجالي حكم ومجالس أحكام ، ثم خطب العزلة كفواً لهمّه ، وقنع بتافه الحظ استثقالاً منه لجمّه ، وصرف الى اللحاق بالبلاد المقدسة وجه مأمّه . وله شعر تهوى الشعرى ان تتقلد منه شنفا ، والروضة الأنف ان تملأ من عرفه (١٤٤آ) انفا ، فمن ذلك قوله يخاطبني وقد آتـُّخِذَ له بنظري دهن الورد العشاري الأجزاء :

أيا سيدي الأعلى وشمسَ هدايتي ووجهة تعظيمي وروضة إيناسي

لساني نبا عن شُكرِ آلائِكَ التي توالتْ فآلتْ ان تُقَيِّدَ انفاسي

ومن لي بمدحٍ في معاليك منصفٍ

وقد جلَّ مدُّ البحر عن قسط قسطاس

لأرسلتَ نحوي من قبولك لحظةً فلم تُبقِ لي آثارُ جودك من باس

وآسيتَ اسقامي بتدبير جابرٍ واسّست إبلالي على خير آساس

وناديتَ أنصار العلاج فأسرعتْ اليك من الآفاق سُبّاق أفراس

من الصينِ اقصى الارض والهند اقبلت

تيمم من مرماك أوجه [1] قرطاس

فنخّل [2] منها العشرَ عَرْضُكَ جمعها لنصرةِ مستعدي الرجاء على الياس

فبـّرزَ منها الوردُ سابقَ حلبةٍ

تقاسمن خَصْلَ السبقِ في الشكر للناس [3]

---

١ – خ بهامش ك : وجهة .

٢ – فنخل : غير منقوطة في الاصول .

٣ – د : فالشكر للآسي

فنفّلتُ نيلي[1] البرءَ أربح مغنم ... تُقاد[2] لي الآمال فيه بأمراس
وسقّيتني للعلم كأساً رويّةً ... تنيرُ دياجي المشكلاتِ بنبراس
ومهّدتَ لي سُبْلَ اعتنائك كاسياً ... ملابسَ برٍّ صدقه دون إلباس
فأثني ثناءَ الروضِ سقّاهُ اكؤساً ... غمامٌ على الساقي امتناناً أو الكأس
قياماً بحقّ الفرض في كل محفلٍ ... وسعياً للثم الرجل منك على الراس
وان جحد الناسُ اصطناعك أو نسوا ... فاني بريءٌ عند ذاك من الناس

وأنشدني لما صنفت كتاب « المباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية » جملة مقطوعات منها قوله :

جميـــع المباخر محتاجةٌ ... سوايَ لتجديد نار وطيبْ
بجمرِ الذكاءِ وطيب الثناءِ ... غنيتُ انتساباً الى أبن الخطيب

(٤٤ ب) وقال فيها ايضاً :

مباخرُ الطيب لهـا غايةٌ ... من بعدها تحتاج تجديدَ طيبْ
وهذه تعبق طيبـاً متى ... تُعزى الى مُنشِئها ابنِ الخطيب

ومن شعره في الحكم :

أبت المعارفُ أن تُنالَ براحةٍ ... الا براحـةِ ساعد الجِـدّ
فاذا ظفرتَ بها فلستَ بمدركٍ ... ارباً بغير مساعـد الجَدّ

وقال ايضاً في التورية :

---

١ ـ د : قبل .
٢ ـ ج ك : تنادى .

١٠

اذا جئتَ ذا دنيا تؤّملُ حاجةً   فقدّمْ شفيعاً لا يُرَدُّ بأعذارِ
فلستَ ترى منه احاديثَ نافعٍ   اذا لم تحدّثه حديثَ ابنِ دينار

ومما خاطب به بعض الشرفاء :

وقفتُ على حبّ النبي وآله   رجائيَ في الاخرى وفي هذه الدارِ
فجَدُّكَ في الدنيـا الشفيـعُ لحاجتي
وَجَدّكُ في الاخرى الشفيـع لأوزاري

٥٠ – القاضي علي بن عبدالله بن الحسن النباهي البني المدعو بجعسوس *

أطروفة الزمن ، التي تجل [١] غرائبها عن الثمن ، وقردٌ شاردٌ من قرود اليمن ، ذَنَباً وأحداقا ، وفروة وأشداقا ، واشارة واصطلاحا ، وخبثاً وسُلاحا ، لا يفرق بينهما في الشكل ، وقرب الغائط من الأكل ، تُشغَل

* هو صاحب المرقبة العليا في تاريخ قضاة الأندلس ؛ ترجم له لسان الدين في الاحاطة وأثنى عليه . أنظر نفح الطيب وأول الجزء الثاني من أزهار الرياض ، ونيل الابتهاج : ٢٠٥ ؛ وقد أثنى عليه ابن الخطيب أولا (أنظر الظهير الذي كتبه لسان الدين بتوليته قاضياً في النفح ٧ : ٩) ثم تغيرت الحال بعد ان كان النباهي أحد المتآمرين على لسان الدين ، فها هو في الكتيبة يذمه أقذع الذم ، وتعرض له في أعمال الاعلام : ٧٨ بالتندر والثلب . وللنباهي رسالة إلى لسان الدين أوردها المقري في النفح ٧ : ٤٩ وفي أزهار الرياض ١ : ٢١٢ يعدد فيها عيوب لسان الدين وما أخذ عليه من شئون . ومن كتب تلك الرسالة وألف المرقبة لا يمكن ان يكون على مثل هذه الجهالة التي وصفها ابن الخطيب . ولكن مؤلف الكتيبة لم يكتف بهذا معرضاً لغيظه وحنقه بل ألف فيه رسالة سماها « خلع الرسن في وصف القاضي ابن الحسن ».

١ – ج د : ما تجل وفوق « ما » علامة خطأ في النسخة د

به الصبيان إذا بكت ، وتتملح بذكره الزهاد بعدما نسكت ، وعن كل شيء أمسكت ، إلا أن خلبه بالنسبة الى هـذا الخلق والوجه الطلق حسنة جميـلة ، وأوصافه بالنسبة الى معارفه وعلومـه (٤٥ آ) أوصاف ابن قاضي ميـلة ، لا يجلب لأدب يرسم ، ولا حـظ من حسن الذكر يقسم ، ولا لعرف يتنسم ، ولا لبركة تتوسم ، انما جنب حماره في القياد ، لحمل اوقار[1] هذه الجياد ، واطرف بزرافته الخارقـة حجاب الاعتياد ، في مثل هذه المواسم الادبية والاعياد ؛ ومما يعاب به الزين ، كي لا تصيبه العين ، ويعلق على البيوت تميمة ، وان كانت الاوضاع ذميمة ، من حوتة ، ورصاصة منحوتة ، ومرار ثور ، وطرف ذنب سنور ، واحماضاً في المرعى الخصيب ، وإيثاراً للفكاهة بنصيب ؛ وان كان لأبيـه ببلده درجة الامير ، عند مولدي الحمير ، ينظف بيديه ارحامها ، بعد ان يحكم بالدهن اقحامها ، ويستنطق بوحي بنانه الصفنة[2] الجاحدة ، وينزي العير الحصور فيحبل الاتان بواحدة ، وكانت امه ام جعسوس قابلة ذلك الوضع ، ومقدرة الفطام والرضع ، تولول عنـد الخلاص ، وتعوذ المولود بسورة الاخلاص ، وتقطع سرة اليعفور ، بالاظفور ، وتلعق عينه باللسان ، وتبارك بعد ظهوره بدهن البلسان ، ولما ترعرع تَرَعْرُعَ غصن السدر ، من تحت القدر ، وتجلت محاسن نفسه النفيسة من خلال ذلك الخدر ، تحرف ببيع الحروز ، وخلق في محافل البروز ، وتحدى باخراج الكنوز ، بذبائح العنوز ، وادعى انه يعقد اللسان ، وغرم الاتاوة التي يغرمها بنو ساسان ، ثم تعرف بالسلطان في حكاية ، وقدمه قاضياً في سبيل يمين شاردة ونكاية ، وجعله للفقهاء ببلده عقابا ، وإرذالاً اخضع به رقابا ، وكشف عن وجه الانتفاع

---

١ ــ خ بهامش ك : اوزار .
٢ ــ خ بهامش ك : الصفة .

نقابا ، لما آسفوه يجب طلعه ، وافتوا من بعد قلعه ، بوجوب خلعه ؛ ثم اعاده الله تعالى (٤٥ ب)الى ملكة رقابهم ، وحكمه في مجازاة احتقابهم ، والدنيا قد ارملت ، ومـــا حُمِّلتْ من الضيم حملت ، فجاءت سيره في الاحكام سمر الندام ، ونُقْلَ اولي المدام ، وشاهد خسة الدنيـــا على مملك الابرام ، والموجد بعد الاعدام .

حدث بعض من يوثق به من العدول قال :

جرى الحديث الجاري الشهير بمجلس القضاء : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » فقال لي : سبحان الله يا فقيه ، كانوا في القديم مثلنـا في البادية يتبايعون بالخيار والفواكه كما نتبايع بالحبوب من القمح والشعير ،فضحكت وقلت : لا ينكر ان يتصارف الناس بما يغلب عندهم ويكثر وجوده .

وقال آخر منهم : نظر الينا وقد نزلنا من المئذنة من ارتقاب بعض الأهلة ، ونحن اولو عدد وشارة فقال : يا أصحاب ، عذرت الليلة فيكم عمر في قوله – رضي الله عنه – لا يسر احد في الاسلام بغير العدول ، فقلنا: بارك الله في سيدنا القاضي ، تسرّ بنا ونسر بك ان شاء الله تعالى ، قال المخبر : نعني مجروراً برجلك عن مجلس القضاء ، الى حصب الرمضاء ، ثم قال بعضنا لبعض : يا ترى ما الذي اراد هذا المحروم ؟ فقال فاضل منهم: صحَّف قول مولانا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لا يؤسر احد في في الاسلام بغير العدول ، يريد الاسر بالشهادة .

وقال بعض فضلائهم : سمعته يقول : تنكرون عليَّ ما يكثر تردده في كلامي من لفظ جعسوس كأنه ليس من كلام العرب بل ولا من الفاظ القرآن العظيم ! فقلنا له : أما في كلام العرب فربما واما في القرآن الكريم فلا نعرفه ، فضحك وقال : سبحان الله ، أعيدوا النظر فيه ، فقلنا : والله

ما نعرفه ؛ فقال : ألم يقل الله تعالى في القرآن : ولا تجعسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ؛ فقلنا والله ما قال الله ذلك قط انما قال : ولا تجسسوا (٤٦ آ) ، قال فاسترجع وقال يا فقيه : حفظ الصغر ؛ وألّفَ في مثل هذا [١] جزءً سمي « بتنبيه الساهي على طرف النباهي »[٢]

وهذا الشيخ ممن زين له سوء قوله ، وحُبب اليه شم خرئه واستعذاب بوله ، فيكتبُ ويشعر ، ويكلب ويسعر ، وهو لا يفطن بالهزء ولا يشعر ، فمما ينسب اليه مما كان يهذر به الحروز اذا عقدها ، وأتبع النفث عقدها [٣] ، يرفع بها الصوت ويجهر ، ويؤنب من يتشاغل عنه بالحديث وينهر ، وكأن به مخيلاً ، وعلى الجنس من النوارية بخيلاً ، الى ان شورك فيه بحكم الانجرار ، وحفظه لكثرة التكرار ، قوله وهو أشف من معتاده ، وأعلى من عتاده ، فالله أعلم بصحة إسناده ، وجهة استناده [٤] :

أُعوِّذُ من يُمسي عليه معلقاً	حجابي بطه او بياسين والخمسِ
من الجنّ والعُمار او أم مَلدَمٍ	وتلك هي الحمّى،ووسوسةِ النفس
ومن امّ صبيان وسحرٍ وبغضةٍ	ومن ربط ذي عرس تكلف في عرس
ومن ساكنِ الحمام والفرن والرحى	ومن ساكني قبرِ القتيل من الانس

١ ـ د : والف في هذا .

٢ ـ يبدو ان هذا كتاب آخر غير الذي ألفه فيه لسان الدين .

٣ ـ في رد النباهي على لسان الدين اشارة تدل على ان النباهي كان يرى الرقية ويستعملها إذ يقول: « وكذلك رأيتكم تكثرون في مخاطباتكم من لفظ الرقية في معرض الانكار لوجود نفعها، والرمي بالمنقصة والحمق لمستعملها . . . » (النفح ٧ : ٥٤)

٤ ـ وجهة استناده : سقطت من د .

ومن غُولة في القفر او صوتِ هاتفٍ
ومن وَجعٍ في الرأس يَخرُج عن حس
بهرشاهيا هرشاهيا وَشراهيا وباسمٍ عظيمٍ جاء في آية الكرسي
فخُذْهُ على طُهْرٍ ولا تَدْخلنْ به خلاءَك، واسمَ الله نزهْ عن الرجس
وَنَحّه ان جامعتَ زوجك ياأخي الى ان تجيدَ الطهر من ذلك اللمس
وجلده واغسله بماءٍ وحلّ فيه ما شئته من زعفرانٍ ومن ورس
ونشّر به واشربْ لكلّ أذايةٍ ترى النفعَ حقاً حين تصبحُ او تمسي
(٤٦ب) وقل رحم الله الفقيهَ فذكرُهُ
بخيرٍ له خيرٌ من أجرة ذي الطرس
ووالله يا انسان لولا وصيةٌ
لشيخٍ نصيحٍ كان من خيرة الجنس
بأن لا يُرى أجرٌ له غيرَ درهم
لبيع بألفٍ وهو يشكو من البخس

ومما أنشدنيه وحضرت التملح به، رفعه الى السلطان عند إعذار ولده، من قصيدة أولها :

أبدى لنا من ضروب الحسن أفنانا هذا الطهورُ لمولانا ابنِ مولانا
فلا تحرّك لساناً يا أخا ثقة بريمٍ رامةَ إن وفّى وإن خانا
يظلُّ ينشرُ مَيْتَ الوجدِ عن جدثٍ
من الجفونِ أو الاحشاءِ عُريانا
فما النسيبُ بأولى من حديثِ علاً عنِ الإمام ينيل المرءَ رضوانا
يمّمْهُ تحظَ بما أمّلْتَ من نعمٍ تجنيك للسُول أفناناً فأفنانا

ومنها في المدح والوصف :

وقمتَ في الولد الميمونِ طائرهُ   بسنّةِ الدينِ إكمالاً وإحسانا
بدا لنا قمرٌ تعنو العيون له   مُقلّداً من نطاق المجد شُهبانا
فارتاحَ عطفُ الثناءِ وانثنى طرباً   له وأطلعَ وجهاً منه مزدانا
فيا دماً سال عن تقوى فعاد له   بين الدماءِ طهوراً[1] طيّباً زانا
لله درُّ بني نصرٍ لقد ملكوا   كلَّ المحاسنِ أشياخاً وشبانا
اي والذي خلق الانسان من علقٍ   حقّاً واعطاكَ ما أعطى سليمانا

وانشد بمحضري قصيدة غريبة اولها :

خليلي مرّا بي على أمّ مارب   ولا تعذلاني انني غيرُ آيبِ

فقلت لبعض اصحابنا : ضاقت على الفقيه ابي الحسن أرض الحجاز فذهب (٤٧ آ) الى ارض مارب فقال : هو كما تعرف يحاول العزائم ويستنزل الجنونَ ؛ وخاطب خليله من الجن ليعيد له حديث تميم الداري رضي الله عنه[2] .

ومن المقطوعات التي يتبجح بمُذهبها، ويتبرع بلزوم مذهبها ، قوله يخاطبني :

يا مالكي وهو لي فخرٌ تملّكهُ
ذاتي ، عتابُكَ عندي أعظمُ المننِ
فكلُّ ما ينطقُ المولى الكريم بـه
في شأن مملوكه من أحسن الحسن

---

١ ـ د : طهور .
٢ ـ لعله يعني حديث الجساسة والدجال ؛ انظر شرحه في تهذيب ابن عساكر ٣ : ٣٤٤

وقوله في المعنى :

وما صدَّ شخصي عن لزوم مقامكمْ
سوى نقصِ ذاتي فارفقوا بيَ في العتب

وان غبت حسّاً عنكمُ لضرورةٍ
فأنتمْ معي معنىً لسكناكَ في القلب

ومن ذلك قوله يصف سحاءَة من قبلي :

سحاءةُ سرٍّ[1] بل رياضُ فضائلٍ
سقاها سحابُ العلم من مائه العذبِ

تجلَّتْ فأجلتْ عن فؤادي شقا الضنا
وحيَّتْ فأحيتْ قلبَ عاشقها الصبّ

إذا رُمتُ وصفَ البعضِ من حسنها الذي
يهيمُ بــه كلّي يغصُّ بهـــا لبّي

٥١ – الشيخ القاضي ابو عبدالله محمد بن ابي الحسن بن ورد بن ابي بكر بن ورد الغساني ، رحمة الله عليه

هام بوادي الشعر مع من هام ، واستمطر منه الجهام ، ولم يختر الله له منه ذلك الاسهام ، ولا سدد السهام ، وهو يعتقد فيما يأتي به الالهام ،

١ – خ بهامش ك : سحر .

وله بيت في القديم معمور بأكابر ، وفرسان أقلام ومحابر ، وتكاثرت عليه رحمه الله بسبب لسانه الأحن ، وتعاورته المحن ، وتصرف آخر عمره في الاعمال المخزنية ، متعللاً بنزرالقوت الى ، الأجل الموقوت ، فمن شعره الذي خبط به خبط العشواء ، وحار حيرة اولي الاهواء ، [٤٧ ب] قوله يصف ليلة الميلاد الأعظم[1] :

يا ليلةً عَظمتْ بها الأذكارُ وتفتحتْ من نُورها الأنوار
وسرى النسيمُ بطيبها متأرجاً فله شذا مِنْ نفحها مِعْطار
والدهرُ منها قد تجلى بهجةً وكستْهُ من أسرارها انوار
والقضب منها كلِّلَتْ بأزاهرٍ وترنمت تشدو بها الاطيار
وتحلتِ الدنيا جمالاً رائقاً فلها من الحسنِ البديعِ سِوار
والشهبُ تهمي من تواكفِ بذلها والبذلُ من اعطائها مدرار
والحقُّ منها قائمٌ متأيِّدٌ يعلو له طولَ الزمانِ مَنار
والدين منتصرٌ بجدٍّ ثباتها وله ظُبى تحمي الورى وشِفار

٥٢ – الشيخ القاضي ابو الحسن احمد بن يحيى بن محمد بن عبيدة التميمي ، رحمة الله تعالى عليه :

مجموع ادوات ، وفارس يراعةٍ ودواة ، والشيخ تقع منه العين على صورة طريفة ، وهيئة حسنة ظريفة ، وقريع بيت نبيه ، واصالة ليس فيها

---

١ – هو المولد النبوي وكان الاحتفال به في المغرب يوماً مشهوداً وعلى مثالهم جرى الاندلسيون في ذلك من عمل الدعوة وانشاد الشعراء (انظر التعريف : ٨٥) .

تنبيه ، وخط حسن ، وكتابة ولسن ، تصرف في القضاء فما ذوى لسورته نَوْر ، ولا نُسِبَ اليه حيف ولا جور ، وقد اثبت من كلامه [1] في هذا المجموع ما يشهد بظرفه ، ويخبر نسيمه عن طيب عرفه ؛ فمن ذلك من قصيدة سلطانية :

محياكَ إصباح وبشرُكَ وَضّاحُ ... وسعدُكَ فتّاحٌ وحمدك نفّاحُ
وسلطانك الأعلى فلا مَثنَويَّةٌ ... وللسيفِ والاقلام في ذاك إيضاح
وأنت الاميرُ ابن الاميرِ لنسبةٍ ... لها كلُّ طرفٍ في البرية طَماح
(٤٨آ) فمجدٌ يفوقُ النجمَ سامٍ الى العلا ... ووجهٌ يروقُ الشمس أزهر وضاح
من الذروةِ العليا من النفر الأولى ... لهمْ صُحُفٌ في الحمدُ تتلى وامداح
همُ القومُ كلُّ القومِ حشوُ برودهمْ ... حنانٌ وإحسانٌ وعطفٌ وإصلاح
فكلُّ أميرٍ دونهم فهو صورةٌ ... وأملاكُ نصرٍ في الحقيقة ارواح
ويوسفُ منهم فاقهمْ بمكارمٍ ... تَبينُ على وجه الزمانِ وتلتاح
وزاد عُلاً لا يستقلُّ بشرحها ... وان زاد وصّافٌ واطنب مَدّاح
فسحبُ يديه بالنوالِ سواكبٌ ... ونورُ محيّاهُ منيرٌ ولمّاح
لقد طبّق الدنيا جميلُ ثنائه ... فسار بطيبِ الذكر حادٍ وملاح
ألا إن رأس المالِ عند مديحه ... وبيضُ أياديه الموالاتِ أرباح
جنحتُ اليه باعتقادي وطاعتي ... فَبُشرى جُنوحي في معاليه انجاح
ألا ايها المولى هنيئاً بإمرةٍ ... بأسعادها يزهى الزمان ويرتاح
وهذا مديحٌ في الهناء نظمتُهُ ... ونشرُ مديحي في معاليك فواح
قدحتُ له فكري بأورى زنادِهِ ... فلله [2] زندٌ من ضميريَ قدّاح
ودُمْ في سعاداتٍ تروح وتغتدي ... فيقدم إمساء بهنُّ وإصباح

---

١ – ج ك : في كلامه .

٢ – فلله : سقطت من ج .

٥٣ – القاضي ابو عبدالله محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد
وقد ذكر عمه وهو ابن شبرين [١] رحمهما الله بنه *

فاضل اعتبط سريعاً ، وغصن قطف مريعا ، من بعد ان نجب ، وأبدى من خطه العجب ، ونظم وكتب ، وقعد لالتماس الحظ ورتب .

ومن شعره :

ذرني فقد ساعدَ وقتٌ وطابْ	اذ الاماني سمحتْ باقترابْ
ابذلُ جهدي في طلاب العلا	فباذلُ الجهد حميدُ المآب
(٤٨ب) حططتُ آمالي بمعنى السنا	ومنتهى القصدِ وكنهِ الطلاب
معنى امامٍ صوب إنعامه	يَفيضُ فوق الارض منهُ عباب
كلّ جمال أحرزتْ ذاتُه	فلا تكنْ عن حسنها في غياب
فقِدْحُ مَنْ عامَلهُ فائزٌ	طوبى له اليومَ وحسنُ المآب
مولايَ ما إنْ عنك لي مَصْرَفٌ	عند اعتدالِ الوزن زال الحجاب
أسستَ لي مجداً ومن بعده	ظَلتُ اخا حُزْن رهينَ اكتئاب
مُغَلَّبَ الأشواقِ لا أنثني	عن فَرْطِ تردادٍ وطولِ اضطراب

---

١ ــ انظر الترجمة رقم : ٥٨ في ما يلي .

* ترجم له في الاحاطة ووصفه بالمهارة في علوم اللسان . ولي ديوان الانشاء بغرناطة ثم القضاء والخطابة بها . ثم عزل من القضاء فتصدى للتدريس ، ثم ولي قضاء وادي آش ، ثم قضاء غرناطة . توفي سنة ٧٦٠ ؛ انظر بغية الوعاة : ١٦ .

حاشاك او حـــاشا ُعلاك التي ما مثلُها فهي لبـاب ُ اللباب
ان تتركِ العبــدَ لأماله في ضيقِ عيشٍ دائماً واجتناب
فأمننْ بإسعافي ولا تنـسَني لا أعدم الرحمنُ ذاكَ الجناب

٥٤ - القاضي الاديب ابو جعفر احمد بن محمد بن ابي بكر القيسي ، رحمه الله تعالى

حسن الاغراض ، نقي الجواهر والاعراض[١] ، ذو ادب اشهى مـــن فصل القراض ، ومعان أوحى مـن نظرات العيون المراض ، ولي القضاء فاستقام الأود ، واقيم القصاص والقود ، وظهرت الصيانة ، وبهرت الديانة ؛ ومن شعره الذي يدل على انفساح مداه ، وكرم مراحه في البلاغـــة ومغداه ، قوله :

أَمِنها على ان السهى منه لي ادنى خيال سرى نحوي يشق الفلا وهنا
يشق الفلا والخيل والبيد والقنا ولوسيم كسر النبت ماسطاعه وهنا
سرى سلخ شهر في فواق حلوبة فلله ما انأى سراه وما ادنى

(٤٩ آ) وقال من الامثال والحكم :

إمنحِ الودَّ مَن علا الناسَ قدراً مَنْ له بالوداد نفسٌ مُطيعهْ
واحفظِ الودَّ مِنْ عوادي التجني فالتجني حلولُ وَفْـدِ الطبيعه

١ ـ خ بهامش ك : من الاعراض .

وقال أيضاً :

ليس حلمُ الضعيف حلماً ولكنْ حلمُ من لو يشا لصالَ اقتدارا
مَنْ تغاضى عن السفيه بحلمٍ أصبح الناس دونه انصارا
من يزوّج كريمةَ الهمةِ العليـا علواً فقد أجادَ الخيـارا
ستريه لدى الوِلادِ بنيها العـلمَ والحـلم والأناةَ كبارا (١)

وقال ايضاً :

إذا ما جنى يوماً عليك جناية ظلومٌ يدقُّ السمر بأساً ويقصف
فلا تنتقمْ يوماً عليه بما جنى وكلْ امرءٍ للدهرِ فالدهرُ منصف

وقال ايضاً :

دارِ العدوّ إذا لم تستطعه وَرِدْ وريدَهَ إن يساعدْ مرةً قدرُ
مَنْ مكّنَتْهُ الليالي من رقاب عدا فلم يُبِدْهُمْ أبادوه إذا قدروا

١ ـ في جميع النسخ : والبنات الكبارا ، والتصويب عن خ بهامش ك .

- ٤ -

طبقة من خدم أبواب الامراء من الكتاب والشعراء[١]

وربما كانت هذه الطبقة متميزة الاستحسان ، تميز البركة بمطر النيسان ، ومظنـــة لدرر بحر اللسان ، الممنون بهـــا على عالم الانسان ، والله يتغمد الكل بالعفو والامتنان ، ويبوئهم غرف الجنان ؛ بفضله وكرمه .

٥٥ - الكاتب الوزير ابو عبد الله محمد بن محمد بن عيسى (٤٩ب) الحميري رحمه الله تعالى :

جرى ذكره مـــن اعلام هذا الفن ، ومشعشعي هذا اللون ، مجموع أدوات ، وفارس يراعة ودواة ، كان ناهضاً بالأعباء ، راقيـــاً في درجات التقريب والاجتباء ، مصانعاً دهره في راح وراحة ، غير مستعدٍ عليـــه بجراحة ، آوياً[٢] من الظرف الى ساحة ، لا تُطرفُ بساحة ، الى ان أطرف جفن الغرور ، وبتّ سُرَرَ السُّرور ، فاستقر بالمغرب غريباً ، يقلب طرفه مستريبا ، ويلحظ الدنيا تبعـــة عليه وتثريباً ، وان لم يعدم من امرائه

١ - سقط هذا العنوان من ج .
٢ - ج : دواماً .

حظوة وتقريباً ، وكان كاتباً مرسلاً ، وشاعراً مسترسلاً ، الا ان الكتابة عليه اغلب ، ولطير الاستحسان أجلب . فمن شعره قوله :

أ ِللبَرقِ يبدو تستطيرُ الجوانحُ ... وللورقِ تشدو تستهلُّ السوافحُ
فقلبيَ للبرق الخفوقِ مساعدٌ ... وجدِّيَ للورق الثكالى مطارح
اذا البرقُ أورى في الظلام زنادَهُ ... فللوجدِ في زَنْدِ الصبابة قادح
وكم وقفةٍ لي حيث مال بيَ الهوى ... أُغادي بها شكوى الجوى وأُراوح
تنازعني فيها الشجون فأشتكي ... ويكثر بثٌ عندها فأسامح
أبثُّ شجوني والحمامُ يصيخُ لي ... وَيُسعدني فيما تهيجُ التبارح
وَتطْرَبُ أغصان الأراك فتنثني ... الى صفحة النهرِ الصقيل تُصافح
فتبتسمُ الازهار منها تعجباً ... فَتُهدي اليها عرْفَها وَتُنافِحُ
كذلك حتى ماد عطفُ مثقفي ... وطرفيَ أبدى هزةً وهو مارح
فلما التظى وجدى ترنَّم صاهلاً ... فقلتُ أمثلي يشتكي الوجدَ سابح
تهيّا لقطعْ البيدِ واعتسفِ السّرى ... سيلقاك[1] غيطانٌ بها وضحاضح
(٥٠) صرفتُ الى البيداءِ رِخْوَ عِنانه ... وقلتُ له : شمِّرْ فانيَ سائح
فحمحمَ[2] لو يسطيعُ نطقاً لقال لي : ... بمثليَ تلقى هذه وتكافح
وَحَمَّلتُهُ عزماً تعودَ مثله ... فقام به مستقبلاً من يناطح[3]
ويممتُ بيداً لم أصاحبْ لجَوْبها ... سوى جَلَدٍ لا يُتقّى منه باطح

---

١ ـ في هامش ك : ستلقاك .

٢ ـ ج ك : فجمجم .

٣ ـ ج ك : يناضح : وهذه رواية د وخ بهامش ك .

وماضي الغرارين استجدت مضاءه | إذا جردت يوم الجلاد الصفائح
ومندمج صدق الأنابيب نافذ | به عند كري في الحروب أفاتح
وسرت فلا ألقى سوى الوحش نافراً | وقد شردت عني الظباء السوانح
تحدق عندي أعيناً لم يلح لها | هنالك إنسي ولا هو لائح
وقد زأرت أسد تقحمت غيلها | فقلت: تعاوت انها لنوابح
وكم طاف بي للجن من طائف لها | فلم أصغ سمعاً نحوها وهو صائح
فلما اكتست شمس العشي شحوبها | ومالت الى أفق الغروب تبارح
تسربلت للادلاج جنح دجنة | فما أبداً عزمي الى القصد جانح
وخضت ظلام الليل والنجم شاخص | الي بطرف لحظه لي لامح
يردده شزراً إلي كأنما | علي له حقد به لا يسامح
وراقب[1] من شكل السماك نظيره | خلا أن شكلي أعزل وهو رامح
يخط وميض البرق لي منه أسطراً | على صفحة الظلماء فهي لوائح
اذا خطها ما بين عيني لم يزل | أكلف دمعي نحوها فهو طامح
ومازلت سراً في حشا الليل كامناً | الى ان بدا من ناسم الصبح نافح
وهب نسيم الصبح فانقطعت له | قدود غصون قد رقتها الصوادح
تجاذبن من ذكري احاديث لم تزل | يرددها منها مجد ومازح

(٥٠ب) وملت الى التعريس لما انقضى السرى
أروض له نفسي وعزمي جامح

ومال الكرى بي ميلة سكنت لها | على نصب الوعثاء مني الجوانح
وكم أخذت منه الشمول بثارها | فبات يسقى وهو ريان طافح
وقربت الأحلام كل مؤمل | فأدنته مني وهو في الحق نازح
أرتني وجوهاً لو بذلت لقربها | حياتي لمن بالقرب منها يسامح

---

١ ـ د: وأرقب.

لقلّ لها عمري وما ملكتْ يدي وصدقتُ نفسي أن تجريَ رابح

وما زلتُ أشكو بيننا مضَضَ النوى

وما طوّحتْ بي في الزمان الطوائح

فمنها ثغورٌ للسرورِ بواسمٌ لقربيَ منها[1] للفراقِ نوائح

تُقرّبها الاحلامُ مني ودونها مهامهُ فيها للهجيرِ لوافح

وبحرٌ طمت[2] أمواجهُ وسباسب وقفرٌ به للسالكين جوائح

قضيتُ حقوقَ الشوق في زورة الكرى

فإنّ زياراتِ الكرى لموانح

يُقرّبن آمالاً تباعَدَ بينُها وتعبث فيها بالنفوس الطوامح[3]

فلما تولى عنّيَ النومُ أقبلتْ همومٌ أثارتها الشجونُ فوادح

وعدتُ الى شكوى البعادِ ولم أزلْ أردّدها والعذرُ منيَ واضح

وما بلغت عني مشافهةُ الكرى تبلّغها عني الرياح النوافح

وحسبك قلبٌ في إسار اشتياقهِ وقد أسلمته في يديه الجوانح

ومن شعره فيما دون المطولات :

يا نازحين ولم أفارقْ منهمُ شوقاً تأججَ في الفؤادِ غرامُهُ

غُيبتمُ عن ناظريّ وشخصكمْ حيث استقرّ من الضلوعِ مقامه

رَمَتِ النوى شملي فَشتّتْ نظمه والبين رامٍ لا تطيش سهامه

(٥١آ) وقد اعتدى فينا وجدّ مبالغاً وجرتْ بحكمٍ جوره أحكامه

أترى الزمانَ مؤخراً في مدتي حتى أراه قد انقضتْ أيامه

---

١ ــ لقربي منها : سقطت من ج .

٢ ــ ك : همت .

٣ ــ ج د : وتبعث فيها للنفوس ؛ الطوامح : سقطت من ج .

ومن شعره قوله :

غريبٌ بعدكمْ ملقىً بأرضٍ ... له فيها التعللُ بالرياحِ
إذا هبَّت اليـــه َصبا اليها ... وإن جاءته من كلّ النواحي
تساعدهُ الحمائمُ حين يبكي ... فما ينفكُّ موصولَ التياح
يخاطبهنَّ مهما طرن شوقاً ... أمـــا فيكنَّ واهبةَ الجناح

٥٦ – الشيخ الكاتب ابو بكر ارقم بن ارقم(١) الخيري ، رحمه الله تعالى:

رجل ماجد ، وعلى الزمان واجد ، عنــــد ذكر الفضلاء متواجد ، له البيت المعمور ، والشعب الذي تنشأ به النمور ، والحسب المشهور ، تعترف به الأزمان والدهور ؛ وكان من كتاب السلطان ، وأحد الاعيان بهــــذه الاوطان ، بادٍ تألقه ، كريمة خلقه . ومن شعره في غرض الفخر قوله :

لبني ارقمٍ بوادي الأشـات ... حللٌ لا يريمهـــا كلُّ شاتِ
وهي في الحالِ كالقديم وهذا ... دأبهـــا المرتجى لها في الآتي
يُصبحُ الضيفُ في نعيمٍ ويشقى ... كلُّ عِجْلٍ من أجله أو شاة
فترى القومَ ثَمَّ بـــين قعودٍ ... وقيـــامٍ ونوّمٍ ومشاة
قنعوا بالوصالِ من كلّ مجـدٍ ... حين صمُّوا عن عُذّلٍ ووشاة
كرّم الله وجهَ كلّ وجيــهٍ ... منهمُ في الحياة او في المات

---

١ – ج : ابو بكر بن عمر بن ارقم .

حدثني الشيخ الكاتب ابو بكر بن شبرين شيخنا [1] رحمه الله وقد جرى ذكره قال : نظمت له هذين البيتين ببيت الكتاب :

(٥١ب)الايامحبَّ المصطفى زدْ صبابةً وضمّخْ لسانَ الذكرِ دأباً بطيبهِ
ولا تعبأنْ بالمبطلينَ فانما علامةُ حبِّ الله حبُّ حبيبه

فذيلهما بقوله :

نبيٌّ هدانا من ضلالٍ وحيرةٍ الى مرتقىً سامي المحلِّ خصيبه
فهل يُنكرُ الملهوفُ فضلَ مجيره ويغمطُ شاكي الداءِ حقَّ طبيبه

٥٧ – الشيخ الكاتب ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن جابر القيسي رحمه الله تعالى :

فحل هادر ، وبليغ على الكلام قادر ، اهتز له العصر على رجاحة أطواده ، وحذره ميدان البيان على كثرة سواده ، وتعدد جواده ، وطولب لما جلا على منصة[1] الابداع بنت فكره ، وجاس خلال ذلك الحي الحلال ببكره ، أنْ يثبت النسب ، ويستظهر بعقد ما كسب ، فأظهر الحق ، وتمم فاستحق ، ولم تزل بدائعه في اشتهار ، وروضة آدابه ذات ازهار ، وكانت له نفس الى العلوم مرتاحة ، وعناية بها متاحة ، فهام بكل مستحيل وجائز ، حتى بعلوم العجائز . وشعره جزل الاسلوب ، وعذب

1 – انظر الترجمة رقم : ٥٨ في ما يلي .
1 – ك : من منصة .

في الافواه وجليل في القلوب ؛ فمنه قصيدته التي كثر بسببها القال والقيل، فنبا بالظنة المقيل ، وسل عليه للنصفة العضب الصقيل ، وهي هذه :

صدورُ القوافي والركابِ تميلُ — الى حيث تَرْوى والزمانُ مُحيلُ
وتنتجعُ الغرَّ البهاليلَ نُزَّعاً — عن الحيّ يُلفى في حماه بخيل
وتنزلُ اعطانَ المعالي فإن نأتْ — رمتها اليهــا هزّة وذميل
(٥٢آ)واكثرماحطتبلخمٍ رحالها[1] — اذا عزَّ مطلوبٌ وأخفقَ سول
فتقصدُ بحرَ الجود هبَّ عبابُهُ — كما هاجَ من حيث الخميسُ صهيل
وتلقى وجوهاً كالبدور مضيئةً — عليهــا لمأمولِ النوالِ دليل
وتأتي بيوتاً كالهضابِ منيعةً[2] — أُباةُ الدنايا بينهنَّ حُـــلول
فمن أروعٍ هزَّ الشبابُ قناتَـهُ — يناضلُ عن دين الهدى ويصول
ومن أشيبٍ يرضى الإلهُ مقامَهُ — إذا سترته للظلامِ سُدول
اولئك قوم ابنِ الحكيم أبوا له — سوى عزةٍ قعساء ليس تزول
وحازتْ له تلك المعالي مزيّةً — يفوتُ الورى إدراكُــها ويطول
وهمةُ فضفاض المكارم أروعٍ — يجرُّ رداءَ الحمد وهو طويل
ويزأرُ دون الملك زأرةَ ضيغمٍ — تحفُّ به وَسْطَ العرينِ شُبول
فتخشى الليالي أن تطولَ جنابَهُ — وتزورُّ عنه جانباً وتميـــل
وهيهاتِ خطبٌ ان يلم وراءه — على صدرِ أحداث الزمان ثقيل
بلى انــه عزٌ تبلَّــج وجهُه — وأشرقَ منه معطسٌ وتليل
ومَلْكٌ يراعُ الدهرُ من فتكاتِهِ — شروبٌ لأرواحِ الطغاة أكول

---

١ - خ : بهامش ك : ركابها .
٢ - خ : بهامش ك : منيفة .

ومنها في التوسل قوله :

ببابك مملوكٌ يناجيكَ ضارعاً ويرغبُ أن يلقاه منك قبول
وقد ضاع منه ناصحُ الجيب مخلصٌ قئولٌ لما شاءتْ عُلاك فعول
طوى لك أحناءَ الضلوعِ وفاؤُه على صدقِ حبٍّ ليس عنه يحولُ
وجالَ بوادي الشعر حيث أضله دليلٌ ولم يُبْعَث إليه رسول
فجاءَ بأمداحٍ تدينُ بشكرها تبابعةٌ من يعرب وقُيول
(٥٢ب) أمَا ليَ في هذا اليك وسيلةٌ أُعرِّسُ في أكنافها وأقيل
وكيف ضياعي لا لغيرك مَفزَعي ولا ليَ عن ذاك الجنابِ عدول
أأصدى ودوني منك بحر مكارمٍ تفيضُ سماحاً كفُّه وتسيل
وأصدعُ احشاء الهواجرِ ضاحياً وظلُّك خفاق الرواقِ ظليل
ألمْ يأنِ ان تَرْوى بِسُحْبِكَ ساحتي
وينفحَ روضي من رضاك قبول
فأغدو ولا خطوي قصيرٌ اذا خطا ولا ناظر مهما نظرتُ كليل
ولا مِقْولي يومَ الحجاج مُلَجْلَجٌ ولا مُنْصُلي يومَ الهياج فليل
ولا جانبي سهلٌ على نيلِ حادثٍ يُعَفّى اهتضاماً رسمَه ويحيل

وكان من تذييله لهذه القصيدة لما اكذب في ادعائها ، واتهم في اعائها، اختباراً لمدارك سنه ، واستقصاراً لمطارح إنسه او جنه ، قوله :

ولو لاحظتني من لدنك عنايةٌ لما كانتِ الدنيا عليَّ تصولُ
ولم تزعمِ الاقوامُ أن مدائحي تراغتْ بها أُولى الزمان فحول
وما كنتُ أرضى ان انالَ ذريعةً يُهَدُّ آختباراً رُكْنُها ويَميل
ولولا الذي اوليتني من نوافلٍ يقلُّ لديها الشكرُ وهو جزيل

لما قدحت زندَ القوافي قريحتي ولا ُقدْتُ منها الصعبَ وهو ذلول

وبان ليَ الإعراضُ عنها فأصبحتْ لها من فراقي أنةٌ وعويل

وربتما عاجَ الرجاءُ ركابَها عليَّ فلم يُمْكِنْ لديَّ نزول

فقد دَلفَتْ منها اليَّ نوائبٌ يروعُ جناني ذكرُها ويهول

وحطَّم أثلي قاصف من رياحها تكادُ له شُمُّ الجبالِ تزول

وما ضرَّ ان أُرمى لديك بتهمةٍ وفكري مزيحٌ للشكوكِ مزيل

(٥٣آ) وعندي لذاك المجدِ شتى مدائح[١]

شواردُ في عرضِ البلاد تجول

فلا تنسَ لي هذا الذمامَ فانه كبيرٌ اذا ُعدَّ الذمامُ جليل

٥٨ – الشيخ الكاتب ابو بكر محمد بن احمد بن محمد بن شبرين[٢] شيخنا * رحمه الله تعالى

خاتمة المحسنين ، في هذه السنين ، وبقية الفصحاء اللسنين ، ملأ العيون هدياً وسمتا ، وصوناً وصمتاً ، وسلك من الوقار طريقة لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا ، فما شئت من كمال باهر ، وتألق زهر وتأرجح أزاهر ، ومناسبة باطن لظاهر ، وبراعة ادوات وذات ، فضلها الله تعالى على ذوات ؛ إن خط ،

---

١ – ك : مدائحي .

٢ – خ بهامش ك : الجذامي .

* ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة (٢ : ١٧٦) وانظر نفح الطيب ٨ : ٥٥ والمرقبة العليا : ١٥٣ وقد توفي ابن شبرين عام ٧٤٧ .

نزل ابن مقلة عن درجته وانحط ، وانكر البري والقطّ ؛ وان نظم أو نثر ، تبعت البلغاء ذلك الأثر ، وان تكلم انصت الحفل لاستماعه ، وتسرع لدرره النفيسة صدف اسماعه . قـدم على الاندلس وذو الوزارتين ابن الحكيم يدبر ملكها ، وينير حلكها ، فأنهض آماله ، والقى له قبل الوسادة ما له ، وله الأدب الذي تحلت بقلائده اللبات والنحور ، وقصرت عن جواهره البحور ؛ فمن مطولاته التي انشدنا اياها ، وانشقنا [1] رياها :

ظعن الصّبا ومن المحـالِ قفوُلهُ … ان كنت باكيه فتلك طلولُـهُ
قفْ عندهاخيلَ الدموعِ ورَجْلها … وأندبْ شباباً شطّ عنك رحيله
نزحتْ بثينتُه وليلاه مـعاً … فبكى المعاهدَ قيسُهُ وجميله
رَعيـاً لجيراني وللظلّ الذي … قـد كان يجمعُنا هناك ظليله
هذي ديارهمُ فَمَثّلهُمْ بهـا … ان المتيمَ شأنهُ تمثيـله
(٥٣ب) واندبْ اخلاءَ المصافاة الأُلى … فلربّمـا نَدَب الخليل خليله
عهـدٌ أحيلتْ حالُهُ فاليوم لا … مَعْقُولُهُ منّا ولا منقوله
أشجاك مجتمعٌ عفتْ آياتُهُ … وتعاوَرتْهُ شَمولُهُ وقبوله
قد كنت تصغرُ عن سني فتيانه … فاليومَ تصغر عن سنيك كهوله
ولقلما تبقى الرسومُ فويحَ مَنْ … أهواه مِنْ هـذا المتاعِ قليله
لا يأمنْ ذو مهلةٍ فكأنْ به … قـد يممتْ دارَ المقام حموله
ما كان ماضي العيش إلا خطرةٌ … خطرتْ ووقتٌ قد تتابع جيله
أسفاً على زمنٍ كريم عهدُهُ … ولـّتْ غضارتُهُ وغابَ سبيله
ضيّعتَ في طلب الفضولِ بكورَهُ … لكن ندمتَ وقد أتاك أصيله
دعْ عنكَ تذكار الصّبا ان الصبا … رَسمٌ [1] يَهيجُ لك الغرامَ مُحيله

---

١ ــ خ بهامش ك : وانتشقنا .

١ ــ ج ك : سم

يا مفرقاً نزلَ المشيبُ به أتــئـد فالحرُّ لا يؤذى لديه نزيــله
لم يعتمد شيبٌ محلّةَ لمّــةٍ سوداءَ إلا والحمــامُ زميله
قد كان أُنسي في الشباب فصدّني وأبـى عليَّ وصاله ووصوله
فعليك يا أُنسى تحيــةُ مُقصِرٍ طاحتْ عن اللذاتِ منه ذحوله
حسبي إذا رمتُ الأنيسَ مؤنسٌ من ربنا سبحانَــهُ تنزيــله
تبدو الحقائــقُ لي إذا رتّلتُــهُ يا حبذاه وحبذا ترتيله
يبلى الزمانُ ولا يزالُ مجــدداً لا نصُّهُ يَبْلى ولا تأويله
أعْظِمْ بــه للمؤمنين مفصّلاً فرقُ الضلالِ من الهوى تفصيله
نال الهدى والبرّ حاملهُ كما نال الكرامةَ والعلا محموله
أدى أمانته أمــينٌ ناصحٌ في السدرة العلياءِ طابَ مقيله
(٥٤آ) ووعاه عنه مصطفى متخــيّرٌ صحّتْ رسالتُــهُ وصُدّقَ قيله
فلشد ما قد أحسنا في امره هــذا محمدُهُ وذا جبريله
للناشقين به رنيدٌ [١] كلما مدتْ من الليلِ البهيم سُدوله
كم تحت هذا الليلِ من متململٍ متملقٍ خرقَ الحجابَ عويله
من كلّ من راقتْ اسرةُ وجهه وحلا له بــين الأنامِ خموله
ذي مشيةٍ هَوْنٍ وَبُرْدٍ مُنْهجٍ وعلى المقــاماتِ العلا تعويله
رفض الوجودَ ولم يبالِ برزقه لِمَ لا ومولاهُ الغني كَفله
لله منه في الدجنةِ وقفــةٌ هبَّ النسيمُ لهــا فهبَّ بليله
فاذا الصباحُ بدا طوى منشورَها صوناً لسرٍّ والجهــولُ يُذيله
يا حاضراً عندي وليس بحائزٍ ادراكهُ إن العقــول تُحيله
يا غائباً عــن ناظريَّ ولم يغبْ احسانُهُ عني ولا تَنْويلــه
يا واحداً حقــاً وليس بممكن تشبيهُهُ كلاّ ولا تخييلــه
انا ذلك العبدُ الظلومُ لنفسه زلتْ به قدمٌ وانت مُقيله

---

١ ــ كذا في النسخ.

ومن مطولاته في هذا الغرض قوله :

يا ليتَ شعري وهل يُجدي الفتى الطمعُ
هل بعد مُفترَقِ الأحباب مُجْتَمَعُ

جزعتُ اذ قيلَ سار القومُ وانطلقوا
وليس يُنْكرُ في أمثالها الجزع

حازَ الاسى بعدهم صبري بجملته
لا النصفُ فرْضيَ منه لا ولا الرُّبعُ

ردّوا عليَّ فؤادي انني رجلٌ بالعيش بعد فؤادي لستُ أنتفع

وعللوني بأخبارِ العُذَيبِ فلي على العذيب أسىً للصبر يَنتزع

جارت عليَّ النوى في حكمها وَعدَتْ
وكلفَ القلبُ منها فوق ما يسع

(٥٤ب) فمن رأى ليَ سرباً عند كاظمةٍ كادتْ عليه حصاةُ القلبِ تنصَدِعُ

قرينُ أنسيَ في دار الغرام ثوى فيا نعيمَ الهوى هل انت مُطلع

وايّ أنسٍ لنائي الدارِ مغتربٍ وَلتْ على رغمه لذاته جُمَع

يا حبذا منزلٌ بالغورِ تندبه وحبذا فيه مُصطافٌ وَمُرْتبَع

وحبذا ذلك الوادي المقدسُ اذ سالت مذانبهُ فالريُّ والشبع

وحبذا وقفةٌ لي عند شاطئهِ طوراً اقومُ وطوراً عنده أَقع

يا تلعةً اخضلت ماءً جوانبها هل فيكِ للطارقِ المجهود مُنتجع

ويا شباباً ذوى هل كرةٌ أبداً ويا خليطاً نأى هل انت مرتجع

اذا تذكرتُ أيامي فحيَّهلا فالدمعُ يُنصَبُ والانفاس ترتفع

خزعبلاتُ صبا مرتْ وأهلُ هوى مَرّوا فلا رَجعَتْ يوماً ولا رجعوا

فلو رأيتَ رسومَ الدارِ ماثلةً ينتابُها الظبيُ او يغتالها السَّبع

أنكرتَ ما كنتَ قبلَ اليومِ تعرفُهُ

وأخبرتْكَ الليالي انهــا خُدَعُ

آهاً على صبوةٍ ألوى الزمان بها وكلُّ أُنسٍ لايام الصبا تبع

ماأسأرتْ غيرَ أشواقٍ وغيرَ أسىً يُجنّهُ نَدَمٌ يشقى به لُكَعُ

سرعانَ ما ريعَ ذاك السربُ وأسفي

فاليومَ لا سبعٌ فيـــه ولا رُبـع

قومٌ جميع على حكم النوى نزلوا لم يُغنِ ما ألفوا يوماً وما جمعوا

وأيّ حالٍ على الأيام باقيــةٍ فبـــادرِ السيرَ واعلم انها قلع

عادتْ حديثاً وعادتْ دارهم طللاً كأنهم في عِراصِ الدار ما رتعوا

ألقى الزمانُ عليهم خلعةً حسنتْ لكن على عجلٍ ما أبْتُزّتِ الخلع

ما ضرَّ لمّا رأيتَ الصالحينَ بها لو كنتَ تقنع منها بالذي قنعوا

(٥٥آ) جازوا عليها فلم يستهوهم عَرَضُ

ولا ألمّ بهـــم حرصٌ ولا جشع

فكلما عَرَضَتْ دنيا لهم نَفَروا وكلما ذكروا مولاهم خَشعوا

طوبى لهم فلقد قرَّ القرارُ بهم في مستقرٍّ نعيمٍ ليس يَنقطع

ومن المقطوعات البديعة قوله :[1]

أخذتِ بكظمِ الروح في ساعةِ النوى

واضرمتِ في طيٍّ الحشا لاعج الجوى

فمن مخبري يا ليت شعري متى اللقا وهل تحسنُ الدنيا وهل يرجع الهوى

سلا كلُّ مشتاقٍ وأقصر وجـــدُهُ

وعند اللوى وجدي وفي ساكن اللوى

---

١ ـ الأبيات في الاحاطة ٢ : ١٧٧ .

ولي نية ما عشت في حفظ عهدهم الى يومِ ألقاهم وللمرء ما نوى

وقال ايضاً :

متى تسمحِ الدنيـا بقربكم متى لقد عاث هذا البينُ ظلماً وعنتا
الا قبَّحَ اللهُ الفراق فـانه لأصعبُ ما يلقاه من دهرهِ الفتى
أفي كل عـامٍ رحلةٌ بعد رحلةٍ لقد أتعبتنا رحلةُ الصيفِ والشتا
وكنتُ أُرى ذا قوةٍ وشبيبةٍ ولكن تولَّتني الليالي فولَّتا
وكيف احتمالي ذاك والركن قد وهى وهذا مشيي بالحمـامِ مُنكَّتا

وقال ايضاً :

هـل تَرْجعنَّ ليَ الأيامُ هيهـاتا سرعانَ ما صدر الأحبابُ أشتاتا
أرجو لقاءهمُ والحال تُنشدني هيهات يرجعُ من دنياك ما فاتا
لهفي على ما تقضَّى من عهودهمُ فانما كنّ للافراح ميقاتا
هانتْ على نفسيَ الأرزاءُ بعدهمُ فلستُ آسى على شيءٍ إذا فاتا

ومن نسيبه قوله :

(٥٥ب)منتهى مطلبي وأقصى مرامي نظرةٌ منكَ قبلَ يومِ الحمـام
لم أُسِغْ ، مذ نزعتَ عني ، شرابي يا حبيبي ولا استطبتُ طعامي
ظلمتني فيكَ النوى أيَّ ظُلمٍ وامتحى نورُ وصلهـا بظلام
فسلامٌ على السرور فما كان سوى الحلم غرَّني في المنـام

ومن مليح غُرّ أبياته قوله [1] :

١ ــ الاحاطة ٢ : ١٧٧ .

يا من اعاد صباحي فقده حَلكا   قتلتَ عبدك لكنْ لم تخَفْ دركا
مصيبتي بكَ ليستْ كالمصائِب لا   ولا بكائي عليها مثلَ كلٍّ بكا
لمنْ أُطالب في شرع الهوى بدمي   لحظي ولحظكَ في قتلي قد اشتركا

وقال مضمناً [1] :

لي همةٌ كلما حاولتُ أُمسكها   على المذلة في أرجاء أرضيها
قالتْ ألم تكُ أرضُ اللهِ واسعةً   حتى يهاجرَ عبدٌ مؤمنٌ فيها

وقال ويختم له به [2] :

أثقلتني الذنوبُ ويحي وويسي   ليتني كنت زاهداً كأُوَيْسِ [3]
إنما أصلُ محنتي حبُّ دنيا   هي ليلى ولي بها وَجْدُ قيس

٥٩ – الشيخ الكاتب ابو عبد الله محمد بن محمد بن ابي عاصم القيسي ، رحمه الله تعالى :

فاضل يزدان بخطه الانشاء ، ويتلى عند رؤيته (يزيد في الخلق ما يشاء) (فاطر : ١) ، ويعترف بفضله الطائر والمشاء ، لا بل الصبح والعشاء ، اخجل برقاعِهِ أدواح [4] الازهار بين الأنهار ، وأبدى بين ليل نفسه ونهار طرسه ، عجائبَ الليل والنهار ، فبلغ الغاية ، ورفع للمجيدين

---

١ – البيتان في المرقبة : ١٥٣ والاحاطة ٢ : ١٧٨ .
٢ – البيت الاول منهافي الاحاطة ٢ : ١٧٨ .
٣ – هو اويس القرني احد زهاد القرن الاول .
٤ – زيادة من د .

الراية ، الى نفس غذاها المجد بِدَرّه ، وبوأها الفضل بمستقره ، فما شئت من أخلاق سمحة ، وهمة عليها (٥٦آ) من المجد غير ما لمحة ، وكان له شعر يتكلف في نظمه ، ويشجى بعظمه ، فمنه يمدح السلطان :

شيدَتْ بملكك للهدى أركانُ ... وسما له فوق السُّها بنيــانُ
والله أسعـــده بدولتك التي ... هي للعبادِ وللبـــلادِ أمان
باهتْ بها الدنيا وراق جمالُـــها ... والدينُ مسرورٌ بهـــا جذلان
فكأنها لك جنةٌ قد زُخرفت ... وكأنَّ رضواناً بهـــا رضوان[1]
أخلَصْتَ في دينِ الإله سريرةً ... هي بالرضى لك عنده إعلان
فليهنِ أندلساً ليـــاليك التي ... قد عمّ منها العدلُ والإحسان
وأقمتَ من سُنَنِ النبيّ محمـدٍ ... ما قـام منك بشكره الايمـان
وافاك شهرُ الصوم تقضي حقه ... لينيلَ فضلَ جزائه الرحمن
والعيدُ جـاءَ مهنئاً لما أنقضى ... بصيامِهِ وقيامــه رمضان
وأتى يبشّـر بالفتوح فحبّذا ... منه البشيرُ وحبّذا الاتيـــان
فاهنأ به عيداً ووجهُك عيدُهُ ... فيـه المواسمُ دائماً تزْدان
لمـــا اتيتَ الى المصلى مقبلاً ... وشعارُك التسبيح والقرآن
في موكب[1] نظمَتْ سعودُك شمْلَهُ
قـــد راق منـــه للعيون عيـان

---

١ ــ هو رضوان أبو النعيم القائد مولى اسماعيل بن فرج من بني نصر وزر لمحمد بن اسماعيل وأقام له رسم الحجابة والنيابة . وقد وصفه لسان الدين بأنه مفزع الرأي وعقدة السلطان وبقية رجال الكمال من مشيخة ولاه بيتهم – يعني بني نصر (انظر اللمحة : ٨١ ، ١٠١ ، وله ترجمة ضافية في الاحاطة ١ : ٤١٤ (١ : ٣٢٩) .

١ ــ دج : مركب .

وكتائبٍ منصورةٍ بصيالهـــا يبأى[1] هناك الملكُ والسلطان
قد آذنتْ ان الفتوحَ بعزّها مقرونةٌ يا حبــذا الإيذان
أمضيت[2] فيه سنةً يجزي بهــا خيرَ الجزاء المنعمُ المنـــان
وكأنما تلك الكتائبُ روضةٌ لاحت بها من حُسْنِها ألوان
فمن الاسنة إن نظرت أزاهرٌ ومن الدروع هنالك الغدران
إنْ أطلعتْ يوماً سماءَ عجاجةٍ ومن العدو بأفقهـــا شيطان
(٥٦ب) طلعتْ هناك من القسيِّ أهلة تقضي بأن سهامَها شُهبــــان

ومنها :

عَلِمَ الأعادي ان مُلكَكَ غالبٌ إن عاندوك وجيشُك الطوفان
فتبادروا رَغباً الى السلم التي قد قادهم رَهباً لهـا الاذعان
فجنحتَ لما أنْ رأيتَ جنوحَهُمْ عملاً على ما نصّه القرآن[3]
فاعتزّ هذا الدينُ منك بأوحد في وصفه تتحيّرُ الأذهـــان
مولاي حُبُّكَ فرضُه متأكدٌ أبغيْرِ حُبِّكَ في الوجودِ يُدان
مـــا لي اليكَ وسيلة الا به للروحِ منه الرَّوْحُ والريحـان
خذها بمدحك روضةً قد زُيِّنَتْ فيهـا لناظرِ حُسنِها بستان
إن كنتُ في إنشائها متأخراً فَبِسَبْقِ إخلاصي لي الميدان
لا زلتَ متلوَّ المدائح دائمـاً تُصْغي لطيب ثنائك الآذان
في عزِّ مُلكٍ لا يُضامُ له حمىً يحميه ممـــا يُتّقى الرحمن

---

١ ـ يبأى : سقطت من ج .
٢ ـ خ بهامش ك : قضيت .
٣ ـ اشارة الى قوله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » (الانفال : ٦١).

٦٠ – الشيخ الكاتب الوزير ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله اللوشي اليحصبي *

شاعر مفلق[1] ، وشهاب في البلاغة متألق ، وشهير تتشوق اليه بغداد وجلق ، طبق مفاصل الكلام بحسام لسانه ، وقلّد نحورَ الملوك ما يُزري بجواهر السلوك من احسانه ، ونشأ في حجر الدول النصرية راضعاً ثدي نعمائها ، ومستظلاً بسمائها ، ولسلفه بها الاختصاص القديم ، والمزية والتقديم ، والمتات الذي كَرُمَ ذمامُه ، واستقر في يد الرعي زمامه ، وكان ذا همة تبذ من يباريها ، وأخلاقٍ تفتقر الى من يداريها . وشعره شهير الإجادة ، وطرازٌ مذهب على عاتق المجادة ، (٥٧ آ) فمن ذلك قوله في المدح ، الآمن من القدح :

بك بُلـّغَ الإسلامُ كلَّ مرامِ ... يا قائماً بشعائرِ الاسلامِ
عَلمت هذا الدهرَ يعدُل في الورى ... حتى حَمَدنا سيرةَ الأيام
بمهندٍ يمضي مضاءَ يراعةٍ ... ويراعةٍ تمْضي مضاءَ حسام
جمعتهما يمناك بعد تفرُّق ... ان السيوفَ تعزُّ بالأقلام
يا واحدَ العلياءِ يا مَنْ وجهه ... بدرُ الدجى ونداهُ غيثٌ هام

* ترجم له ابن الخطيب في عائد الصلة وأجرى ذكره في طرفة العصر ، وترجم له في التاج المحلى والاحاطة ٢ : ١٩٧ ؛ توفي سنة ٧٥٢

١ – أنظر الاحاطة ٢ : ٢٩٨ حيث تتشابه هذه الترجمة بمض التشابه مع ما ورد في التاج .

من ذا يُوَفي شكر ما اوليته   قَلّ الثناءُ لكثرةِ الانعــام

وقال من قصيدة يهنىء السلطان بهزيمة ملك النصارى دمره الله بمرج[1] غرناطة ويصف الوقيعة : [2]

وبسفحِ[3] خير قد لقوا شرالوغى   وهمى عليهمْ بالمنونِ سحابُ
قصدوا العرينَ ليغلبوا آسادَهُ   فقضى عليهم بأْسُكَ الغلاّب
أجريتَ انهارَ السيوفِ على ثرى   أعناقهم فلها الرؤوسُ حباب
فكأنهــا فوقَ المفارقِ منهمُ   شيبٌ علاه من الدماءِ خضاب
أَحسِنْ به شيباً بهمْ منه ردىً   وبوجهِ دينِ الله منهُ شبـاب
سجدت رؤوسهمُ بسيفك هيبةً اذ   يَسَّرتها للسجودِ رقــاب
ما كان يَعْلمُ مُحْرَبٌ من قبلها   أنّ الحسامَ اذا سطا محراب[4]

وقال من قصيدة يرثي السلطان المذكور[5] :

بَرِّدْ بنارِ الوجد منك غليلا   فالمجدُ أضحى شاكياً وعليلا
كادتْ نجوم الأفق تسقط في الثرى   لما شكتْ شمسُ العلاءِ أفولا
لا صَمْتَ إلا وهو نارٌ في الحشا   لا نُطقَ إلا ما يعودُ عويلا

---

١ - في جميع النسخ : يمدح ، ومرج غرناطة هو فحصها الذي تشرف عليه المدينة ، قال لسان الدين : « وفحصها الافيح المشبه بالغوطة الدمشقية ، حديث الركاب وسمر الليالي ، قد رماه الله في بسيط سهل تخترقه المذانب وتتخلله الانهار جداول وتتزاحم فيه القرى والجنات في ذرع اربعين ميلا او نحوها (الاحاطة : ١٠٥).

٢ - استولى الروم سنة ٧١٦ على عدة حصون ثم قصدوا مرج غرناطة فانتصرت عليهم جيوش بني نصر وكانت على طاغيتهم دون بطره الهزيمة العظمى بالمرج على بريد من المدينة (اللمحة البدرية ٧١ - ٧٢ واعمال الاعلام : ٢٩٤) والسلطان يومئذ هو اسماعيل بن فرج ابو الوليد .

٣ - خ بهامش ك : وبفج .

٤ - هذا البيت متقدم على الذي قبله في ج .

٥ - انظر مطلع هذه القصيدة وبيتين منها في اللمحة البدرية : ٧٦ .

أسكنتنا يا خطبُ مصرَ مُصابنا   واسلْت فيـــه من المدامع نيلا

(٥٧ب) ورميتَ أنفسنا بسهم واحد   فهزمتَ للصبر الجميل قبيلا

لا مرحباً بالعيش إذ جاورْتَنا   وأقمتَ فينا ثاوياً ونزيلا

ضاقتْ صدورُ الخلقِ عن أنفاسهم   إذ ضمَّ بطنُ الأرضِ إسماعيلا

ومنها بعد كثير :

فلأخلَعَنْ ثوبَ الرقادِ على البكا   ولأَلبَسَنْ ثوبَ السهادِ طويلا

ولأندَبَنْ زمنَ الجهـادِ وحسنَهُ   حتى أرى بالحسنِ فيك كفيلا

قلدتُ سيفَ الوجدِ فارس لوعتي   أسفاً واجريتُ الدمـــوع حمولا

وبنيتُ أبياتَ الرثاءِ وقـد رأت   عيني بيوتَ المكرمـــات طلولا

لازال مسكَنُكَ الذي أسكِنْتَهُ   لرضى الاله مُعَرَّســاً ومقيلا

وَهَمَتْ عليه للقَبولِ سحائبٌ   تحـــكي دمـوعَ المسلمين همولا

٦١ – الشيخ الكاتب ابو القاسم الخضر بن احمد ابن ابي العافية *: من التاج رحمه الله تعالى :

فارس ميدان البيان ، وليس الخبر كالعيان ، وحامل لواء الاحسان لأهل هذا اللسان ، رفل في سحائبِ البدائع فسحب اذيالها ، وشعشع

* ترجم له ابن الخطيب أيضاً في عائد الصلة والاحاطة١ : ٥٠٢ (١ : ٣١٩) ونقل فيها بعض ما أورده عنه في التاج المحلى. توفي قاضياً ببرجة سنة ٧٤٥ ؛ وانظر أيضاً ترجمته في المرقبة العليا : ١٤٩ ونيل الابتهاج : ٩٣(ط. فاس)والديباج المذهب : ١١٥وفي اسمه اختلاف عما ورد هنا.

اكؤس العجائب فأدار جريالها ، واقتحم على الليوث اغيالها [وطمح الى الغاية البعيدة فنالها] وتذوكرت المخترعات فقال انا لها ؛ فكان وردة بستان دهره ، عند المفاضلة بين انواع زهره ، وعروس الأدب المغلي لمهره ، وواحدَ مَثْنى البيان في سره وجهره ؛ وشعره يستفز[1] حلم الحليم ، ويلقي له فرسانُ المجال ايدي التسليم ، فمن ذلك في غرض الحكم والامثال ، طوع الطبع المنثال [2] :

عُدَّ الهوى يقظانَ والرأيَ الذي ينجيك منه ، اذا ارتأيت ، نئوما
فاذا رأيتَ الرأيَ يتّبع الهوى خالفْ وفاَقهما تُعَدَّ حكيما
(٥٨آ) وعليك إعمالَ المشورةِ انها تحمي صحيحاً او تُعِلُّ سقيما
وكما تخافُ من الحليم مداجياً خفْ من نصيحك في السفاهةِ شوما
وٱحذرْ معاداةَ الرجالِ توقّياً منهمْ ظلوماً كنتَ او مظلوما
والناسُ إما جاهلٌ لا يتقي عاراً ولا يخشى العقوبة لوما
او عاقلٌ يرمي بسهمِ مكيدةٍ كالقوسِ ترسلُ سَهمها مسموما
فاحلمْ على القسمين تسلم منهما وتسدْ فتدعى سيّداً وحكيما
ودعِ المماراةَ التي من شأنها ان لا تُديمَ على الصفاء نديما
أبت المغالبةُ الودادَ فلا تكنْ ممن يغالبُ ما حييت حليما [3]
وإذا منيتَ بغربةٍ فاخفضْ جناحَ الذلِّ وٱخضعْ ظاعناً ومقيما
ان الغريبَ لكالقضيب تحّيراً ان لم يملْ للريح عاد رميما
وٱبغِ الكفافَ ولا تجاوزْ حدَّهُ ما بعده يجني عليك هموما

---

١ ــ يستفز : سقطت من ج
٢ ــ القصيدة في الاحاطة ١ : ٥٠٣
٣ ــ د : حميا

وأبسط يديك متى غنيت ولاتكن فيمن يكون به المديح ذميما
واذا بذلت فلا تبذر إن ذا التبذير مثل أخيه كان رجيما
وعف الورود اذا تزاحم مورد واحسب ورود الماء فيه حميما
واصحب كريم الأصل ذا فضل فمن يصحب لئيم الأصل عد لئيما
فالفضل من لبس الكريم فمن عرى عنه فليس كما يقال كريما
« ان المقارن بالمقارن يقتدي[1] » مثل جرى جري الرياح قديما
وجماع كل الخير في التقوى فلا تعدم حلى التقوى تعد عديما

ومن بدائعه قوله يجيب من اهداه فرساً :

وقد وصل الطرف الأغر كأنه غمامة غيث برقها غرة تهدي
يخيل لي أن الشباب أعيد لي وسود ليلي[2] دون هجر ولا صد
ففديته بالنفس وهي قليلة ويغلي الهدايا قيمة شرف المهدي
فلو أنني أنصفته ما امتطيته وقلت له: طأ إن تشأ عزة خدي
واقضمته حب القلوب كرامة وسقيته ماء الشبيبة عن ورد
والبسته عن برقع رقة الصبا ملونة العطفين بالهزل والجد
وسلمت[3] عمري في عذاري معذر فألفيته منه على صفحة الخد

وقال يهنىء شيخنا الشريف بإبلال :

تفديك انفسنا وان قلت فدا فهي الكثيرة لا تعادل أوحدا

---

١ — من قول عدي بن زيد :
عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فان القرين بالمقارن يقتدي
٢ — د : به وهو ليل
٣ — ك : وعلمت

واسلمْ سلمتَ من الحوادثِ كلّها | وبقيتَ صدرَ المنتدى بحرَ الندى
حتى تُلَيحَ الشيبَ أبيض واضحا | فتجوزَ غاياتِ الحياة مدىً مدى
فاذا انقضى الاجلُ المسمّى زرتمُ | في الخلد جدَّكُمُ الكريمَ محمدا
وافى كتـــابكمُ فبتُّ لأجلــه | ريّانَ أشكو من تباريح الصدا
ريانَ من وردي لعذبِ خطابه | ظمآنَ منحرِّ الجوانحِ مُكْمدا
ونشرتُهُ وكتمتُــــهُ فكأنني | شاهدتُ منك به الفضائلَ واليدا
ودعوتُ ربي في بقائك سالمـــاً | واللهُ ينجز في الدعاءِ الموعدا

وقال يصف الشيب من قصيدة طويلة [١] :

لاح الصباحُ صباحُ شيبِ المفرق | فاحمدْ سُراك نجوت مما تتقي
هي شيبةُ الاسلام فاقدرْ قدرها | قد أعتقتك وحقّ قدرُ المعتق
خطّتْ بفودك أبيضاً في أسودٍ | بالعكسِ منمعهود خطِّ المُهْرَق [٢]
كالبرق راع بسوطه طرفَ الدجى | فأعاد دُهْمته شيــاتِ الأبلق
كالفجرِ يُرسلُ في الدجّنة خيطَه | ويحوكُ ثوبَ ضيائه بالمشرق
كالماءِ يستُرُه بقــاعٍ طُحْلُبٌ | فتراهُ بين خـــلالهِ كالزئبق
(٥٩آ) كالحيّـــة الرقشاءِ الا انه | لا يبرأُ الملسوعُ منه اذا رُقي
كالنجم عُدَّ لرجمِ شيطانِ الصّبا | يا ليتَ شيطانَ الصبا لم يحرق
كالزّهر الا أنـــه لم يبتسمْ | الا لغصنٍ ذابـلٍ لم يورق
كتبسُّم الزنجيِّ الا أنـــه | يُبكي العيونَ بدمعها المترقرق

---

١ ـــ القصيدة في الاحاطة ١ : ٥٠٤
٢ ـــ المهرق : الصحيفة

وكذا البياض قذى[1] العيون ولا نرى | للعين أنكى من بياض المفرق
ما للغواني وهو لونُ خدودها | يجزعنَ من لألائه المتألق
أوَ خلتَهُ لمعَ السيوف ومن يَشِمْ | لمعَ السيوفِ على المفارقِ يَفرق
هو ليس ذاك ولا الذي أنكرنه | نكراً فخفْ ما خفنَ منه واتق
داءٌ يعزُّ عن الطبيبِ دواؤُهُ | ويضيعُ خُسراً فيه مال المنفق
لكنه ، والحقُّ اصدقُ مقولٍ | شَيْنُ المسيءِ الفعل زينُ المتقي

ومن ذلك قوله [2] :

أقلي فما الفقرُ بالمرءِ عـــارا | ولا دارُ من يألفُ الهون دارا
ولا يكسب العزَّ الا الغنى | غنى النفس فلتتخذْهُ شعارا
وما اجتمعَ الشملُ في غيره | فيحسنَ الا وساءَ انتشـارا
فزهرةَ غيركِ لا تنظـري | فيألمَ قلبُـــك منه انكسارا
وهزّي اليـكِ بجـذع الرضى | تساقطْ عليـكِ الأماني ثمـارا

ومن المقطوعات قوله [3] :

لو أنَّ ايامَ الشبــابِ تعودُ لي | عَـوْدَ النّضارة للقضيبِ المورق
ما انبكيتُ على شبابٍ قد ذوى | وبقيتُ منتظراً لآخـرَ مونق

ومن قوله في الامثال :

من لم يكنْ أصلُهُ كريماً | لم يعلُ في المعْلُوَات فرْعُهْ

---

١ ــ قذى : سقطت من ج .
٢ ــ الابيات في الاحاطة ١ : ٥٠٥
٣ ــ الاحاطة : ٥٠٦

(٥٩ب)الناسُ كالأرضِ دون شكٍ ما طاب منهـا يطيبُ زرعـه

ومنها في وصف القلم وهو بديـع [١] :

لكَالقلمُ الاعلى الذي طال َفخرُهُ وان لم يكنْ الا قصيراً مجوّفـا
تعلـَّمَ منه السيفُ ابدعَ حكمةٍ فها هو[٢] أمضىما يكونُ محرفا

ومنها في التورية الفقهية [٣] :

ليَ دينٌ على الليـــالي قديمٌ ثابتُ الرسم منذ خمسين حجهْ
أَفأعْدَى بالحـكم بعـــد عليها أم لها في تقادُمِ العهدِ ُحجـه

ويختم له بقوله نفعه الله تعالى [٤] :

نجوتُ بفضل[٥] الله مما أخافـُهُ ولم لا وخيرُ العـالمين شفيـعُ
وما ضعتُ في الدنيا بغير شفاعةٍ فكيف إذا كان الشفيـعُ أضيـع

---

١ ــ الاحاطة : ٥٠٦
٢ ــ في النسخ : فا هو
٣ ــ الاحاطة : ٥٠٧
٤ ــ الاحاطة : ٥٠٧
٥ ــ في النسخ : وفضل

٦٢ - شيخنا الرئيس ابو الحسن علي بن محمد بن علي بن سليمان بن الجياب الانصاري * رحمه الله تعالى ، وهو مذكور في **كتاب التاج**:

صدر الصدور الجلة ، وعلم من اعلام الملة ، شيخ الكتابة وبنيها ، ومتولي ايام خدمتها وسنيها ، وهاصر افنان البدائع وجانيها ، اعتمدته الرئاسة فناء بها على حبل ذراعه ، واستعانت به السياسة فدارت افلاكها على شباة يراعه ، وتعاقبت دول العدل فلم تر له عديلا ، ولا وجدت لسنة اصطباغه تبديلا ، ولا ثكلت [1] سواجعُ البيـــان ، من يراعه الرائع الافتنان ، هديلا ، اي ندب [2] على علو القدر متواضع ، وحبر لثديّ المعارف راضع ، لا يمر الكلام في فن الا كان لـــه في ميدانه التبريز ، ولا تعرض جواهر الافهام[3] على ميدان الابهام الا انتسب اليه الابريز ، الى نفس هذبت الآداب [4] شمائلها ، وجادت الرياضة رياضها العاطرة (٦٠ آ) وخمائلها ، ومراقبة لربه ، وانتشاق لروح الله من مهبه ، وانس بالأسحار يقريها من الاوراد خير قرى ، ثم يبكي معتذراً عن جهده

---

* ترجم له لسان الدين في الاحاطة ، وكرر هنا ما ورد في كتاب التـاج ، وهذه الترجمة نقلها المقري في النفح ٨ : ٣٦٧ ، وذكره في شيوخ لسان الدين ٧ : ٣٥٢ اعتماداً على الاحاطة وأورد جملة صالحة من شعره ، وانظر نيل الابتهاج : ١٩٣ (ط.فاس)

١ ــ ج : نكلت ، ك : اتكلت
٢ ــ أي ندب : سقطت من ج .
٣ ــ د : الالهام .
٤ ــ ج ك : هذبت الاهذاب

ومحتقرا ؛ وكلُّ ما ظهر علينا – معشر بنيه – من شارة تحلّى بها العين ، او إشارةٍ كما سُكِبَ اللجين ، فهي اليه منسوبة ، وفي حسناته محسوبة ، كالشمس تلقي على النجوم شعاعها ، والصورِ الجميلة تتركُ في الاجسام الصقيلة انطباعَها ؛ وما عسى ان يُقال في امام الائمة ، ونور الدياجي المدلهمة ، والمثل السائر في بعد الصيت وعلو الهمة ، والحق ان نعدل عن سلطانياته [1] لاشتهارها ، ونجلب شيئاً من اخوانياته لايناع أزهارها .

كتب اليه الفقيه ابو القاسم ابن أبي العافية [2] المتقدم الذكر في غرض العتاب قصيدة بديعة أولها :

أَطَيْرَ فؤادي قلْ إذنْ مَنْ أطاركا
لآخذَ قبلَ الفوتِ بالموتِ ثاركا
وان كنتَ مختارَ النزوعِ فانني
لأرضى بطوعي أو بكرهي اختياركا
وإن كنتَ لم تحمدْ جِواري فانني لأحمدُ في سرّي وجهري جوراكا
وما زلت أستسقي سحاب مدامعي فتهمي بما يَسْقي ويشفي أواركا
وتسرح في أرض المنى بين أضلعي فأجني بأثناءِ الأماني ثماركا
وما جئتَه بِدعٌ وجدُّك يعتني بنحسِ فطرْ ماشئت وأحمد مطاركا
« كذلك جدي ما اصاحب صاحباً من الناس» [3] الا مل ودي وتاركا

---

١ – في الأصول : سلطانيته . . . اخوانيته .
٢ – انظر الترجمة السابقة رقم : ٦١ .
٣ – من قول امرىء القيس :
كذلك جدي ما أصاحب صاحباً من النـاس إلا خانني وتغـيرا

وهي طويلة فأجابه رحمة الله عليه بهذه الابيات :

خليلي لكَ العُتْبى وما أنت مذنبٌ ولكن عساها ان تروضَ أزوراركا
اتاني كتابٌ منك لم أرَ وجهَهُ
فياليتَ شعري أنى طرت مطاركا[1]
اباللوم ترميني وحاشاكَ فالتمسْ ليَ العذرَ لا تَشْنُنْ عليَّ مغاركا
(٦٠ب) حكمتَ ولم تعذرْ وتلك حكومةٌ
لنفسك ما أبلغت فيها انتظاركا

عتبتَ ولم تعذرْ وتزعمَ انني لك الصاحبُ الخوّانُ مَلٌّ وتاركا
ولو انني نازلتُ منك نظيرَها بسطتُ على ما كان منكَ اعتذاركا
اعيذُ الودادَ المحضَ والخطةَ التي جعلتَ التقى والعدلَ فيها شعاركا
من الحكم بالظنِّ الذي لم يَقُمْ على أساسٍ ولا مُحِّصْتَ فيه اختباركا
صدعتَ فؤادي بالعتابِ وانه لمنزلك الأرضي فخربتَ داركا
فيا ثائرَ العتبِ الذي قد عكستَهُ بحقٍّ ألا فارجع على من اثاركا
قدحتَ زنادي بالعتابِ فهاكها نتيجة[2] فكرٍ فيه أضرمت ناركا
فها هيَ تُبدي من وجوه جَفائها وتجزي سواءً بالنفار نفاركا
ولو أنني انصفتُ سلمتُ طائعاً لتأخذَ مني باحتكامك ثاركا
فانّ لك الحبَّ الوثيقَ بناؤُهُ وان لكَ الفضلَ الذي لن يشاركا
وكم لك عندي قبلها من قصيدةٍ أريت بها في رفعِ قدري اقتداركا
نشرنَ عليَّ القول مَثْنىَ وموحداً وأعلينَ في سمكِ المعالي مناركا
رياضٌ تروقُ الطرفَ والقلبَ بهجةً فها أنا أجني في رُباها ثماركا

---

١ – كذا في الأصول ، واقرأ « أنى » بقصر الألف .

٢ – نتيجة : سقطت من ج .

فلو نشر الصادان [١] من مضجعيهما
ليوم رهانٍ لم يشقّا غبـــاركا
تثبتْ ولا تعجلْ على مَن تُحِبُّهُ فمثلُكَ من أولى الرضى وتداركا
فعهديَ محفوظٌ وحسبي بحفظه شهادةُ رب العالمين تباركا

وخاطبته ، رحمه الله ، وأنا شابٌ ، أيام الانتفاع به بقصيدة أولها :

أمستخرجاً كنزَ العقيق بآماقي أناشدُكَ الرحمنَ في الرَّمقِ الباقي
فقد ضعفتْ عن حملِ صبري طاقتي عليك وضاقتْ عن زفيريَ أطواقي
أُجنّ إذا جنَّ الظلامُ فليس لي سوى نسمةِ الفجرِ اللطيفةِ من راق
(٦١آ) وربّتما استعديتُ فيها تميمةً فزَعْفَرها بالدمعِ كاتبُ آماقي

فأجابني عنها ، رحمه الله ، بما نصه :

سقاني فأهلاً بالسقاية والساقي سُلافاً بها قام السرورُ على ساقِ
ولا نُقْلَ الا من بدائعِ حكمةٍ ولا كاسَ الا منْ سطورٍ واوراق
فقد انشأت لي نشوةً بعد نشوةٍ تمدُّ بروحانيـــةٍ ذاتِ اذواق
فمن خطّها الباهي متاعٌ لناظري وسمعي وحظُّ الروح من حظها الباقي
اعادتْ شبابي بعد سبعين حجةً فأثوابُهُ قد جدِّدَتْ بعد إخلاق
وما كنتُ يوماً للمدامةِ صاحباً ولا قبلتهـــا قطُّ نشأةُ اخلاقي
ولا خالطتْ لحمي ولا مزجتْ دمي وقى شرَّها مولاي فالشكرُ للواقي
وهذا على عهدِ الشباب فكيف لي بها بعد ماءِ للشبيبة مُهْراق
تبصَّرْ فحكمُ [١] القهوتين تخالفا فكم بين اثباتٍ لعقل وإزهاق [٢]

---

١ ــ الصادان : سقطت من ج وكتب فوقها في ك : « كذا » والصادان لعلها اشارة الى اثنين من الناثرين مثل الصابي والصولي يبدأ كل اسم من اسميهما بحرف الصاد .

٢ ــ فحكم : سقطت من ج .

٣ ــ خ بهامش ك : وارهاق .

وشتانَ ما بين المدامين فاعتبرْ فكم بينَ إنجاحٍ لسعي وانفاق[١]

فتلك تهادَى بين ظُلمٍ وظلمة وهذي تهادَى بين نورٍ واشراق

أيا عَلمَ الاعلامِ غيرَ مُنازَعٍ شهادةَ إجماعٍ عليها وإطباق[٢]

فضائلكَ الحسنى عليَّ تواترتْ بمنهمرٍ من سُحبِ فكرك غيداق[٣]

خزائنُ آدابٍ بعثت ببدُرِّها اليَّ ولم تمننْ لخشيةِ[٤] إنفاق

ولا مثلَ بكرٍ حُرةٍ عَربيّةٍ زكية اخلاقٍ كريمةِ أعراق

فأقسمُ ماالبيضُ الحسانُ تبرَّجت تناجيك سراً بين وحيٍ واطراق

بدورٌ بدتْ من فوقِ أطواقها على رياضٍ شدتْ في قضبهاذاتُ أوراق

يناظرُ منها الاقحوانُ ثغورَها وقابَلَ منهانرجسٌ حُسن احداق

وناسبَ منها الوردُ خداً مورداً سقاهُ الشبابُ الغضُّ بورك من ساق

(٦١ب)وأُلبسنَ من صنعاءَ وشياًمنمنا وَحُلينَ من درٍّ نفائسَ اعلاق

بأحلى لأفواهٍ وأبهى لأعينٍ وأجلى لألبابٍ وأشهى لعشّاق

رأيتُ بها شُهْبَ السماء تنزّلتْ إليَّ تُحيّيني تحيَّةَ مشتاق

ألا ان هذا السحر لا سحرَ بابلٍ فقد سحَرتْ قلبي المعنَّى فمَنْ راق

لقدأعجزتْ نطقي شمائلُ ماجدٍ أبرَّ بأحبابٍ وأوفى بميثاق

تقاضى ديونَ الشعر مني بيانها رويدك لا تعجلْ عليَّ بارهاق[٥]

فلو نُشِرَ الصادان[٦] مـن مضجعيهما

لانصاف هذا الدهر[٧] لاذا باملاق

---

١ ـ خ بهامش ك : واخفاق .

٢ ـ خ بهامش ك : واصفاق .

٣ ـ ج ك : غرياق.

٤ ـ خ بهامش د : بحسبة .

٥ ـ ك : باهراق .

٦ ـ الصادان : سقطت من ج .

٧ ـ خ بهامش ك : هذا الدين .

فخذ بذمام الدهر شيخاً تقاصرَتْ
خُطـاهُ وعاملهُ بمعهــود إشفاق
ولا زلتَ تُحيي للمكارم رَسمَهـــا
وقدرُكَ في أعلى العلا والنُّهى راق

ومن غريب ما خاطبني به وانا صبي [1] بين يديه :

أقسم بالقيسين والنابغتين وشاعري طيء المولدين
وبابن ِ حُجْرٍ وزهيرٍ بعــده والاعشيين بعـــده والأعميين [2]
ثم بعشاق الثريــا والرقيّـــات وعزةٍ وميٍّ وبثـــين
وبأبي الشيص ودعبـــلٍ ومن كشاعِريْ خزاعةَ المخضرمين
وولدِ المعتزّ والرضيّ والسريّ ثم حَسنٍ وابن الحسين
واختمْ بقسٍ وبسحبانٍ وان اوجبتَ ان يكونا اولـين
وحليتي نظمهمُ ونـــثرهمْ في مشرقي اقطارهم والمغربين
أنّ الخطيب ابنَ الخطيب سابقٌ بنثره ونظمه للحلبتـــين
وافتْنيَ الصحيفةُ الحسنا الــتي
شاهدتُ فيها المكرمات [3] رأي عين
تجمعُ من براعــةِ المعنى الى براعةِ الألفاظ كلتا الحسنيين
أشهدُ انك الذي سبقتَ في طريقةِ الآداب أقصى الامدين
(٦٢آ) شعرٌ حوى جزالةً ورقةً تُصاغُ منه حليــةٌ للشعريين
رسائلٌ ازهارهـــا منثورةٌ سرورُ قلبٍ ومتاعُ ناظرين

---

١ ـ خ بهامش ك : وأنا صغير .
٢ ـ د وخ بهامش ك : ثم الأعميين .
٣ ـ المكرمات : سقطت من ج .

يا احوذياً يا نسيجَ وحــدِهِ شهــادةً تنزهتْ عن قولِ مَين
بقيتَ في مواهبِ الله الــتي تُقِرُّ عينيك وتملأُ اليــدين

وكان رحمه الله مولعاً بالالغاز يفاكهنا بطرفها اكثر الاوقات ، ويرى ان طريقها في اللغو اسلم الطرقات ، فيشغلنا بحلوائها ، عن أغراض الألسنة وأهوائها ، فمن ذلك قوله ملغزاً في حجلة — الطائر المعروف [1] :

خــاطبت[2] كلَّ فطنٍ لبيب ما اسمٌ لأُنثى من بني يعقوب
ذاتُ كراماتٍ فزرها قربةً فَزوْرُهــا أحقُّ بالتقريب
وقد جرى في خاتم الوحي الرضى لهــا حديثٌ ليس بالمكذوب
وهو اذا ما الحاءُ[3] منه صُحِّفَتْ صبغُ الحياءِ لا الحيا المسكوب
فهاكها واضحة أسرارها فأمرها أقرب من قريب

وقال في آب الشهر بالقبطية [4] :

حاجيتكمُ ما اسمُ عَلَمْ ذو نسبةٍ الى العجم
يخــبرُ بالرجعة وهو راجــعٌ كما زعم
وهو الحميُ معرباً تصحيفٌ أو بــدءُ قسم [5]

---

١ ـ النفح ٧ : ٣٦٢ ،قلت : اليعقوب ذكر الحجل ، وقوله فزورها .. الخ : أي عنقها أحق بالذبح ، وفي البيت الثالث اشارة الى ان خــاتم النبوة بين كتفي الرسول (ص) كان مثل زر الحجلة ، وزرها بيضها ، وفي البيت الرابع يصحف الحجل فيصبح « الخجل » .
٢ ـ هكذا في كل النسخ : وفي النفح : حاجيت .
٣ ـ خ بهامش ك : الفاء .
٤ ـ النفح ٧ : ٣٦٣ ؛قلت :كذا قال« بالقبطية » وهذا غير دقيق وانما هو اسمه بالسريانية .
٥ ـ خ بهامش ك : وصف الحميم هو بالتصحيف أو بدء قسم .

دونكـه أوضـحُ من نارٍ على رأسِ علـم

وقال في كانون [1] :

ومـا اسمٌ لسميين ولم يجمعهما جنس
فهذا كلما يأتي فبالآخرِ لي أُنس
وهـذا أصله الأرضُ وهذا أصلُهُ الشمس
(٦٢ب) وهذا ما له سَومٌ وهـذا سَوْمُهُ فلس
وهـذا واحدٌ من سبعة تحيـا بـه النفس
فمن محمـوله الجنّ ومن موضوعه الإنس
فقـد بانَ الذي ألغزت مـا في أمره لبْس

ومن ذلك قوله في نمر :

ما حيوان ما له من حرمة إذا اسمُهُ صحّفَ فابن العمّه [2]
وقلبُهُ من بعـد تصحيفٍ له يريك في الذكر الحكيم أمـه

ومن ذلك قوله في سلّم [3] :

ما اسمُ مركبٍ مفيدِ الوضع مستعملٍ في الوصلِ لا في القطعِ
يُنصبُ لكن أكثرُ استعمالهِ يُعنى به في الخفضِ أو في الرفع
وهـو اذا صَغـَّرته مخففاً تراه شملاً لم يزل ذا صدع

---

١ ــ النفح ٧ : ٣٦٣ .
٢ ــ صحف أي جعل « تمر » ، والعمه : النخلة .
٣ ــ النفح ٧ : ٣٦٣ .

فالاسم ان طلبته تجــده في خامسة من الطوال السبع[1]
وهو اذا صَحَّفْتَهُ يُعْرِبُ عن مُكسر في غير باب الجمع[2]
له أخٌ أفضلُ منه لم تزلْ آثاره محمودةٌ في الشرع[3]
همــا جميعاً من بني النجــار[4] والأفضلُ أصلٌ في حنين الجذع
فهاكه قــد سطعتْ أنوارُهُ لا سيَّما لكلِّ زاكي الطبع

ومن ذلك في فنار[5] :

ما اسم اذا حــذفت منـــه فاءه الممنوعـــه
فــانه بنت الزنا مضافة لأربعــه[6]

ومن ذلك قوله في حوت [7] :

ما حيوانٌ في اسمه اذا اعتبرته فنونْ
حروفــه ثلاثــةٌ والكلُّ منها هو نون[8]
تصحيفهُ قطعُ الفلا او ما جناه المذنبون[9]
او ابيض او اسود او صفة النفس الخئون[10]

---

١ ــ اشارة الى قوله تعالى : « أو سلما في السماء » (الانعام : ٢٥) .
٢ ــ اذا صحف « سلم » أصبح « يتثلم » .
٣ ــ اخوه هو المنبر .
٤ ــ من بني النجار : من صنع النجار .
٥ ــ انظر النفح ٧ : ٢٧٠ .
٦ ــ يعني بنت الزناد وهي « النار » .
٧ ــ النفح ٧ : ٣٧٣ .
٨ ــ النون : الحوت.
٩ ــ اذا صحف « حوت » اصبح « جوب » وهو قطع الفلوات .
١٠ ــ « جون » وهو من الاضداد يعني الابيض والاسود ، و « حوب » وهو النفس .

وقلبه مصحفاً (٦٣ آ) عليه دارت السنون[١]
كانت به فيما مضى عبرة قوم يعقلون[٢]
أودع فيه عنده سرٌّ من السر المصون
فهاكهُ كالنارِ في الزَّندِ لها فيه كمون

ومن ذلك في مائدة[٣] :

حاجيتُ كلَّ فَطِنٍ نظارِ ما اسمٌ لأنثى من بني النجار
وفي كتابِ الله جاءَ ذكرُها فقلما يَغفَلُ عنها القاري
في خبر المهدي فاطلبها تجدْ ان كنت من مطالعي الأخبار
ما هي إلا العيدُ عيدُ رحمةٍ ونعمةٌ ساطعةُ الأنوار
يشركها في الإسم وصفٌ حسن من وصفِ قضْب الروضة المعطار[٤]
فهاكه كالشمسِ في وقت الضحى قد شق[٥] عنه حجب الأستار

ومن ذلك في زبيب :

ما نقيُّ العرضِ طاهرُ الجسد كلما خالطه الماءُ فسد
خالط الماءَ القراح فغوى بعدما قد كان من أهل الرشد
عجميّ الأصل تم حُسنُهُ عندما صاد الغزالةَ الأسد[٦]

---

١ ـ مقلوب حوت مصحفاً « يوح » وهو اسم الشمس .
٢ ـ يشير الى قصة يونس والحوت .
٣ ـ النفح٧ : ٣٦٤ .
٤ ـ اي ان قضب الروضة تميد فهي « مائدة » .
٥ ـ د : شف .
٦ ـ أي يتم نضجه عند وقوع الشمس في برج الاسد .

واسمُــهُ اسمُ امرأةٍ[1] مصحفاً ولقد يكونُ وصفاً لولد
هاكَـهُ قد بَهَرت أنواره فارمِ بالفكر تصبْ قصْد السدد

٦٣ – الكاتب ابو علي حسن بن علي بن عمر بن ابراهيم القيجاطي* رحمه الله تعالى :

فكه غزل ، وعن[2] أشعرية الخدود معتزل ، ركضَ طِرْفَ الشبيبة فأنضاه ، وطلب دَيْنها فاقتضاه ، وكانت له عن بلده رحلة ساعده فيها الجد ، وَطلقُ القبولِ الممتد ، فكتب بافريقية عن ملوكها ، وانتظم في سلوكها ، الى ان مضى لسبيله ، شأن قدوم[3] الوجود وقبيله ، وله شعر رقيق الغزْل ، (٦٣ ب) غير ملتبس بالجزل ، فمن ذلك في غرض النسيب ، اذ الشباب قشيب ، والفود لم يرعه مشيب :

يا مُنْيَةَ النفسِ والهجرانُ مُنْيَتُهُ أَهْجر فاني على ما شئت مُصطبِرُ
وَتِهْ وأعرضْ وَعذِّبْ واستطلْ وأهنْ فكلُّ ذلك محمولٌ ومغتفَرُ

---

١ – د : امرىء ؛ وتصحيف زبيب هو « زينب » أو « ربيب . »

* مر في الترجمة رقم : ٤ ذكر علي بن عمر القيجاطي إلا أن لسان الدين ذكر جده هنالك باسم « حسين » في موضع « ابراهيم » الذي ذكره هنا .

٢ – د : ومن .

٣ – قدوم : سقطت من ج وفوقها في د : كذا .

الله يعلمُ أنّ النفسَ فانيــةٌ وان جفنيَ قد أودى به السهر
كيف الخلاصُ وسحب الدمع واكفة وجذوةُ الشوقِ في الأحشاء تستعر
يالينَ القــدٍّ حتى انه غُصُنٌ وقاسيَ القلب حتى انه حجر
أسحرُ بابلَ من عينيك يمنعني دينَ السلوّ أم الصمصامةُ الذكر
لولاك ما أرقتْ عيني ولا عَلِقتْ بمهجتي للهـــوى نابٌ ولا ظفر

ومن ذلك قوله :

على مثلِ عبدِ الله يُستَعبَدُ الحرُّ
وَيُستعذَبُ التعذيبُ والتيهُ والهجرُ
والا فَمَنْ هذا الذي هو مثلهُ وقد قصَّرتْ عن مثله الشمس والبدر
له وجنةٌ ورديةٌ وَمُنَصَّفٌ به اللؤلؤُ الرطبُ المنضّدُ والدرّ
ولحظٌ علمتُ السحرَ منـــه حقيقةً
وما كنتُ أدري قبل ذلك ما السحر
أمولايَ رفقــاً بالعبيد فانـــه
مشوقٌ كما شاءَتْ جفونُكَ والدهر
يرجّي انقضاءَ الهجر منك وربما تسلسلَ حتى ينقضي دونه العمر
قضى اللهُ ان أفنى عليك صبابةً له الحمدُ فيما قد قضى وله الشكر

ومن أبياته في اللف والنشر المرتّب :

جبينٌ وشعرٌ ووجــهٌ وقــدٌّ وخدٌّ وطرفٌ وريقٌ وثغرُ
صباحٌ وليـــلٌ وبدرٌ وغصنٌ وورد وسحرٌ وخمرٌ ودر

٦٤–الشيخ الوزير القائد الكاتب ابو بكر بن ذي الوزارتين (٦٤ آ) ابي عبدالله بن الحكيم * رحمه الله تعالى بمنه

ماجد اقام ربع الجد بعد عفائه ، وأيقظ طرف الفضل بعد إغفائه ، وكتب على عقده باكتفائه ؛ ما شئت من كرمٍ بحت ، وبري في الجد ونحت ، برز في حمل الحديث وروايته ، واجتنى ثمره رحلةً اليه وهو في حِجْرِ دايته ، ودوّن الفهارس ، وأحيا الأثر الدارس ، وكان من مفاخر الدهر ، ورياض الفضل المونقة الزهر ، وله شعر دون مقداره ، وما يليق بهالةِ ابداره ، وان كان له [1] فضل تحت حكم اقتداره ، فمن ذلك ، ونقلته من خطه [2] :

تصبّرْ إذا ما أدركتك ملمةٌ فصُنْعُ إله العالمين عجيبُ
وما يدركُ الانسانَ عارٌ بنكبةٍ فينكبَ فيها صاحبٌ وحبيب
ففي مَنْ مضى للمرءِ ذي العقل أُسوةٌ
وعيشُ كرامِ الناس ليس يطيب
ويوشكُ أن تهمي سحائبُ نعمةٍ فيُخْصِبَ ربعٌ للسرور جديب

---

* ترجم له لسان الدين في عائد الصلة والتاج والاحاطة ٢ : ١٩٩ وقال انه توفي سنة ٧٥٠ ؛ وعده المقري من أشياخ لسان الدين (النفح ٨ : ١٢) وترجم له ترجمة استطرد منها الى الاسهاب في ذكر والده ابي عبدالله بن حكيم.

١ ـ د : كل فضل .

٢ ـ الابيات في النفح ٨ : ١٢ ـ ١٣ والاحاطة ٢ : ٢٠٦

إلهك يا هذا مُجيبٌ لمن دعـا   وكلُّ الذي عند القريبِ قريب

وقال رحمه الله تعالى[1] :

أيا من له الحكمُ في خلقـه   ويا مَنْ بكربي له أشتـكي
تولَّ أمـوري ولا تُسلمني   وان أنت أسلمتني أهلكِ
تعاليتَ من مُنْعمٍ مُفضلٍ   وَنُزّهتَ من طالبٍ مدرك

٦٥ - الكاتب بالدار السلطانية ابو القاسم محمد بن محمد بن محمد بن الحكيم ، ولده * من الاكليل :

فرع محمدة وجلالة ، ورث الفضل لا عن كلالة ، واقتفى من سنن سلفه اثر هاد يدله ، فيما يعقده أو يحله ، واتسم بميسم الحياءِ والحياءُ خيرٌ كله ، وله ادب حسن الشارة ، ومعان لطيفة الاشارة ، فمن (٦٤ ب) ذلك قوله :

وساقٍ يُديرُ السكرَ من كأس لحظه   ويفتنُ ألبـابَ البرايا بسحرهِ
يُديرُ عُقاراً مثلَ وردِ حيائِهِ   بهاءً ، وطيباً مثلَ نفحةِ نشره
يُريك اذا قبلتَ فاهُ بكأسه   سُهيلاً وقد أوفى[2] الى لثم بدره
عجبتُ لها قد نعَّمتْ وردَ خدّهِ   ولم تسقِ الا أقحوانة ثغره

---

١ - الابيات في الاحاطة ٢ : ٢٠٦ .
* ترجم له ايضاً في التاج والاحاطة ٢ : ١٩٥ وهذا الذي اورده هنا منقولا من الاكليل يشبه كثيراً ما اورده في التاج ، واقتبس بعضه في الاحاطة .
٢ - ك : آوى .

ومن مقطوعات التورية[٢] :

بنفسي حبيبٌ مال عاملُ قدّه   عليّ ولما ينعطفْ وهو كالغصنِ
ويا عجباً منه متى صارَ ذابلاً   ونضرته لم تنأ عن خوطه اللدن
وأعجبُ من ذا ان سيفَ لحاظه   يمزّقُ أفلاذ الحشا وهو في الجفن

وقال في التورية ايضاً [١] :

بأبي وغيرِ أبي غــزالٌ نافرٌ   بين الجوانح يغتــدي ويروحُ
قمــر تلألأ واستنار جبينه   غارت به بين الكواكب يوحُ
لم يرضَ غيرَ القلبِ منزلةً فهل   يا ليتَ شعري بالذّراعِ يلوح

٦٦ — الشيخ الكاتب ابو اسحق ابراهيم بن يحيى بن زكريا * ، رحمه الله تعالى

حامل لواء الخط ، والمنفرد بأحكامِ البري والقــط ، السابح من الابداع في لجةٍ بعيدة الشطّ ، كثير الحشمة والحيا ، وأخذ نفسه في ذلك بالاغيا[٣] ، من اولي الاصالة والاحساب ، والبيوت النبيهة عند الانتساب ،

١ ـ الابيات في الاحاطة ٢ : ١٩٦ .
٢ ـ الابيات في الاحاطة ٢ : ١٩٧
* ترجم له النباهي في المرقبة : ١٥٤ وقال : كان من سراة القضاة، طرفاً في الخير والاقتصاد والتعزز والانقباض بارعاً في الخط ، أخذ بحظ من النظم والنثر . وذكره الحضرمي في فهرسته ونقل عنه صاحب نيل الابتهاج : ١٣ (ط.فاس) ؛ توفي سنة ٧٥١
٣ ـ كذا في النسخ .

وشعره متوسط ، وفي المطولات متبسط ، فمن ذلك قوله :

يا ظاهراً ما عرفتُ الحبَّ لولاهُ وما المرادُ وما المقصودُ الا هُوْ
مَنْ حُبُّه[1] ساكنٌ في القلب يعمرُهُ وَمَنْ مُنى النفسِ في ترديد نجواهُ
(٦٥آ)وذكرُهُ في ضميري لا زوالَ له أنسي وراحةُ نفسي يوم القاه
أحاطَ في لطفه ما إنْ يفارقني فما ألذَّ على قلبي واحـــلاه
مولايَ والعبدُ في بحر الهوى غرقٌ والقلبُ في حُرَقٍ والحبُّ اغراه
والحبُّ مااختاره مَنْ كان يَعقلُهُ والسقمُ أوَّله والموتُ اخراه
والذلُّ في الحبِّ عزٌّ إنَّ ذا عجبٌ والموتُ للعبد فيه عينُ مَحْياه

٦٧ — الكاتب ابو العلاء محمد بن محمد بن سماك العاملي ،

رحمه الله تعالى وعامله بفضله وكرمه

مجموع خَصْل ، وفرعٌ نشأ عن اي اصل ، ومشيح بنصـل ، في يومٍ فصل ، كتب مع الحلبة ، وشاركهم في افتراع الهضبـة ، وانشد الشعر فأجرى بغير الخلاء[2] ، وجعل دلوه في الدلاء ، فمن شعره يمـدح السلطان ويذكر الواقعة البحرية بالروم :

فتحٌ قضاهُ للملكَ الرحمـــنُ لم تأتِ قط بمثله الأزمـــانُ
فلأيِّ يومِ سعـــادةٍ أولاكَهُ ذلَّتْ بعزةِ نصره الصلبان

---

١ — ج : قلبه ، وكتبها كذلك في د ووضع فوقها علامة خطأ.
٢ — اشارة الى المثل : كل مجر في خلاء يسر .

بشرى كما فغم[1] العبيرُ لناشقٍ وأفترّ عن أزهاره البستان

ومن قصيدة يمدح السلطان ويذكر فتح بعض الحصون :

بشرى بها صبحُ الهدايةِ مُسفِرُ بشرى بها ليلُ الضلالةِ مُدبِرُ
فتحٌ تلقّى النصرُ منه تحيّةً من لفظها ماءُ البشاشة يَقطُرُ
فتحتْ سيوفُكَ كريكولَ[2] وانه في الفتح عنوانٌ لما هو اكبر
ثغرٌ على الارضِ الفضاءِ طليعةٌ فله على كلِّ البسيطة مظهر
يرنو الى أرضِ العدوِّ كأنه لحظٌ يُضَمُّ عليه منها محجر
ما ان يشنّ الكفرُ يوماً غارةً إلا وبالمغوارِ منه منذر
(٦٥ب) صعد العداة عليه امنعَ معقلٍ متمثلين[3] بأنه لا يُحصر
فسمتْ جيوشُكَ منه أعلى شاهقٍ يرتدُّ عنه الطرف وهو محير
في رأس سنٍ[4] لاتقام[5] سماؤُهُ من دونه قطرُ الغمام الممطر
فكأنّ هرمسَ بثّ حكمتَهُ به وأدقَّ فيه فكرَهُ الاسكندر
فَضَفا من النقعِ المثارِ عليهمُ بُرْدٌ بأطرافِ الرماح محبر[6]
فاستنزلوا مستسلمين وربما أعيا الحماةَ حلولُ ما لا يُقدَر
أَلقَوا ايدا الإذعانِ خيفةَ مُهلكهم وضلوعُهم تندقُّ او تتفطّر
وأحتلّ فيه الدينُ دينُ محمد والله يخذلُ من يشاءُ وينصر

وكتب الي يهزّني بمجلس السلطان الى إنجاده وإعانته على مراده :

---

١ ــ خ بهامش ك : كما نم
٢ ــ ك : كركيول .
٣ ــ خ بهامش ك : متخيلين .
٤ ــ خ بهامش ك : شق .
٥ ــ ج : لاتقام .
٦ ــ خ بهامش ك ود : مدثر

يا ابنَ الخطيبِ مَنِ الذي بثنائِهِ ... قد قام في مَرْقى مُنايَ خطيبا
جَدِّد عوائدَك الـــتي أنشقتني ... من زَهْرِ نعمتها المنعّمِ طيبا
واهززْ لنا غصْنَ الخلافةِ يانعاً ... يسقطْ جنى نيلِ المرادِ رطيبا
لا زلتَ ذا فضلٍ عليَّ وَحمْدُهُ ... منّي مُطيلاً لا يزال مطيبـــا

وانشد في بعض مجالسه ، وجهل ما عند الصوفيـــة في قوله بالله ثم مع الله :

منايَ من الدنيا كتابٌ وخلوةٌ ... أكونُ بها باللهِ ثم مع الله
وأنشرُ من ذاك الكتابِ معارفاً ... لكلِّ منيبٍ للمهيمنِ أوّاه

٦٨ – الكاتب ابو بكر محمد بن محمد بن عمر بن علي القرشي

رحمه الله وغفر له بمنه

قريـع أصالة وديانة ، ونشأة ورعٍ وصيانة ، أصبح لهبَّةِ الظـرف ناسما ، فلا تلقاه الا باسما ، وامسى لشذا الكمال ناشقا ، فتراه لأغراض النبل راشقا ، فما شئت من حلاوة الضرائب والشمائل ، والأدب (٦٦آ) المزري بأزهار الخمائل ؛ وله شعر يشهد بجودة الخاطر ، وإغداق الطبع الماطر ، ومضاء الفكر الشاطر ، كتب إليَّ يهزني للنظر في حالـــه ، ويحركني لسقي إمحاله ، بقوله :

قدْ حلَّ دهري مرائرَ العُقَـدِ ... لا عزمتي عزمتي ولا جَلَـدي
وكنتُ اذ امـدح الجواد اذا ... دنياي تُصفي الحياضَ لم أرد

أربا إذا أقبلتْ بزهرتها وأدبرت ان تمُرَّ في خلدي
حتى اذا ارسلتْ خمائلها بالأهلِ ختّالةً وبالولد
تلعبُ بي كيفما تشاءُ كما يلعبُ موجُ البحارِ بالزبد
هذا ولو أنصفتْ لما رضيتْ ان تحملَ الأُسْدَ محملَ النَّقَد[1]
وحلبةُ الخيلِ لم يكنْ ابداً سُكَيْتُها كالسَّبوق في الأمد
يا ابنَ الخطيب الذي قد ارتفعتْ به سماءُ العلا على عمد
واستخدم السيفَ عنده قلمٌ مقلَّم الظُّفرِ في يَدَيْ أسد
وأصبح السَّعْدُ في سياستِه لمنصِبِ الملك ضامنَ الرشد
هذي عظيم الأمورِ قمتَ بها جميعها غيرَ واهنِ الكتد[2]
فانهضْ بمن قد أوى الى حَرمٍ منك وقد إلتجا الى سَند
وشِدْ له رتبةً نصبتَ له فيما مضى أمرها فقال : قدِ[3]
حسبتُ تلك التي لديَّ فما أفاتها كونها على صدد
وقد تصيرُ النفوسُ راغبةً في الشيء لم تعتبرْه من زُهُد
والحبُّ ملءُ الفؤادِ لو طُلِبَتْ زيادةٌ فوقَ ذاك لم أجد
انت الذي فضله قد انتشرتْ آثارُهُ في القريب والبعد
تُحدي بذاك الحداةُ أينقَها من بلدٍ نازحٍ إلى بلد
(٦٦ب)فدمْ لأُفقِ السماءِ شمسَ هدىً وأبقَ لكسبِ العلا مدى الأبد

وكتب لي لما قدمت من المغرب الى الأندلس لإقامة الدولة ، ولو شاء

---

١ ــ النقد : صغار الغنم
٢ ــ الكتد : مجتمع الكتفين
٣ ــ قد : اسم فعل بمعنى « يكفي » .

ربك ما فعلوه [1] :

قدمتَ فما الغيثُ عند الجدوبِ ولا السلمُ عند توالى الحروبِ
ولا البرءُ من دنفٍ مزمنٍ وشرخ الشبيبةِ بعدَ المشيب
ولا الامنُ من خيفةٍ والغنى من الفقرِ ، والاهلُ عند الغريب
بأحسنَ من نبأٍ واردٍ ببشرى إيابكَ يا ابنَ الخطيب
فانك قطبُ مدارِ العلا ومركزُها وعمادُ الطنوب
وانسانُ عينِ الزمانِ الذي تداعتْ به مضمرات القلوب
هنيئاً لأندلسٍ بشرُها بيومِ لقائِكَ بعد القطوب
فعند ركوبك من بحرها ثوى عندها قلبُ لفظِ الركوب
فان كنتَ عطلتها بالنوى فقد جئتَها بالحليِّ العجيب
وأبرزَ لفظُكَ درَّ افتخارٍ فقلدت في جيدها والتريب
واطلعت في أفقها آيباً لانوارك الشمسَ بعد الغروب
وجدّدتَ سالفَ أيامها كما جدّد الأنس وصلُ الحبيب
فدامَ لنا بكَ توفيقُها على الأرضِ من نازحٍ او قريب
ودمت تشيد ربع العلا كما شادهَ منْ مضى للعقيب
وتبلغُ فيما تريد المنى وَتُعطى من السّعد أوفى نصيب

ومن المقطوعات المطبوعات[2] قوله :

شاركتُ لحظَكَ في السّقامِ ولهيبَ خدِّكِ في الضّرامِ
وحكيتُ خصرَكَ رقّةً فحملتُ أثقالَ الغرام

---

١ ـ يشير لسان الدين الى الفتنة التي خلع فيها السلطان محمد الغني بالله سنة ٧٦١ ؛ ثم عودته الى العرش واستدعاؤه للسان الدين كي يعود لتدبير أمر الوزارة من المغرب سنة ٧٦٣ . وانظر حديث التلوم النفسي الذي وقع فيه ابن الخطيب بعد هذه العودة في كتابه اعمال الاعلام : ٣١٥

٢ ـ المطبوعات : زيادة من د

(٦٧آ) ولقد غـــدا صبري الجميلُ كمثلِ عهــدكَ في آنصرام

وقال متغزلاً في أحول ، وهو من المليح :

يا لائمين لحَـوْا في حبِّ ذي حَولٍ جفونُهُ أبداً تشكو لنا مَرَضا
لا تُنكروا وآحذروا من سهم مقلته فانمـا هو رامٍ يأخذُ الغرضا

ومن فكاهته قوله :

غنى بشعرٍ سواي أغْيَدُ لم يَلحْ للعينِ أبدعُ من بدائعِ حُسْنِـه
فغدوتُ فيه مخالفاً كلَّ امرىءٍ وموافقاً هــذا الهوى في فنه
والمرءُ يُفْتَنُ بابنِـهِ وبشعره إلا أنا فبشعرِ غيري وآبنــه

وقال رحمه الله وبه يختم اسمه :

يا عجباً من عاقلٍ غافلٍ هيهات اين العقلُ ما أشحطهْ
وضاحكٍ بملءِ فيـــه ولا يدري أأرضى اللهَ أم أسخطه

٦٩ ــ الكاتب ابو القاسم محمد بن سعيد بن عيسى الحميري : رحمة الله تعالى عليه :

هذا الرجل قريع أبوه ، واعجاز سورٍ للفضل متلوّه . نشأ آية الصون في هــذا الكون ، ومتجملاً من الفضل بأحسن اللون ، وولي الكتابة والقضاء ، فمـــا عدم في كليهما المضاء ؛ وله أدب يقيم الرسم ، ويحسن

الوسم ، فمن ذلك ما كتب به الي ونحن غازون ، والى نسب الشبيبة معتزون ، وقد ثبت هذا بمحله :

يا قدوةَ الأعصارِ والأزمانِ — وعجيبةً من مُذْهِلِ الأذهان
شملتْ شمائلُكَ المحاسنَ كلَّها — وطُبِعْتَ في خُلُقٍ على إحسان
يبأى البيانُ بأن طلعتَ بأفقه — بدراً وما يخشى منَ النقصان
(٦٧ب) فجرى الزمانُ بمعجباتٍ للنهى — من فكركم لاحتْ على الازمان
وأبان تبياناً بفضلك فضلَه — يغني غَناءَ الشمسِ عن تبيان
اما البيانُ ففي لديك لواؤُهُ — يُحْمى ببيض القُضْب والمرّان
يحمي اليراعَ برهفٍ من حده — وبذابلٍ من قده بسنان[1]
هذي البلاغةُ قد ملكتَ زمامها — فاليك ألقتْ بيعة الرضوان
فتحٌ من الرحمن قد أُوتيتهُ — فبه تعوِّذُهُ من الشيطان
فتباركَ الوهابُ كلَّ فضيلةٍ — سبحانه مِنْ مُنْعمٍ مَنّان

وهي طويلة فأجبته عنها بمثلها بما أوله :

ذكروا العهود فهاجَ منْ اشجاني — شوقٌ اذا جنَّ الدجى ناجاني
فكأنما الآماقُ مني أبحرٌ — يقذفْنَ بالياقوتِ والمرجان
ولو أنني أمسكتُ اجفاني وقد — ذكروا العهودَ لقلتُ : ما اجفاني

ومن شعره يوصي من التمس منه ذلك :

عليك بتقوى اللهِ في السرِّ والجهرِ — وراقبْهُ مهما جئتَ يوماً الى امرِ
وعاملْ جميعَ الناسِ بالصفح والرضى
وصاحبْ فتىً عرفانُهُ بكَ لا يُزري

---

١ ـــ سقط البيت من د ، وفي خ بهامش ك : وسنان

وواظبْ على تحصيلِ علمٍ وطاعةٍ وقـدّمْ جميعاً للضريح وللنشر
ومهما دهاك الخطبُ واشتدّ وقعه فصبراً فان الخيرَ عاقبةُ الصبر
فهذي وَصَاتي قد منحتُكَ صَفْوَها
َفخُذْهَا بِجِدٍّ تكتسبْ دُرَرَ الخير

٧٠ – الكاتب الفارس احمد بن احمد بن خلف الجزيري ، رحمة الله تعالى عليه :

فارس يخدم للتأدب والتجند تحت رايتين ، ويستأثر من اجل ذلك بجريالتين ، فان عرضت كتيبةُ الخط كتب ، او تعرضت كتيبة الخطيّ (٦٨آ) حرس ورتب ، الى خطّ حسن ، ولسان لا يخلو عن لسن ، وكان منزور الشعر قليله ، نابي الحد فيه فليله ، فمما حفظ عنه :

سَقَمُ الجفونِ هو السقامُ حقيقةً يُعدي الجسومَ فلا تُبين نحولا
لا تنظرنّ لها فتندمَ بعدهـا زمناً طويلاً ان نظرتَ قليلاً
فالنرجسُ المصفرُّ في روضِ الربى مَرّ النسيمُ به فجـاء عليلا

٧١ – الشيخ الكاتب ابو علي الحسن بن عبد السلام ابن يوسف وهو[1] الانصاري ، رحمة الله عليه :

حامل براعةٍ بارعـة ، وبديهةٍ مطاوعة مسارعة ، لاكَ الكـلام

[1] – وهو : سقطت من ك

وتملكه [1] ، واستحسن الاحسان وملكه ، وادار على قطب الاجـادة فلكه ، وساعده الدهر فتحرى طريق السرور فسلكه ، ولم يزل المقدار يساعده ، وينوء بالجد ساعده ، حتى كثر ماله وآماله ، ونجحت اعماله ، ثم عجم الدهرُ عودَ صولته ، وتقلّب بدولته ، فآثر الرحيل ، وفارق الربع المحيل ، فنضبتْ جمامه ، وأتاه بتونس حمامه ؛ ومن شعره يلغز في الوطن :

أُحاجيكَ ما شيءٌ اذا ما ذكرته ... «سما لك شوق بعدما كان اقصرا»
تسير له الركبانُ شرقاً ومغرباً ... وشوقاً له ما ان تملُّ من السُّرى
يحنُّ له من كان مثـــليَ نازحاً ... ويهواه حقـاً كلُّ مَنْ وطىءَ الثرى
ومن عجبٍ أنْ ليس يُهْوى لحسنه ... ولكن لأمرٍ سرُّهُ شَمِلَ الورى
وأعجب من ذا أنه غيرُ ناطقٍ ... ويُسْأَل أحياناً فيوجدُ مخبرا
فهاهو للابصارِ أوضحُ مِنْ ضحىً ... وأشهرُ في الآفاقِ مِنْ مثلٍ سرى

وقال يخاطب الوزير ابا عبد الله بن الحكيم [2] :

رأتك الوزارةُ أُفقاً وإن ... فويقَ السُّهَا اوطأتْ رجلها
(٦٨ب) فهامتْ ورامتْ بأن ترتقي ... اليكَ وقد خلَعَتْ نعلهـا
هوتْ وصلَ من لم تجدْ غيره ... وان كَثُرَ الناسُ أهلاً لها
فأوليتَها من رضـاك المنى ... وجمّعتَ فضـلاً بكم شملها
فيهني الوزارةَ ان أصبحتْ ... تجـررُ تيهاً بكم ذيلهـا
ويهنيك ما نلتَ من نعمـةٍ ... مجدّدةٍ لـك ما قبلهـا

---

١ ـــ خ بهامش ك : وعلكه
٢ ـــ مر التعريف به في اثناء الترجمة رقم : ٢١

وقال يرثي الاستاذ ابا محمد [1] بن ابي السداد رحمه الله تعالى :

صروفُكَ أدهى لاالبحارُ الزواخرُ وخطبُكَ أمضى لاالقصارُ البواتر
ومن عجبٍ أنا نحنُ اليك ما حيينا وأنا منْ سواكَ نحاذر
وما مرَّ يومٌ منك الاّ وانه لمرٌّ وَلِمْ لا وهو بالعيشِ سائر
وَمَنْ نظرَ الدنيا بعينٍ بصيرةٍ نهتْهُ عن آن تصبو اليها البصائر
فيا عجباً أنّى تلذُّ لنا الكرى وما نام عنها للمنيةِ ناظر

ومنها بعد كثير :

أتيتَ عليهمْ تارةً بعد تارةٍ فلم يُبْقِ وتراً صرفك[2] المتواتر
وأوردتهم رغمَ الانوفِ مواردا من الحتفِ لكنْ ما لهن مصادر
فأمستْ ربوعُ القومِ وهي بلاقعٌ كأنْ لم يكنْ فيهنَّ منقبلُ عامر
وليتكَ لمتسلُبْ اولي الفضلِ اولاً أُظنُّكُ من شوقٍ اليهم تبادر
وما زلتَ تختارُ العبادَ وتنتقي كأنك ما يرضيكَ الا الأخاير
كمثلِ إمامِ العصرِ أستاذِنا الذي بأدنى سجاياهُ الكرامَ نفاخر

٧٢ – الرئيس الكاتب ابو علي حسين بن عبد الحكيم بن الحسين بن تداررت التنملي ، المحسوب من الاندلس لولادته بها ، وان كان ابوه من قسنطينة رحمه الله ، وهو من شعراء **الاكليل** : (٦٩آ)

درةٌ تحلّى بها الزمن العاطل ، وَعِدَةٌ انجزها الفضل الماطل ،

---

١ – في د : أبا عبدالله محمد ، وأبو محمد هو عبد الواحد بن محمد بن علي ابن ابي السداد ؛ انظر ترجمته في بغية الوعاة : ٣١٧

٢ – خ بهامش ك : صرفه .

وبارقُ جودٍ اومض به الجَوْدُ الهاطل ، ما شئتَ من خلق تدل على الكمال مخايله ، ومجدٍ كرمت اواخره واوايله ، وادب تجلت عَذاراه وعقايله ، فاذا تناول الرقاع ووشاها ، وغشى الطروس من حلل بيانه ما غشاها ، ود صفح البدر ان يكون لها قرطاسا ، ونجم النـــوء ان يكون على درها غطّاسا ؛ نشأ بالصون مكلوفا ، وعن الدناءات انوفا ، فلما فاز فرنده بصقاله ، وزها روض حسنه بأفعاله ، بادر عزمه بحل عقاله ، وسعد سعادة تشبه الصخر عند انتقاله ، فكان بالدولة المرينية جملة الكمال ، ومظنة الآمال ، الى ان استأثر بدرته النفيسة البحـر ، فتعطل النحر ، وكان له ادب يستعير منه العرفَ النسيم ، ويحسد حسنَه الصبحُ الوسيم ؛ فمن ذلك قوله في الاغراض السلطانية :

منحتَ اللهى وحميتَ الذمارا ... َفرُقتَ ثناءً وَرُعتَ اقتدارا

وعمرّتَ وقتيكَ نُسكاً وملكاً ... فتعبدُ ليلاً وَتهدي نهـــارا

ولم َتلْـوِ حزمـاً على لذةٍ ... لأنك لم ُتلْفِ فيها افتخارا

تجشّمتَ بالصبرِ في المجد هولاً ... وهل ُيدْرَكُ المجدُ الا اصطبارا

ولم تتهيبْ صعابَ المرامـــي ... ولم تخشَ منْ هولها حين ثارا

أطعتَ الالـه فلا شـيءَ الا ... أطاعك دأباً وأبدى ابتدارا

وأيّدكَ السعدُ[1] يا حبـــذا ... فما ان ُتبارى وما إن ُتجارى

ولا نفسَ الا بحبّـك دانت ... ولا قلـب الا لخوفك طـارا

فللـه منـك حمىً او حمـامٌ ... اذا ما أغـار ومهما أجـارا

مليك اذا ما دجا ليلُ ظلمٍ ... أرانا منَ العدلِ فيه نهارا

(٦٩ ب) ومنها بعد كثير :

---

١ – وقعت كلمة : والحزم بعد لفظة السعد في النسخ ووضعت عليها علامة حذف في ك

اذا ما حبا فهو الجودُ جوداً ومهما احتبى فثبيرٌ وقارا
له رأفةٌ وطـأَتْ منه نفساً وبأسٌ عدا[1] الشامخات انفطارا
من القومِ ان ركبوا الصافناتِ رأيتَ الرياحَ بأُسدٍ تَجَارى
نجـومٌ بدتْ في سمـاءِ العلا فكلٌّ شهابٍ بها قد توارى
رأوْا غايةَ المجدِ بذلا فجادوا بأنفسهمْ واستقلـُّوا النضـارا

ومن قوله في المقطوعات :

ليهنِ خليلي من ودادي َ انني بعينِ الرضى في كلّ حين أُلاحظُـهْ
وأَنْ لستُ ذا حقدٍ عليه اذا هفا ولو أنه ثارتْ عليه حفائظه
متى ساءَ سمعي منه لفظٌ فلستُ مَنْ أُجازيه بالهُجرِ الذي هو لافظه
وان نال من عرضي بعيبٍ غفرتـُهُ وإني بظهر الغيب جَهدي لحافظه
وما المرءُ الا يمنحُ الخلَّ بشرَهُ اذا ما اتاه منه ما هو غائظـه
وَمَنْ حاسبَ الاخوانَ في اللفظ عاتباً
فقد أحرز الخُلْقَ المحمَّد لافظه
فربّ اخي خُلقٍ جديدٍ مُراجعٍ بصيرَته يَهديه للحقّ واعظه
فما الخلّ الا الطـَّرفُ يَعْظـُمُ نفعُهُ وَيُغْضي اذا أَقذَتْ عليه لواحظه

ومما صدر به رسالة :

زارتْ على حينِ يأسٍ من تلاقيها والنفسُ رهنُ اشتياقٍ في تراقيها
فأنشرتْ مَيتَ عتبٍ آيُ مُنشيها وابرأتْ مسَّ وجد صُحف راقيها
صحيفةٌ حسناتُ الدهر قد جُمعت فباليمين يُلقَّى يُمْنُ لاقيهـا
كأن الفاظَها تحوي معانِيهـا كأسُ المدامةِ أسلافاً تساقيها

---

[1] ـــ عدا : سقطت من ج

لكنها حين حيّاني الرسول بهـا   كأس الثريا وبدرُ التِيم ساقيها

(٧٠ آ) وقال وقد عرض الجيش بحضرته :

رأيتُ العرضَ بين يديْ مليكٍ   له مَلكٌ ينـاقِشُهُ الحسابا
فهـذا يرتضي فيري نعيماً   وذا لا يرتضي فَيُرِي عـذابا
فأذكرني ولا انساه عَرْضاً   له َفوْدُ الوليـدِ الغِرِّ شابا
لدى ملكٍ كبيرٍ ليس يرجو   نوالاً لا ولا يخشى عقـابا
فلولا رحمةٌ تُرْجى لديـه   لَفطَّرَ ذكرُهُ قلبي فذابا

٧٣ – الفقيه الكاتب ابو عبد الله محمد بن علي المسنجي المالقي ، رحمه الله تعالى :

طالبٌ لطيف الشميلة والضريبة ، سالك على السبل القريبة ، يجيـد الخط ، ويعاني الأدب المنحط ، مستظهراً السكون ، والجنوح الى الخـير والركون ، تعلق بخدمة الدولة المرينية ملقياً بعطنه ، نازعاً اليها من وطنه ، عارضاً بضائع فطنه ، فانتظم في كتّاب بابهـا ، وعكف على أعتابها ، واينعت حاله بربابها[1] ، الى ان هلك في بعض الاسفار ، غريباً في القفار ، فلا َعدَتهُ مغفرةُ الغفار ؛ وكان له شعر يزعجه التلفيق ، ويمده به الشفيق ، فمن ذلك قوله :

يا بدرَ آفاقِ المعارفِ والعلا   وإمـامَ كلِّ بديعةٍ وصوابِ

---

١ ـــ الرباب : السحاب

ومن الذي أزرى بأكثم حلمه ونأى على الجرميّ في الاعراب[1]
لما اقتبستُ سنا بلاغتِكَ التي أزرت على الشعراء والكتاب
جاريتُ سُبَّاقَ البيانِ ففقتُهم في حَالَيِ الايجازِ والأسهاب

ومن شعره قوله :

حنانيكَ يا من قد وَكلتُ له أمري
ورحماكَ في مُستَصْرِخٍ بكَ يا ذُخْري
(٧٠ ب) حنانيك أعلى ما قصدتُ بهمتي
ونعماكَ أسنى ما أعتمدتُ من الدهر
إذا كنت لي لم أخشَ خُسْران صفقةٍ
وان لم تكنْ لي كان تجريَ ذا خسر
وَعلياكَ ما لي غيرُ جودِك ملجأٌ
أُيَمِّمُهُ في حَالَيِ السرِّ والجهرِ

٧٤ – الطالب محمد بن عبدالله بن أبي القاسم اللوشي الكاتب ، رحمة الله تعالى عليه :

كان طالباً خيرا ، وموسوساً متطيرا ، وكان من قربه وزلفه ، شهرة سلفه ، فانتظم في الكتّاب وارتسم ، ثقيلاً كلما ابتسم ، ومنقبضاً

١ – اكثم بن صيفي ، والجرمي هو صالح بن اسحاق ابو عمر البصري مولى جرم وكان عالماً بالنحو .

فبالانبساط ما اتسم ، إلى ان عاجله مبيد النسم ؛ وشعره مناسب لحاله ، ومن جنس انتحاله ، فمن قوله يرثي استاذ الجماعة ابا عبدالله ابن الفخار[1]، رحمه الله تعالى :

ويوم نعى الناعي شهابَ المحامدِ تغيَّرتِ الدنيا لمهلكِ واحدِ
فلا عذرَ للعينين ان لم تُسامحا بدمعٍ يحاكي الوبلَ يشفي لِواجد
قضى من بني الفخَّار أفضلُ ماجدٍ جميلُ المساعي للعلا جدٌّ شائد[2]
طواه الردى ما كل حيٍّ يهابُهُ وما وِرده عاراً يشينُ لوارد
لقد غُيِّبَتْ منه المكارمُ في الثرى غداةَ ثوى وانسدَّ بابُ الفوائد
فيا حاملي أعوادِهِ ما علمتمُ بسؤدَدِهِ الجمِّ الكريم المحاتد
ويا حفرةً خُطَّت له اليومَ مضجعاً سقتكِ الغوادي الغادياتُ الرواعد
الا يا حمامَ الأيكِ ساعدْنَ في البكا على عالم الدنيا وزينِ المشاهد
على مَنْ لو اسطعتُ الفدا لفديتُهُ بأنفَسِ مالٍ من طريفٍ وتالد
محمدُ ما النعمى لموتكَ غبطةٌ تروقُ ولا ماءُ الحياة ببارد
وكيف وبابُ العلم بعدك مُغلَقٌ وموردُكَ المتروكُ بين الموارد
(٧١آ) أأُستاذنا كنتَ الرجاءَ لآملٍ فأصبحتَ مهجورَ الفِناءِ لقاصد
فلا تبعدنْ شيخَ المعارفِ والحمى أليس الذي[3] تحت التراب بباعد
لتبكِ العيونُ بعدكَ اليومَ شجوَها ويعف[4] لها رَبْعُ العلا والمحامد

---

١ — انظر الترجمة رقم : ٢٠
٢ — جد شائد : سقطت في ج
٣ — الذي . سقطت من د
٤ — ك ج : ويعفى ، د : ويعفو

ليبكِ عليك الجــودُ والحلمُ والتقى
وحسبُ البكا ان صرت ملحودَ لاحد

امولايَ مَنْ للمشكلاتِ يُبينها فتجلو عمى كلّ القلوب الشواهد
ومن ذا يحلُّ المقفلاتِ[1] صعابها ومن ذا الذي يَهدي السبيل لحائد
فيا راحلاً عنــا فزعنا لفقده لقد أونست منك القبور بوافدِ
ويا كوكباً غال الزمانُ ضياءَهُ وشيكا[2] وهل هذا الزمانُ بخالد
سأبكيكَ ما لاحتْ بروقٌ لشائمٍ وأرعاك ما كان الغمامُ بعائد[3]
عليك سلام الله ما هبّتِ الصّبا تهبُّ بغصنٍ في الاراكة مائد

٧٥ – الكاتب محمد بن عبد الحكيم بن تداررت اخو ابي على المذكور[٤] ، رحمه الله تعالى :

فاضل ، عن حماه مناضل ، شدت من اواخيه ، حرمة اخيه ، فكتب مع الجماعة وسلك ، وتصرف في القضاء الى ان هلك ، رحمة الله عليه أيةً[٥] سلك ، ولم أسمع له شعراً إلا قوله يرثي :

أُخيَّ حسيناً وحيــدَ الزمانِ سقى الله قَبْرَكَ صَوْبَ الولي
فقد كنتَ في الجودِ حاتمَ طيٍّ وفي مجمع الحفلِ صَدْرَ الندي

....

١ ــ ج د : المغفلات
٢ ــ وشيكاً : سقطت من ج
٣ ــ د : لعائد .
٤ ــ انظر الترجمة رقم : ٧٢ .
٥ ــ جك : أياً ، وهذه رواية دوخ بهامش ك

وفي الكُتُبِ آيةَ فخرٍ تتيه الطروس بمنشئها البابلي
وفي الحربِ عمراً ثباتاً وصبراً إذا طاشَ بالذُعْرِ قلبُ الكمي [1]
وفي الحُسْنِ بدرَ تمامٍ تجلّى فراقَ العيونَ بمرأىً بهي
رمتكَ وشيكاً قسيُّ المنونِ فلم تُخْطِ أسهمُ تلك القسي
(٧١ب) فمن للمعالي يصوغُ حلاها فتختالُ زهواً بأبهى الحلي
طَوَتْها البحارُ ولا غروَ ان تَغارَ على درِّها المعتلي
بَكاكَ الوجودُ وحقٌّ البكا على فَقْدِ ذاك الجمالِ السني
فيا فجعةً طالما أثقلت فؤاديَ يومَ طروقِ النعي
فلو كنتَ تُفدى بمالٍ ونفسٍ لأعطيتُ فيك نفيس الفُدِي
ولكن فقدتك كنزاً عتيداً فحسبي التأسي بفقد النبي

٧٦ – الفقيه الكاتب معلم ولد السلطان ، محمد بن محمد بن محمد الخولاني الشريشي ، رحمه الله بمنه .

مجموع طلب ، وحميد منقلب ، ساعده الحظ بعد كدح ، وأورى بعد اصلاد [2] قدح ، فأصبح ماليء الأعطان ، مستحصد الأشطان ، معلم ولد السلطان ، وله في الأدب حصة نامية ، وفي سمائه ربابها [3] هامية ؛ فمن شعره في النسيب :

بي شادنٌ أهيَفُ مهما انثنى يحكي تَثَنِّيه القضيبَ الرطيبْ
ذو غُرَّة كالبدرِ قد أطلِعَتْ فوق قضيبٍ نابتٍ في كثيب

---

١ – يعني عمرو بن معديكرب الزبيدي
٢ – في النسخ : اصلاء .
٣ – خ بهامش ك و د : ربابة .

خضتُ حشا الظلماءِ من حُبّه أختلسُ الوصلَ حِذارَ الرقيب
فبتُّ والوصلُ لنا ثالثٌ يضمّنا ثوبُ عفـافٍ قشيب
حتى إذا ما الليلُ ولّى وقد مالتْ نجوم الأفقِ نحو الغروب
ودّعْتُهُ والقلبُ ذو لوعةٍ أُسبِلُ من ماءِ جفوني غروب
فلستُ أدري حين ودّعتُهُ قلبٌ بأضلاعي غدا أم قليب

وقال ايضاً :

يا أجملَ الناسِ ويا من غَدَتْ غُرّتُهُ تمحو سنا الشمسِ
(٧٣آ) أنعمْ على عبدِكَ يا مالكي دونَ أشتراءٍ ومُنى نفسي
بأن ترى [1] وُسْطى لعقدي وأن تُعيدَ ربعى كاملَ الأنس
فإن تفضّلْتَ بما أرتجي أبقيتني في عالم الإنس
وإن تكنْ تُرجعني خائباً فانني أُدْرَجُ في رمسي
وقال في فضل العلم :

يا طالبَ العلمِ اجتهدْ انه خيرٌ من التالدِ والطارف
فالعلمُ يزكو قدْرُ انفاقهِ والمالُ ان أنفقتهُ تالف

---

١ ـ ترى : سقطت من ج

٧٧ – الشيخ الكاتب الرئيس ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن احمد بن صفوان القيسي* ، رحمه الله :

فارس بهـــذه الميادين مُعلَم ، وحجةٌ برهانُها مُسلم ، وبطل لا تُردُّ شَباةُ نقده ، ولا تُحلُّ مبرماتُ عقده ، يرمي الغوامضَ بالذهن الذي لا ترد شباه ، ولا تفل عند الضرب ظباه ، ويفكُّ الأقفال إذا عظم الاشتباه ، وله في ايضاح المعميات مقامٌ خفق لواه ، وتخصيص من الله تعالى لم يخصّ به سواه ؛ حلّ في حلبة الكتاب بطلاً بئيساً ، وكتب عن السلطان رئيساً ، ثم آثر الانقباض فما أعمل في خدمةٍ بنانا ، ولا شغل بها جنانا ، يتمعش من عقد الشروط احيانا ، والدهر يوسعه نسيانا ، ويُذْهِب اثراً منه وعيانا ، قد اجر رسنه[1] همة لا ترضى الكاتب بعلاً ، ولا الجوزاءَ وشاحاً ولا الثريا نعلا ، الى ان نَظرْتُ في امور الملك فانتشلته من مهواه ، ودللتُ البر على مثواه ، واسنيتُ له الجراية ، ونشرت مـــن تعظيمه الراية ، فأصبح الدهر به حفيا ، الى ان مات مكفيا . وشعره وثيقٌ

---

* من اهل مالقة . كان صدراً من صدور الكتاب قوي الادراك أصيل النظر ذاكراً للتاريخ واللغة مشاركاً في الفلسفة والتصوف ومن أساتذته ابن عبدالملك المراكشي وابن البناء . من تواليفه « مطلع الانوار الالهية » و « بغية المستفيد » وتقاييد كثيرة. انظر الاحاطة ١ : ٢١٩ (١ : ١٠٠) وقال ابن الخطيب ايضاً (٢٣٥) : وجمت شعره أيام مقامي بمالقة عند توجهي صحبة الركاب السلطاني الى اصراخ الخضراء عام ٧٤٤ وسميت الجزء : « الدرر الفاخرة واللجج للزاخرة » .

١ ـــ د: أحرز ، ج : أجر رسمه .

مبناه ، ومتكافٍ لفظه ومعناه ، وله بالمقاصد الصوفية كلف ، (٧٢ ب وبالاقوال الشهيرة فيها زلف ، فمن ذلك قوله :

هِمْ بالرقيّ الى المحلّ السامي ليس المقامُ لدى الثرى بمقام
جَرِّدْ حسامَ العزمِ عن غمدالهوى واقطعْ علائقَ شاغِل الاوهام
وانهض بجدٍ لاقتباس النور من برقِ الحمى بمثابةِ الاحرام
واهجُرْ عوالمَ حسِّكَ الأدنى ولا تَحْفَلْ بشمس ضحى وبدرِ تمام
فالكونُ أجمعُهُ وما يحويه منْ عالٍ ومنخفضٍ حجابُ ظلام
يا أيها الآوي الى أضداده ليستُ خيامُكَ هذه بخيام
هجروك فانبَهَمَ الطريقُ اليهم وتشابه الأنجادُ بالأتهام
فظللتَ تندبُ للجهالةَ أرُبعاً إفصاحها كمضلّل الاعجام
المِمْ بيمِّ السرِّ منك فغُصْ به واذا غرقتَ فنادِ دون كلام
يا دُرَّةَ النفسِ النفيسة يمي سِمْطَ العلا تَحْظَيْ بخيرِ نظام
يا جوهراً حار الورى في كنهه وعتا تصوُّرُه على الأفهام
يا مُظهراً سر الوجودِ ومازجاً ماءَ الندى رفقاً بلفحِ ضرام
انت الموصّل باشتراكِ طباعِهِ نورَ العقولِ بظلمة الاجسام
انت المهيّا بالطهارةِ والصَّفا لِقَبُولِ سرِّ الوحي والالهام
يا مُسْنِداً خَبرَ الذين أُحبُّهمْ وأخصُّهُمْ بصبابتي وهيامي
لكَ في الفؤادِ مكانةٌ محفوفةٌ منّي بوافي السرِّ والاكرام
اني وجدتُ لديكَ نفحةَ طيبهمْ كعبيقِ مسكٍ عند فضِّ ختام
كرِّرْ على سمعي لذيذَ حديثهمْ فحديثهمْ يُروي غليلَ أُوامي
تفديكَ نفسي من حديثٍ قادمٍ من عند أحبابٍ عليَّ كرام

فصلوكَ عنهمْ كي تخُطَّ علومَهُمْ   في صَفحِ لوحِكَ علية [1] الاقلام
حجبوكَ عن مرأى النواظرِ غَيْرةً   وَوَقَوْكَ كَرْهَ حوادثِ الأيام
(٧٣ آ) دلّوا عليكَ بهمْ وانت دليلُهم
لذوي النُّهى ومسدِّدي الافهام
حتى اذا كمل الذي قصدوا له   جذبوكَ نحوهمُ بفضلِ زمام
فحروفُ [2] ذاتك تقتضي قِدَمَ الذي
أضفى عليكَ ملابسَ الإنعام
وكمالُ حسنِكَ مفصحٌ بكمالهمْ   شهدتْ بذلك حالُ الاستلزام
عَرِّجْ على الوادِ الكريمِ مُبادراً   خَلْعَ النعالِ بموطىءِ الأقدام
وأصغِ لما يُلقى بسرك بائعاً   حظَّ الوجود بخلعةِ الأعدام
فاذا فُقِدْتَ فقد وُجِدْتَ بغبطةٍ   مقرونةٍ بمسرّةٍ ودوام
فهم اذاً لا انت [3] إنْ سواهم
بيدِ الفناء أذيقَ كأسَ حمام
وأبثّ لديهم عند ذلك قصّتي   وأشرحْ لهم وجدي بهم وغرامي
ومدامعاً أسبَلْتُها من شوقهمْ   ما بين ندماني كئوسَ مدام
اني ختمتُ على الضمير بحبهمْ   ففدا هواهمْ فيه زهرَ كِمام
وجعلتُهُ حَرَماً لهم فسواهمُ   ما إنْ له بحماهُ مِنْ إلمام
حسبي بهمْ من غيرهم بدلاً فهمْ   روحي وريحاني وبرءُ سَقامي
ان لاح لي من أفْقِ مغناهمْ سنا   فعلى الوجود تحيتي وسلامي

---

١ ـ ج : علة

٢ ـ خ بهامش ك ود : فحدوث .

٣ ـ لا أنت : سقطت من ج ، وفي هامش ك : فهم إذاً يبقون .

ومن قصائده في هذا الغرض الشريف :

أدهى[1] حجا بك رؤيةُ الأغيارِ فامحُ الدجى بأشعةِ الأنوارِ
يا قارئاً لفظَ الوجودِ وفكرُهُ في فهمِ معناهُ الجليّ مماري
لا تشغلنّ بظاهرٍ لك قد بدا عما بباطنِه من الأسرار
أُودعتَ أنفسَ جوهرٍ فأضعتَهُ وغمرته في لُجّةِ الأعمار
حجبتْكَ هذي الكائناتُ بظلّها عن سرّها المكتومِ حجبَ سرار
أَوَما ترى أشخاصَها قد أومأتْ طرّاً الى صُنعِ الحكيمِ الباري
دلّتْ عليه بافتقارِ وجودها لوجودِهِ في الجهرِ والاسرار
(٧٣ب) فلسانُ حالِ الكلّ ينطقُ مفصحاً
بخضوعهِ للواحدِ القهار
فاخلعْ نعالَ الكونِ خلعَ محقّق وجدَ المؤثّرَ في بقا الآثار
لحظَ المنازلَ يستشفُّ جمالَها لحظَ الحبيبِ البادي الاستبصار
فأعار حُسنَ الدارِ صفحةَ مُعرضٍ
وسما بهمّتِهِ لربّ الدار
لاحتْ له أنوارُ شمسٍ أشرقَتْ فكستْ دجى الظلماءِ ضوْءَ نهار
وأعتاضَ من صحوٍ غداهُ ناشئاً محواً عراهُ به انتشاءُ عقار
دارتْ عليه بديرِ معناه طلا محروسةُ الأدوارِ والاديار
مشمولةٌ شملتْ شمائلَهُ فلمْ ترتحْ لغيرِ الراحِ والأسكار
قد أسكنتْ دنّ[2] الدنوّ وألبستْ أسمالَ اسماءٍ وقارَ وقار
عصَرتْ يمينُ المنّ صِرْفَ سُلافها لمديرها في سالفِ الأعصار

---

١ ــ أدهى : سقطت من ج ، وبهامش ك « كذا » .

٢ ــ ج : دون .

وتعتّقَتْ حتى تَرَوَّقَ جسمُها ... لُطْفاً وفاتَ توهُّمَ الافكار

فالنُّورُ في عَرَصاتها والنَّوْرُ في ... دَوْحاتها ولهيبُها كالنار

شَعْشِعْ حُمَيَّاها وحثَّ كؤوسها ... واخلعْ عِذارَك واضحَ الأعذار

فاذا انتشيتَ فنادِ مَنْ تهوى وَبُحْ ... بصريح ما أكْنَنْتَ في إضمار

فألذُّ ما يَجني المتيمُ في الهوى ... ما ناله جهراً خليعَ عِذار

واذا خلوتَ بهمْ بغيرِ مراقبٍ ... فابثثْ هواك بذلّةٍ وصَغار

فأرقُّ ما بثَّ الحبيبُ حبيبَه ... شكوى الصبابةِ في خفيِّ سرار

لا تبغينَّ لهم شفيعاً غيرَهُمْ ... فهمُ الشفيعُ لمبتغي الأيسار

وهم الذين بهمْ تَنالُ وصالهم ... وتفوزُ بالتقريبِ والايثار

حسبُ العميدِ من الوجودِ همُ فهمْ ... أُنسُ الفؤادِ ونُزَهةُ الأبصار

إن باعدوا او ساعدوا لا أرتضي ... في حبِّهمْ ما عشتُ فكَّ إسار

(٧٤آ) لم نتخذ شيئاً[١] ولكن قصَّرتْ ... عن فهم ذاك مباحثُ النظار

لا زال سري آهلاً بهواهمُ ... مستوحشاً من رؤيةِ الأغيار

ومن ذلك القصيدة التي كلف بها القوالون[٢] :

بان الحميُ فما الحمى والبانُ ... بشفاءِ مَنْ عَنْهُ الاحبةُ بانوا

لم ينقضوا عهداً ببينهمُ ولا ... أنساهمُ ميثاقَكَ الحدثان

لكن جنحتَ لغيرهمْ فأزالهمْ ... عن أُنسهم بك موحشٌ غيران

لو صحَّ حبُّك ما فقدتهمُ ولا ... سارتْ بهمْ عن حبِّكَ الأظعان

تشتاقهمْ وحشاك هالةُ بدرهمْ ... والسرُّ منك لخيلهمْ مَيْدان

ما هكذا أحوالُ أربابِ الهوى ... نَسَخَ الغرامَ بقلبك السلوان

---

١ ــ خ بهامش ك : لم يتحد شيئان لكن

٢ ــ الاحاطة ١ : ٢٣١

لا يشتكي ألمَ البعـادِ متيمٌ أحبابُـهُ بفؤادِهِ سكانُ
ما عندهمْ الا الكمالُ وانما غطّى على مرآتها النقصانُ
شغلتْكَ بالأغيارِ عنهم مُقلةٌ إنسانها عن لمحهم وسنانُ
غمِّضْ جفونَكَ عن هواهمْ معرضاً انّ الصوارمَ حجبها الاجفانُ
واصرفْ اليهمْ لحظَ فكركَ شاخصاً ترسم[1] بقلبكَ كيف كنتَ وكانوا
ما غاب عن مغناكَ مَنْ ألطافُهُ يهمي عليك سحابُها الهتّانُ
وجيادُ أنعُمِهِ ببابك ترتمي تسري اليك بركبها الاكوانُ
جعلوا دليلاً منك فيك عليهم فبدا على تقصيرك البرهانُ
يا لاحماً سرَّ الوجودِ بعينه السرُّ فيك بأسْرِهِ والشانُ
ارجعْ لذاتِكَ ان اردتَ تَنزُّهاً فبِهَا لعينيْ ذي الحجى بستانُ
هي روضةٌ مطلولة بل جنّةٌ فيها المنى والرَّوْحُ والريحانُ
كم حكمةٍ صارت تلوحُ لمبصرٍ حارت لباهرِ صُنعها الاذهانُ
حُجِبَتْ بشخصكَ عن عيانك شمسُها
فمحا محاسنَ ذكرها النسيانُ
لولاك ما خفِيَتْ عليك إياتُها والجوُّ من أنوارها ملآنُ
انت الحجابُ لما تؤمّل منهمُ ففناؤك الأقصى لهم وِجدانُ
فاخرجْ اليهم عنك مفتقراً لهمْ انّ الملوك بالافتقارِ تُدانُ
واخضع لعزهمُ ولذْ بهمُ يَلُحْ منهم عليك تلطُّفٌ وحنانُ
همْ رشّحوك الى الوصال اليهمُ وهمُ على طلبِ الوصال أعانوا
عطفوا جمالهمُ على أجمالهم فسبا المشوقَ الحسنُ والاحسانُ
يا ملبسين عبيدهم حُلَلَ الضنى جسمي بما تكسونه يزدانُ

---

١ ـ د : ترهم

لا سخْطَ عندي للذي ترضونه   قلبي بذلك فـــارحٌ جذلان
تقريبكمْ عينُ البقاءِ وبعدكمْ   محضُ الفناءِ وحبكم ولهـــان
اني كتمتُ عن الانام هواكمُ   حتى دُهيتُ وخانني الكتمان
ووشتْ بحالي في الغرام مدامعٌ   ادنى مواقعِ قطرِها طوفان
وبدتْ عليَّ شمائلٌ عذْريَّةٌ   تقضـــي بأني فيـــكمُ هيمان
فاذا نطقتُ فذكركم ليَ مُنْطِقٌ   ما لي سواكم للســانِ بيـــان
واذا صمتُّ فأنتمُ سري الذي   بين الجوانحِ في الفؤادِ يُصان
فبباطني وبظاهري لــكمُ هوىً   من جُندِهِ الأسرار والاعلان
وجوارحي وجميــعُ أنفاسي وما   أَحوي ، عليَّ لحبكمْ أعوان
واليكمُ مني المفرُّ فقصـــدكمْ   حَرَمٌ به للخائفـــين أمان

استكثرت من نظم هذا الرجل لشرف غرضه ، ومن مقطوعاته[١] :

كففتُ عن الوصالِ طويلَ شوقي   اليكَ وأنت للروح الخليـــلُ
وكفك للوصالِ فدتك نفسي   قبيحٌ ليس يرضـــاه الخليل

(٧٥ آ) ومن ذلك في التورية بالغرض المذكور ايضاً [٢] :

يا كاملاً شوقي اليـــه وافرٌ   وبسيطُ خدّي في هواهُ عزيزُ
عاملتَ أسبابي اليك بقطعها   والقطعُ في الاسبابِ ليس يجوز

وقال ايضاً [٣] :

أيا قمـــراً مطالعُهُ جَنـــاني   وَغُرَّتُهُ توارتْ عن عياني
أأصرَفُ في هواك عن افتراقي   وسهـــدي وانتحابي علتــــان

ومن المقطوعات التي شُهِرَتْ عنه [٤] :

١ ــ الاحاطة ١ : ٢٣٨ .   ٢ ــ الاحاطة ١ : ٢٣٩ .
٣ ــ الاحاطة ١ : ٢٢٩ .   ٤ ــ الاحاطة ١ : ٢٣٨ .

وشى [1] العذارُ لجينه بنبالِهِ فغدا يرقُّ على المحبِّ الوالِهِ
خطَّ العذارُ بصفحتيه لامــه خطـّاً توعَّده بمحـو ِ جماله
فحسبت أنَّ جماله شمسُ الضحى حُسْناً وذاك الخطُّ خطُّ زواله
فرنا اليَّ تعجبـــاً وأجابني والروعُ يبدو من خلال مقاله
ان الجمالَ اللامُ آخرُهُ فعُجْ عن رسمه وأنْدُبْ على أطلاله

٧٨ ـ الكاتب ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم بن احمد بن جزي الكلبي *، رحمه الله تعالى :

شمس في سماء البلاغة بازغة ، وحجة على بقاء هذه الفطرة العربيـة بالمغربية بالغة ، ونعمة على هذه الطريقة سابغة ، ونادرة فيها ونابغة ، من جذَعٍ أبرَّ على القارح ، وزجر من المعرفة كل سانح ، لا بارح ، لو تعلقت الغوامض بالثريا لنالها ، وقال أنا لها ؛ وربما غلبت الغفلة على ظاهره ، وانطبق كامه على أزاهره ، فاذا قدح زنده ، تقدم المواكب بنده . وكان من طبقة ابناء جنسه التي اليها المنتهى ، وجنة الادب التي يجد كلُّ مشتهٍ فيها ما اشتهى ، فمطولاته بحور ، (٧٥ ب) وغرامياته ولدان وحور ، وامداحه درر النحور ، أخسفتِ المنيةُ منـه بدرا ،

---

١ ـ الاحاطة : رشق .

* مولده عام ٧٢١ وتوفي عام ٧٥٧ ؛ من اهل غرناطة وهو ولد أبي القاسم (انظر الترجمـة رقم : ٧) كتب عند السلطان أبي الحجاج يوسف ثم ارتحل عن الاندلس واستقر بالعدوة وكتب بالحضرة المرينية للمتوكل على الله ابي عنان . وهو الذي كتب رحلة ابن بطوطـة (ترجم له ابن الاحمر في نثير الجمان ولسان الدين في الاحاطة ٢ : ١٨٦ وانظر ازهار الرياض ٣ : ١٨٩)

وغالت صدرا ، وأوسعت البراعة غدرا ، ولم تذر لها قدرا ؛ وكان ممن نال من ملك الغرب محلاّ ، وتحلى منه بما تحلّى ، رحمة الله تعالى عليه ، فمن شعره [1] :

ومورّدِ الوجناتِ معسولِ اللمى ... فتاكِ لحظِ العينِ في عشاقه
الخمرُ بين لِثَاتِهِ والزهرُ في ... وَجناته والسحرُ في أحداقه
ميّادُ غصنِ البانِ في أثوابه ... ويلوحُ بدرُ التمّ في أطواقه
مَنْ للهلالِ بخده أو ثغره ... هبْ أنه يحكيه في إشراقه
ولقد تشبهتِ الظباءُ بِشُبْهَةٍ ... من خَلْقِهِ وعجزنَ عن أخلاقه
نادمتُهُ وسنا محيّا الشمسِ قد ... ألقى على الآفاقِ فَضْلَ رواقه
في روضةٍ ضحكتْ ثغورُ أقاحها ... وأسال فيها المزنُ من آماقه
أسقيه كأسَ سُلافةٍ كالمسك في ... نفَحاته والشهدِ عند مَذاقه
صفراءَ لم يُدرِ الفتى اكواسها ... إلاّ تداعى همُّهُ لفراقه
ولقد تلينُ الصمُّ من سَطَواته ... فيعودُ للمعهودِ من إشفاقه
وأظلُّ أرشفُ من أقاحي ثغره ... خمراً تُداوي القلبَ من إحراقه
ولربما عَطَفَتْهُ نحوي نَشْوةٌ ... تشفي الخبالَ بضمّه وعناقه
أرجو رضاهُ اذا تبسّم ضاحكاً ... وأخافُ منه العَتْبَ في اطراقه
اشكو القساوةَ من هواه وقلبِهِ ... والضعفَ من جَلَدي ومن ميثاقه
يا هل لعهدٍ قد مضى من عودةٍ ... ام لا سبيلَ بحالةٍ للحاقه
يا ليت لو كانتْ لذلك حيلةٌ ... او كان يُعْطى المرءُ باستحقاقه
فلقد يروقُ الغصنُ بعد ذبولِهِ ... ويروقُ بدرُ التمِّ بعدَ محاقه

---

١ ـ القصيدة في الاحاطة ٢ : ١٨٩

(٧٦ آ) ومن الغراميات التي سلك فيها مسلك قيس ليلى [1] :

متى يتلاقى شائقٌ ومشوقُ ويصبحُ عاني الحبِّ وهو طليقُ

أما إنها امنيّةٌ عزَّ نيلُهـــا ومرمىً لعمري في الرجاءِ سحيق

ولكنني خادعتُ قلبي تعِلّةً أخافُ انصداعَ القلبِ فهو رقيق

وقد يُرْزَقُ الانسانُ من بعد يأسه وروضُ الربى بعد الذبولِ يروق

تباعدتُ لما زادني القربُ لوعةً لعلّ فؤادي من جواه يُفيق

ورمتُ شفـــاءَ الداءِ بالداء مثله فاني بأنْ لا أشتفي [2] لحقيق

وتالله ما للصبِّ في الحبِّ راحة على كلِّ حالٍ إنه لمشـــوق

أيا ربِّ قد ضاقتْ عليَّ مذاهبي[3] فها أنا في بحرِ الغرامِ غريق

ولا سلوةٌ ترجى ولا الصبرُ ممكنٌ وليس الى وصلِ الحبيب طريق

ولا الحبُّ عن تعذيبِ قلبيَ ينثني ولا القلبُ للتعذيبِ منه يطيق

شجونٌ يضيقُ الصدرُ عن زفراتها وشوق نطاقُ الصبر عنه يضيق

نثرتُ عقودَ الدمعِ ثم نظمتُها قريضاً فذا درٌّ وذاك عقيق

بكيتُ أسىً حتى بكتْ ليَ حُسَّدي

كـــأنّ عدوّي صار وهـــو صديق

ولو أنّ عند الناسِ بعضَ محبتي لما كان يُلْفَى في الأنام مفيق

ايا عينُ كفّي الدمعَ ما بقيَ الكرى

اذا منعـــوكِ اليوم سوف تـــذوق

ويا غائباً عن ناظريَّ أما يُرى لشمسكَ من بعدِ الغروب شروق

رويدكَ رفقاً بالفؤاد فانـــه عليك وان عذّبتَهُ لشفيق

---

١ ــ القصيدة في الاحاطة ٢ : ١٨٨

٢ ــ بان لا أشتفي : سقطت من ج .

٣ ــ ك : مذاهب، وفي الاحاطة : مسالكي .

نقضتَ عهودي ظالماً بعد عقدِها　　الا إنّ عهدي كيف كنتَ وثيق

كتمتكَ حبّاً (١) يعلمُ اللهُ مدّةً　　وبين ضلوعي من هواكَ حريق

فما زلتَ بي حتى آفتضحتُ فان أكنْ

صبوتُ فبعد اليوم لست اطيق

(٧٦ ب) ومن قصيدة غرامية قوله :

خليليَّ ان الحبَّ اعيا اكتتامُه　　فهذا لسانُ الدمعِ بالسرِّ ناطقُ

أيا ربِّ حتى دمعُ عيني ينمُّ بي　　وحتى منامي مذ هويتُ مفارق

وكنت اظنّ القلبَ يقوى على الأسى　　فها هوَ لما جدَّ امريَ (٢) زاهق

اذا خانني قلبي ونومي وناظري　　فو الله ما أدري بمن انا واثق

أقلاّ ملامي في الهوى لا بليتما　　فانّ الهوى عن سمعيَ اللومَ عائق

ابيتُ وندماني شجوني ، وقهوتي　　دموعي ، وما غيرُ الدموع موافق

يشوّقني ساري النسيمِ اذا سرى　　ألا كلُّ آتٍ منهمُ ليَ شائق

لقد أنكروني اذ مررتُ بربعهمْ　　وظنّوا ظنوناً خالفتها الحقائق

رأوا جسدي من تحتِ ثوبيَ ناحلا　　كما رقَّ حدُّ السيفِ والغمدُ رائق

يقولون ما هذا الخبالُ الذي به　　وما بي خبالٌ غيرَ أنّيَ عاشق

وقالوا أدّعى فينا المحبةَ كاذباً　　اما وذمامِ الحبِّ اني لصادق

وما باله يشتاقُ من ليس شيّقاً　　اليه ويهوى وفْقَ مَنْ لا يوافق

يزيدُ خضوعاً حين يزدادُ عزةً　　لبئس الفتى هذا وبئسَ الخلائق

فمها لحظنا ليس تحمي سوابغٌ　　ومهما طلبنا ليس تنجي سوابق

وكم من محبٍّ مات فينا صبابةً　　وهذا الفتى لا شكَّ بالقوم لاحق

---

١ ـ د : حي وكذلك في الاحاطة .

٢ ـ د ج : اثري

ومن المقطوعات المطبوعات :

شدَّ ما قد لقيتُ في حبِّ سلمى قلَّ صبري وضاق بالحبِّ ذرعي
كلَّ يومٍ زيارةٌ ورسولٌ لأراها بناظري او بسمعي
واذا لم يكن اليها سبيلٌ وعدمتُ الرسولَ أرسلت دمعي

ومن المقطوعات قوله :

(٧٧ آ) لما اشتكى العشاقُ من فتكاته بظبا اللواحظِ قال وهو الصادق:
قسماً لئنْ عادوا الى الشكوى بها لا أُغمِدَتْ وعلى البسيطةِ عاشق

ومن ذلك ايضاً في التورية (١) :

أبِحْ ليَ يا روضَ المحاسنِ نظرةً الى وردِ ذاك الخدِّ كنتُ لك الفدا
وبالله لا تبخلْ عليَّ بقطفةٍ فاني عهدتُ الروض يوصف بالنَّدى

ومن ذلك قوله :

وغزالٍ له جفونٌ مراضٌ تبعثُ الوجدَ في قلوبِ الصحاحِ
غرَّني لحظُهُ وقد قيل شاكٍ فاذا هم يعنون شاكي السلاح

ومن ذلك قوله (٢) :

يقولون لي اصبحتَ بالآس مولعاً وقلتُ: وهل في حبيَ الآس من باسِ
ألم تعلموا ان الهوى قد أعلّني وكيف ترى شوقَ العليلِ الى الآسي

ومن ذلك قوله :

أفنيتُ فيه نسيبَ شعري طائعاً وأسلتُ دمعي كالحيا المدرارِ

١ ــ الاحاطة ٢ : ١٩٤ .
٢ ــ الاحاطة ٢ : ١٩٤

وأراهُ ما حفظَ العهودَ ولا رعى ذممَ النسيبِ ولا حقوقَ الجار

ومن التورية وهو مليح [1] :

وصديقٍ شكا لما حمّلوه من قضاءٍ يَقْضي بفرطِ العناءِ
قلتُ : فارددْ ما حملوك عليهمْ قال: مَنْ يستطيعُ ردَّ القضاء ؟

ومن المقطوعات قوله في ذلك :

ويا ربَّ ساجي الطرفِ يعطفُهُ الهوى
على الصبِّ بعض الشيء ثم يميلُ
عجبتُ له يشكو الغرامَ فقال لي: أتعجبُ ان يشكو الغرامَ جميل؟

واحسان هذا الفاضل بحر لا تنزحه الدلاء ، رحمه الله تعالى .

(٧٧ب) ٧٩ - الكاتب ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق ابن محمد الصباغ العقيلي * ، رحمه الله تعالى :

رجل كفاية ، ولباب غير نفاية ، انتحل الأدب ، والى فئته انتدب ، فنظم ونثر ، وركض فقل ان عثر ، ورحل الى المغرب فأعتب الزمان بعد عتابه ، وانتظم في سلك شعراء السلطان وكتابه ، ولم يكن

١ ــ الاحاطة ٢ : ١٩٤

* ترجم له ابن الخطيب ايضا في التاج والاحاطة . مولده عام ٧٠٦ ووفاته عام ٧٥٨ كان يشتمل على خلال من خط بارع وكتابة حسنة وشعر ومشاركة في فقه ووثيقة ، ناب عن بعض القضاة وكتب الشروط وارتسم في ديوان الجند ثم انصرف الى العدوة ٧٥٣ فارتسم في الكتابة السلطانية (النفح ٨ : ٣٦٥) .

عارضه يُسرع في انسكابه ، حتى ظعن الموت بركابه ؛ ومن شعره[1] :

زار الخيالُ ويا لها من لذةٍ   لكنْ للذاتِ الخيال منامُ
ما زلت ألثمُ مبسماً ، منظومُهُ   دُرَرٌ ، وموردُهُ الشهيُّ مُدامُ
واضمُّ غصنَ البانِ من أعطافه   فأشمُّ مسكاً فُضَّ عنه ختام

وقال ايضاً :

ادرها من بناتِ الكرم بكراً   كساها دنُّها لوناً شريفا
غدَتْ في أوجه الاكواسِ ورساً   وفي وجهِ النديم بدتْ عقيقا

وقال رحمه الله تعالى [2] :

ليت شعري والهوى أمَلٌ   واماني الصبِّ لا تقفُ
هل لذاك الوصلِ مُرْتَجَعٌ   ام لهذا الهجر مُنْصَرَف

وقال في معرض الفخر [3] :

وظبيٍ زها بالطرفِ والعِطْفِ والطلا
وما حاز من غُنْجٍ ولينٍ ومن غَيَدْ
اشرتُ اليه بالدنوّ مداعباً
فقال : أيدنو الظبيُ من غابةِ الأسَدْ

---

١ ــ النفح ٨ : ٣٦٧ .
٢ ــ النفح ٨ : ٣٦٥
٣ ــ النفح ٨ : ٣٦٦

٨٠ – الكاتب محمد بن محمد بن عبد الرحمن القطان الهاشمي نسبأ ، رحمه الله تعالى :

فتى حسن الشمائل والضرائب ، آتٍ على حداثة سنه بالغرائب ، (٧٨ آ) انتظم مع الكتّاب والعمر جديد ، وظل اللمة السوداء مديد ، فأطاعه على النظم لسان ، وصدرت عنه آداب حسان ، الا انه اعتبط عندما غبط ، رحمه الله تعالى . من شعره ما كتب لي به :

أجارَتنا رفقاً على الهائم الصبِّ   فقد ذاب وجداً بالصبابةِ والحبِّ
قذفتِ بسحرِ اللحظ في قلبيَ الهوى   وقد عشتُ دهراً قبله خاليَ القلب
وصعّدتِ انفاسي وقطّرتِ أدمعي   وقلّبتني بالسهدِ جنباً الى جنب
يكادُ فؤادي ان يطيرَ اسىً اذا   افكّر في إنجاز وعدِكِ بالقرب
أقولُ: متى او كيف يسمحُ دهرنا   بساعةِ وصلٍ قبل ان ينقضي نحبي
فكم رُمتها والبخلُ منها سجيّةٌ   يطولُ بها لو كنتِ سامعةً عتبي
فانّ عيونَ الكاشحين اذا بدا   محياكِ من دوني موانعُ كالحجب
بحرمةِ ما بيني وبينكِ عجّلي   وصالَكِ لي تستوجبي الاجرَ من ربي
ألم تعلمي أني اذا ما طردتني   ألوذُ بآمالي الى الجانبِ الرحب
الى الجانبِ السامي المنيّعِ جارُهُ   الى الجانبِ المربي على رُتبِ الشهب
جنابِ فريدِ العصرِ والجملةِ التي   تدورُ امورُ الملك منه على قطب

وزيرِ المقـــامِ اليوسفيّ[1] ومن لـــه
نوالٌ يُباري الغيثَ متّصِلَ السّكب

ومن أخرى :

أَوَجهُكِ أبهى ام سنا القمرِ التّـمّ
وريقُكِ أشهى ام مذاقُ ابنةِ الكرمِ
يشوقُ محبّاً فيكِ ظامٍ لورده ... وَمَنعُكِهِ مِنْ ظلمِهِ اكبرُ الظلم
فهل عَلّةٌ منه لِغُلّةِ هـائمٍ ... أجاب الهوى بالطّوعِ منه وبالرغم
وخدُّك ام روضٌ من الحسنِ يانعٌ ... يفوقُ رياضَ الحَزْنِ غِبَّ حيا يهمي
فيا رَبّةَ الحُسْنِ الذي ظلّ مُفرَداً ... خفي الله في صبٍّ يذوبُ من السقم
(٧٨ب) مقيمٍ على حفظِ الهوى وعهودِهِ ... يرى عطفةً في النوم منكِ من الغنم
يُطيعُ الهوى في حبّـــهِ لكِ دائماً
ويعصي المنى إنْ اصبحتْ فيكِ من خصم
يحنُّ لأيامٍ مضتْ ومعاهـــدٍ ... سقاها عِهادُ الدمعِ بالوابلِ السّجم
فجودي على صبٍّ يجودُ بنفسِهِ ... وردّي عليه الروحَ في مدنفِ الجسم
والا سأستعدي عليك بسيدٍ ... يؤمّنُ من خوفٍ ويُوسِرُ من عُدم
وزيرٌ له في المعلواتِ علاقـةٌ ... يبلّغها الغاياتِ منهنّ بالعـــزم

---

١ ـ اليوسفي : منسوب إلى يوسف بن اسماعيل من بني نصر وهـو الذي وزر له لسان الدين ولابنه محمد من بعده .

٨١ – الكاتب ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد القيسي المرادي ، رحمه الله تعالى :

شاعر مجيد ، ومتلع بجيد [١] ، وباني بيوت القريض ذات تنجيد ، ورامٍ الى الاغراض بسهمٍ سديد ، على غرارة غضة وعمر جديد ، كان ابوه عطاراً فما عدا العطرُ شيمته ، لا بل اقتحم عليه سيمته [٢] ، فشكر الربع ديمته ، وحضرت امراءُ الاستحسان لما أعرس بعقائله الحسان وليمته ، ولما آجتليتُ غرّته ، نظَمْتُ في سلك الكتّاب دُرّته ، وفضضتُ بيد الشفيق [٣] صرته ، الا انه اعتبط أينع ما كان فننا ، وأوضح في الفضل سننا ، رحمه الله تعالى . ومن شعره ما خاطبني به من قصيدة طويلة :

تعالَ نعُجْها بين تلك المنازلِ	فقد رُفعَتْ ما بين عافٍ ونازل [٤]
نُعَلّلُ منها كلّ نفسٍ عليلةٍ	ونقضي مُناها بين تلك المناهل
وننقعُ للاحشاءِ من كلّ غلةٍ	جوىً ونحلّي للهوى كلّ عاطل
اليس التي لاحتْ معالمُ حيّهمْ	فما لكما في قصدِ تلك المجاهل
وغناءَ حسناءِ الروابي كأنما	سقاها حيا دمعي بهامٍ وهامل

١ – خ بهامش ك : جيد .
٢ – خ بهامش ك : مشيمته .
٣ – خ بهامش ك : التنفيق .
٤ – خ بهامش ك : ومائل .

مؤرجةِ الأرجاءِ مِضْواعةِ الربى   تمرُّ بها الاروا حُ مرَّ القوافل (٧٩آ)

تُماري بمرأى زَهرها الزُّهْرَ في الدجى

وتهفو بأنفاسِ الضحى في الاصائل

كأن شذاها من شذا المسكِ او شذا

حُلَى معلواتِ ابن الخطيب الحلاحل

وخفاقةِ الاطلال تحسبُ أنها   عَلَتْها علاً من ظلّه المتطاول

وان كان منها الظلُّ أقعسَ زائلاً   فظلُّ علاهُ ليس عنها بزائل

كأن شعاعَ الشمسِ فوق غصونها   مصاقلُ لاحتْ في رءوس العوامل

كأن اطرادِ النهرِ ما بين نَوْرِها   مناصلُ سُكّتْ بين وشي الحمائل

كأن محيّا زهرها غبَّ طَلّهِ   سناالشمس اوضوءالبدورِالكوامل

كأن عليها من سجايا محمدٍ   شمائلَ يبدو عنه نفحُ الشمائل

الكني[1] الى مثوى الوزارةِ مألكاً   أُطاولُ منه بالأماني الطوائل

الى عالمٍ[2] الدنيا الذي لعلائه   تضاءَلَ أعلى يذبلٍ ومواسل[3]

عميدُ المعالي والمعارفِ والذي   تَحَدّى بآياتِ العلا والفواضل

ومعجزةُ الايامِ والواحدُ الذي   بسؤددهِ تبأى صدورُ المحافل

تباركَ من سوّى مقامَكَ فاغتدى   على فضلِ هذا العصرِ أجلى الدلائل

« علمتَ فلم تتركْ مجالاً لعالمٍ   وقلتَ فلم تتركْ مقالاً لقائل »

وهي طويلة مشتملة على النيل والوسيل ، وبلغه عن بعض اصحابه اتهام ، بانتحالها وقد وقع في اسمي له [1] ابهام ، فجلا الظلمة ،

---

١ – الكني : سقطت من ج   ٢ – خ بهامش ك : الى علم .

٣ – ج‌ك : ومراسل ؛ ومواسل : جبل مذكور في شعر لبيد بن ربيعة .

٤ – خ بهامش ك : لديه ؛ ك : وقد وقع له في اسمي .

ورفع التهمة ، وكتب بحال ابتدار ، بما يشهد باطلاع [1] واقتدار ، وانفساح مدار ، قوله :

شفاءُ صداها [2] أمْ تلك المناهلِ وريٌّ غليلي لثمُ تلك الانامل
وبين النقا والجزع وسنان ناظر يعيد على الالباب آية بابل
وفي سمرات الحي من معهد اللوى بلابل هاجت من شجون البلابل
(٧٩ب) ومطلولة الارجاء اخجل نشرها
نسيم الصبا جاءت بريا الخمائل
كأن شذاها من شذا المسك او شذا حلى معلوات ابن الخطيب الحلاحل
عمادُ الحجى والمجدِ والحلمِ والتقى وفخرُ المعالي وازدهارُ الفضائل
وحجةُ أيامٍ اواخرُ آيها حوَت قصباتِ السبق دون الاوائل
عذيريَ لا والله عذري لهفوةٍ دهتني ولكن عذرُ هيمانَ ذاهل
وقد كان بي من فرطِ حبيَ عندما دنا أسمكُ السامي العلا اي شاغل
رأى الماء من قرب فأهوى لورده هياماً ولم يحفِل بذائد حائل
اذا لم يكن من هيبةٍ اسمك مَنْهَلٌ يهولُ فاني آمنٌ كلَّ هائل

وهي طويلة وفي هذا القدر كفاية .

---

١ ــ خ بهامش ك : باضطلاع .
٢ ــ د : هواها .

٨٢ - الكاتب الرئيس ابو اسحق ابراهيم بن محمد الساحلي الانصاري * ، رحمه الله تعالى :

جواب الآفاق ، ومحالف الرفاق ، ومنفق سعر الشعر كل النفاق ، رفع للأدب راية لا تحجم ، واصبح نسيج وحده فيما يسدي ويلحم ، ولما آنس بكساد سوقه ، من بعد بسوقه ، وتلألؤ نسوقه ، واستواء بيانه على سوقه ، ارتحل ، وبأثمد ملك السودان اكتحل ، وفي تلك البلاد الموحشة رحل ، حل بها محلّ الخمر في القار ، من بعد الاعتصار ، والنور من سواد الإبصار ، وتقيد بالاحسان ، وان كان غريب الوجه واليد واللسان ، فما اشبهه بالشمس شهرة وتجوالا ، وعروضاً واطوالا ، وميلاً واعتدالاً ، وبرهاناً على من آثر جدالا ، وحساباً مضروباً ، وافولا في العينِ الحمئةِ وغروبا . ولو لم يكن في هذا الكتاب الا اسمه ، لوضح في المصَنّفات رسمه ، وتوفر من المزية قسمه . وأما (٨٠ آ) نظمه ونثره فالشمس ، تجل ان يدركها اللمس ؛ عينُ أدبِ هذا الفاضل فِراره [١] ، وحسب هذا المهند الفاصل غراره . فمن قوله :

تألّق نجدياً فحيّا وسلّما وناجى جفوني فاستهلّتْ له دما
يرقّ ويخفى مثلَ جسمي كأنه حذا حذوَه في السُّقم حتى تعلما

---

* ترجم له ابن الخطيب ايضاً في عائد الصلة والتاج والاحاطة ١ : ٣٣٧ ترجمة ضافية ؛ وانظر مسالك الأبصار ١١ : ٥١٦ والنفح ٣ : ٤١٠ .

١ - من المثل : إن الجواد عينه فراره .

وطارحَ أحشائي فأصبح خافقاً   وعاد بأشواقي فعـــاد مُضَرَّما
وأوضح ثغراً كلّما قطب الدجى   تهلّـــل في بهمائه وتبسـّـما
وجاد ديارَ العامرية بالنقـــا   جزاءً لليلى اذ أعارتـه مبسما
ابارقَ ذات الابرقين : أحاجرٌ   منازلُ تيمٍ بعد تيمٍ أم الحمى
وما لزمانٍ نام مستغرقَ الكرى   فما هبَّ حتى سلَّ ما كان سلّما
طواني الضنا طيَّ السجلِّ وشفّني   فلم يُبْقِ مني السقمُ الا توهما
وودعتُ خلّى والشبيبةَ راغماً   فلم أدرِ من أجرى دموعيَ منهما
وجفَّ ربيعُ العيشِ في مربع الصِّبا
غداةَ ذوى العودُ البهـــيمُ وأثغـما
فسيانِ بيضاً فتتت في مفارقي   وابيضَ أضحى فوقهنَّ مصمما
وقد كنتُ قبل اليوم أقتادُ أبيضاً   من العيسِ مهما كنت اجنبُ ادهما
اغازلُ ليلى تحت ليلِ شبيبتي   فأمّا وقد صاح الصباحُ به فما
ولي كبدٌ مهما رأى البرقَ وهنةً   تنفسَ من أحشائه وتكلمـا
وان ذُكِرَتْ ليلى تطايرَ خافقاً   وان هينمَ الحادي بنجدٍ تلوّما
ويا لغريبٍ أنجدَ الركبُ موضعاً   بأحبابه الادنين منـــه وأتهما
رمى بهمُ عرضَ الفـــلاةِ وانما   رمى مصمياً أفلاذَ قلبيَ إذ رما

ومن هذا الاسلوب :

عيونُ سحابٍ ام سحابُ عيونِ   سقت صَوْبَ نعمانٍ بصوبِ مَعينِ
(٨٠ب) وما لرباها بعد ليلى تلـفّعتْ   غراماً وحزناً في مطارفَ جُون
وقفتُ بها أذكي حشايَ واتقي   بفضلِ ردائي واكفاتِ شئوني
فطوراً أروّيها وطوراً اشبّهـا   بنارِ شجوني او بمـاءِ جفوني
بقايا طلولٍ أنكر العينُ حسْنَـها   فأثبته وجدي بها وشجوني

أكرُّ فيثنيني خطـابُ طلولها الي بباءِ أعجمتـه ونون
فيا طللاً أقوى وقد كان قبل ذا مطالعَ شهبٍ او مراتعَ عين
أتعلمُ قلبي أين ظلّ فانـــه بكفـّيْ قويّ البأس غيرِ أمين
ويا سائقَ الأظعانِ رفقاً فانما تدوسُ على آماقِ كلِّ حزين
وتحت تماثيلِ الخدورِ كواكبٌ جلون هـلالاً تحت كلِّ جبين
تبسّمُ عن لألاءِ درٍّ منضّدٍ على ثُغبٍ من ريقهن مَعـين
فأخلفن عهدي ، والذنوب لشيبتي على مفرقي أفتتْ بليّ ديوني
وولـّيْنَ دوني بالشمال وانمـا توّسدْنَ في ظل الشبابِ يميني
وقلنَ جنونٌ اذهب الشيبُ غيَّها ويا ليتَ يوماً لو تُعادُ جنوني

ومن ذلك قوله :

دعِ العَيْنَ تُذْري الدمعَ في طَللِ الربعِ
فليس حراماً ان أُريقَ به دمعي
وَحدِّثْ عن القوم الذي عهدتَهم أَحلوا بنجدٍ ام اقاموا على سَلع
وان لم يكنْ قد فاز طرفي بنظرةٍ اليهم فحسبي أن يفوزَ بهم سمعي
ذكرتُكَ يا نجدُ ففاضتْ مدامعي وأيُّ نصيرٍ للمحبِّ سوى الدمع
وان تقن يا نفسُ العزاء تجملاً فانك مكلومُ الحشا دائمُ الصدع
تبيتُ وفي جنبيك من ألمِ الهوى لواسبُ حبٍ لا تملُّ من اللسع[1]
ومهما بدا من جانبِ الجزع بارقٌ جزعتَ ومن لي ان أرى بارق الجزع
(٨١ آ) أمنفلتٌ من ربقة الوجدِ عاشقٌ يموتُ ويحيا بالوصالِ وبالقطع
يسائل عن ماء العُذَيب تجاهلاً وإن الذي يشفي صَداه[2] على جمع

١ ــ سقط الشطر كله من ج .
٢ ــ ك : هواه .

احنُّ كما حنَّتْ ركابي الى مِنى   وما دارها داري ولا ربعها ربعي
ولكن نزوعٌ من بقايا حُشاشة   رمتنا بها وطفا[1] مُسَدَّدةُ النزع
وقالوا غداً يَقضي بجمع ديوننا   وحسبي بجمعٍ ان ارى ليلة الجمع
لعينكِ قلبي يا ابنةَ القــومِ طائعٌ
صبورٌ على الشكوى صبورٌ[2] على المنع
تجلى لطرفي في محياكِ روضهُ   وورده الحمرةُ اللونِ من زرعي
وثغرك من دمعي وخــدُّك من دمي
وخصرك من فكري ، وحليُك من سجعي
قصرتُ فــؤادي في رضاكِ على الجوى
وحرَّمتُ عذلي في هــواكِ على سمعي

ومن المقطوعات والأوصاف :

ومفروشةٍ بالآس والنرجس الغضّ   وبالورد والنسرين بعضاً على بعضِ
كأن احمرارَ الوردِ خجلةُ غادةٍ   يلاعبها المشتاقُ بالقبْل والعض
كأن اصفرارَ النرجسِ الغضّ إذ بدا   يميسُ بأغصانٍ من العسجد الغض
كأن اخضرارَ الآسِ قضبُ زمرُّدٍ
تنمقه أيــدي القيانِ على الأرض
كأن ضياء الكأس[3] بدرٌ بدا لنا   فطوراً الى رفعٍ وطوراً الى خفض
كأن خدودَ الشاربين وقد بدت   بها الخمرُ جمرٌ قد توقَّدَ من رمض

---

١ – خ بهامش ك : وطف .
٢ – خ بهامش د : شكور .
٣ – د : الشمس .

٨٣ – الشيخ الكاتب ابو جعفر احمد بن علي بن محمد ابن خاتمة الانصاري * رحمه الله تعالى :

ناظم درر الألفاظ ، ومقلد جواهر الكلام نحور الرواة ولبّاتِ الحفاظ ، ذو الآداب التي أضحت شواردها حلم النيام وسمر الايقاظ ، وكمن في بياض طرسها وسواد نقسها سحر اللحاظ ؛ اشتهر اشتهار (٨١ ب) البدر ليلة الصحو ، وعمرو بن قنبر[١] في صناعة النحو ، وأمن ثبت فضله من المحو ، وكان العلم الذي اليه يشار ، وتحدى العشار ، لا يساجل بحره بالدلاء ، ولا يسد مسده بالبدلاء ، بجموع فنون ، وخوان ضب منها ونون ، قلّ ان يذكر ضرب من المعارف إلا عرفه ، او يمر بنهر من أنهارها إلا شرب من مائه واغترفه ، وأما الأدب فهو فيه الحجة التي لا تجهل ، والمحجة التي قصدها هو الأسهل ، مطولاته بحور زاخرة ، ومقطوعاتــــه درر فاخرة ، ورسائله بالرياض ساخرة ، وللنجوم الزهر مفاخرة ، الى الطرف ، وطيب العرف ؛ خبا بوفاته [٢] الكوكب الوقاد ، وألقى الى الضا ّلة[٣] المهملة المقاد ، واستولى من بعد اليقظة الرقاد، واستعجل

* من أهل المرية ؛ له في الاحاطة ١ : ٢٤٧ – ٢٦٧ (١ : ١١٤) ترجمة ومختارات من شعره ونثره . وهو مؤلف كتاب « مزية المرية » وله ديوان شعر ، وفي خزانة الرباط نسخة منه. وقد ترجم له ابن الخطيب ايضاً في التاج . وانظر نيل الابتهـــاج : ٥١ (ط.فاس) ومسالك الأبصار ١١ : ٥٠٢

١ – هو سيبويه .

٢ – توفي ابن خاتمة سنة ٧٧٠ هـ . ٣ – ك : الضلالة .

النقاد ؛ فمن غرامياته قوله [1] :

مَنْ لم يشاهدْ موقفاً لفراقِ لم يدرِ كيف تولّهُ العشّاقِ
إن كنتَ لم تره فسائلْ من رأى يخبركَ عن وَلَهي وهولِ سياقي
من حرّ أنفاسٍ ، وخفقِ جوانحٍ وصدوعِ أكبادٍ ، وفيضِ مآقي
دهِيَ الفؤادُ فلا لسانٌ ناطقٌ عنــد الوداع ولا يدٌ متراق
ولقد اشيرُ لمن تكلفَ رحلة أنْ عجْ[2] عليّ ولو بقدرِ فُواق
علّي أُراجعُ من ذماي حشاشةً اشكو بها بعض الذي انا لاق
فمضى ولم تعطفْهُ نحوي ذمةٌ هيهـــات لا يثني على مشتاق
يا صاحبيّ وقد مضى حكم الهوى روحــاً عليّ بشيمةِ الاشفاقِ
واستقبلاها نسمةً من ارضكم[3] فلعلّ نفحتهـا تحـــلُّ وثاقي
اني ليشفيني النسيمُ اذا سرى متضوّعاً من تلكم الآفــاق
من مبلغٌ بالجزع أهلَ مودتي اني على حكمِ الصبـــابة باق
(٨٢آ) ولئن تحوّل عهدُ قربهمُ نوىً ما حُلتُ عن عهدي ولا ميثاقي
أنفت[4] خلائقي الكرامُ لخلقي نسباً الى الإخلال والإخلاق
قسماً به ما استغرقتني فكرةٌ الا وفكري فيه واستغراقي
لي أنـةٌ عنـــد العشيِّ لعله يُصغي لها وكذا مع الإشراق
ابكي اذا هبّ النسيم فان تجدْ بللاً به فبـــدمعيَ المُهراق
أُومي بتسليمٍ اليـه مع الصبا فالذكرُ كتبي والرفــاقُ رفاقي
من لي على شحطِ المزارِ بنازحٍ أدنى لقلبي من جوى اشواقي

---

١ ـ القصيدة في الاحاطة ١ : ٢٥٢
٢ ـ سقطت من ج ، وفي أصل ك : رفقاً .
٣ ـ خ بهامش ك : أرضهم .
٤ ـ ك : أبقت .

إن غاب عن عيني فمثواهُ الحشا وسراه[1] بين القلبِ والأحداق
جارتْ عليَّ يدُ النوى بفراقهِ آهاً لما جنتِ النّوى بفراق
أحبابَ قلبي هل لماضي عيشنا ردٌّ فينسخَ بُعدُكم بتـلاق
أم هـل لأثوابِ التجلد راقعٌ اذ ليس من داءِ المحبـة راق
ماغاب كوكبُ حسنكم عنناظري الا وأمطرتِ الدمـا آماقي
ايهٍ أُخيَّ أدِرْ عليَّ حديثهم كأساً ذكتْ عرفاً وطيبَ مذاق
واذا جنحتَ لماءٍ أو طرب فَمِنْ دمعي الهموعِ وقلبي الخفـاق
ذكراهُ راحي ،والصبابةُ حضرتي والدمعُ ساقيتي ، وانت الساقي
فليسلُ عني مَـنْ لحاني إنني راضٍ بمـا لاقيتـه وألاقي

ومن ذلك[2] :

وقفتُ والبينقد زُمّت[3] ركائبهُ وللنفوسِ مع الانفاس[3] تقطيع
وقـد تمايلَ نحوي للوداع وهـل
لراحلِ القلبِ صَدْرَ الركبِ توديع
أضمُّ منه كما أهوى لغـير نوىً
ريحانةٌ في شذاها الطيبُ مجموع
تهفو فأذعرُ خوفـاً من تقصفها
انَ الشفيقَ بسوءِ الظن مولوع
(٨٢ب) هل عند مَنْ قد دعا[5] بالبين مغلبة
أنّ الردى منـه مرئيٌ ومسموع

١ ـ ج : فسراه .
٢ ـ القصيدة في الاحاطة ١ : ٢٥٤
٣ ـ في أصل ك : زفت .
٤ ـ الاحاطة : الايام .
٥ ـ د : مقلته .

أُشيّعُ القلبَ من رغمٍ عليَّ وما بقـاءُ جسمٍ له. للقلب تشييع
أري وشاتيَ أني لستُ مكترثاً لما جرى وصميمُ القلب مصدوع
الوجدُ طبعي وسلواني مصانعةٌ هيهات يُشكِلُ مطبوعٌ ومصنوع
« ان الجديدَ اذا ما زيد في خَلَقٍ تَبَيّنَ الناسُ ان الثوب مرقوع »

ومن روضياته قوله في مرهف الروض :

الارضُ بـين مدّبجٍ ومجللٍ والروضُ بين مُتوجٍ ومكللِ
والزهرُ بين موّردٍ وموّرسٍ والنهرُ بين ممسَّكٍ ومُصنْدل
والماءُ قد صقل النسيمُ فرندَهُ فتوشحتْ منه الرياضُ بمُنصل
لُويَتْ مذانبُهُ على أدواحهـا فاختلنَ بين مُمنْطق ومخلخَل
ما ذاك سجعُ نسيمها في ظلها لكنه وسواسُ هاتيك الحُلي
أهلاً بأيامِ الربيـعِ وطلّها[1] أُنسُ الخليـعِ وبهجةُ المتبتّـل
زمنٌ ارقّ من الودادِ شمائلاً وارقُّ من عصرِ الشباب الأول
تذكي بلابله البلابلَ لوعـــةً ولربّ بلبـــالٍ يَهيجُ لبلبل
أعجِبْ به من مهرجانٍ باسمٍ بين البسيطةِ والحيـــا المتهلل
حشد الربيـعُ له جنودَ جماله واتى بجافلِ جنده في جحفل
فالطيرُ تشدو ، والغدير مصفقٌ والقضبُ ترقص،والازاهرُ تنجلي
وعرائسُ الاشجار تُجلى في حلىً خضرٍ ولا وجهُ العروس اذا جلي
ما إن ترى عُرساً بأجملَ منه في عينِ الشجي إنغاب عن عينالخلي
فاعطفْ على وجه الزمانِ وحيّه وانظرْ الى حُسنِ الربيـع المقبل
وأَجِلْ لحاَظك فيصفاحِ[2] كتابه حتى تَبَيّنَ واضحاً من مُشكل

---

١ ـــ خ بهامش ك : وطيبها .
٢ ـــ د : صحاف .

(٨٣آ) وإنِ اعتراكَ عشىً لنـّيرِ نورِهِ
فاعـــدِلْ لِلإثمدِ ظلـّــه فتكحل

مَنْ لم يشاهدْ موقعَ الحسن الخفي — منْ منظرٍ لم يدرِ ما الحسنُ الجلي
فالحسنُ ماوضحت شواهدُ فضلِهِ — للمجتني كوضوحهـــا للمجتلي
ولربَّ وردةِ دوحةٍ حيَّتْ بها — جاماً تلـّهب نوره في أنمـــل
يندى على جنباته قطرُ الندى — فاعجبْ له ماءً وناراً قد ملي
ما فتـّحَ الزهرُ الجنيُّ ثغورَهُ — الا ليرشفَ طيبَ ذاك السلسل
كلا ولا خمدت عيونُ نهاره — الا لِغَيرْتها عليه او قـــل [١]
هذي البلابلُ قد سجعنَ لشربه — تشدو وتنشدُ في الثقيل الأول
ايهٍ مُطـرِّبةَ الخليّ بعثتِ لي — أسفَ الشجيِّ ردي عليّ وبدلي
ما عذرها والوردُ موردُ عشقها — ان لم تَغَنَّ بحسنها وتَغزل
فالوردُ قد فتح الحيا في خدّه — ورداً سبا وردَ الحياء المخجل
عجباً وحتى الحسنُ يعشق بعضُهُ — بعضاً لقد أزرى الهوى بالعذّل
لطفٌ من الاحسان اعجزتِ الورى — اوصافُها، سبحانَ مبدِعها العلي

ومن المقطوعات قوله [٢] :

زارتْ على حذرٍ من الرُّقباء — والليــلُ ملتفٌّ بفضلِ رداءِ
تصلُ الدجى بسوادِ فرعٍ [٣] فاحمٍ — لتزيدَ ظلمـاءً الى ظلمــــاء
فوشى بها من وجهها وحليهـا — بدرُ الدجى وكواكبُ الجوزاء
أهلاً بزائرةٍ على خطر السُّرى — ما كنتُ أرجوها ليومِ لقـــاء

١ ــ او قل : بياض في ج د وكتب فوقها في ك : كذا .
٢ ــ الاحاطة ١ : ٢٥٧
٣ ــ خ بهامش ك : ليل

اقسمتُ لولا عفةٌ عذريّةٌ وتقىً علىٌّ له رقيبٌ رائي
لنقعتُ غُلّةَ لوعتي برضابها ونضحتُ وردَ خدودها ببكاء

ومن المقطوعات قوله [1] :

(٨٣ب) خطّ السنا ذهباً في اللازورديّ
فالأفقُ ما بين مرقومٍ وموشيّ
كأنما الشهبُ والاصباح ينهبها دراهمٌ سقطتْ من كفّ زنجي

وكتب الي [2] عند انصرافه من غرناطة في بعض قدماته عليها ما نصه :

« مما قلته بديهة حين الاشراف على جنابكم السعيد ودخوله مع النفر الذين اتحفتهم سيادتك بالاشراف عليه والدخول اليه وان كان يوماً قد غابت شمسه ، ولم يتفق ان كمل أنسه ، وأنشدته بعض من حضر ولعله لم يبلغكم وان كان قد بلغ ففضلكم يحملني على اعادة الحديث :

أقولُ وعينُ الدمع نصبَ عيوننا ولاح لبستانِ الوزارة جانبُ
اهذي سماءٌ ام فناءٌ سما به
كواكبُ غضتْ عن سناها الكواكب
تناظرتِ الاشكال منه تقابلاً على السعدِ وُسطى عِقدهِ والجنائب
وقد جرتِ الامواهُ فيه مجرةً مذانبُها شهبٌ لهنّ ذوائب
وأشرفَ من اعلاه فهو تَحُفُّهُ شماسُ زجاجٍ وشيُها متناسب
يطلُّ على ماءٍ به الآسُ دائراً كما افترَّ ثغرٌ او كما اخضرَّ شارب

---

١ ـ الاحاطة ١ : ٢٥٨ .
٢ ـ النص حتى آخر الترجمة في الاحاطة ١ : ٢٥٩

هنالك ما شاء العلا من جلالةٍ   بها يَزدهي بستانُهـا والمراتب

ولما أحضر الطعامُ هنالك دعي شيخنا ابو البركات فاعتذر بأنه صائم بَيَّته من الليل ، فحضرني ان قلت :

دعونا الخطيبَ ابا البركاتِ   لأكل طعامِ الوزير الأجـلْ
وقد ضمَّنا في نداه جنانٌ   به احتفلَ الحسنُ فيما أحتفل
فأعرض عنا بعـذر الصيامِ   وما كلّ عذرٍ لـه مستقل
فان الجنانَ محـلُّ الجزاءِ   وليس الجنانُ محـلَّ العمل

(٨٤ آ) [١] وعندما فرغنا من الطعام انشدته الابيات فقال لي : لو انشدتنيها وانتم لم تفرغوا من الطعام لأكلت براً بهذه الابيات ، والحوالة على الله تعالى ؛ رحمة الله على الجميع [١] .

٨٤ – الشيخ الكاتب ابو عبد الله محمد بن محمد ابن حسان الغافقي ، رحمه الله تعالى :

مفراخ أطيار القوافي ، ومعيرها قصب القوادم والخوافي ، ومجـود آيات البيان مسندة الاتقان الى الكافي ، وان عدم المجيز والمـكافي ، لم يضيّق الطبع على قريحته ولا حجر ، فكلما ضـرب بعصا يراعته الحجر ، انبجس وانفجر ، الا ان ممارسة هذه الميـادين أوهت قوى

---

١ ــ هذه العبارة سقطت من ج .

جلادته ، ورحم الاجادة اخلقتها كثرة ولادته ، وكان ممن جمع بين البديهة والاصابة ، وبرز في الخط بين العصابة ، فأصبح فرداً بين اترابه ، وفذا في اغرابه ، وله آداب عذبة الشمائل ، سائمة بزهر الرياض وظلال الخمائل . كتب بباب السلطان جواداً سابقاً ، وَطَبَقاً لشنٍّ تلك الشئون مطابقا ، الى ان اخلقت الجدة ، وانتهت [1] للايام العدة ، فانقاد للحمام المواقع الهجوم ، وغرب غروب النجوم . ومن شعره وكثيرُهُ مطوّل ، وللاجادة مخول ، فمن ذلك ما خاطبني به في شأن بنت ماتت لي :

يا من له شيمٌ رقَّتْ نواسمها ... هي المواهبُ والرحمنُ قاسمها
حازتْ بفضلك اسنى الحظِ اندلسٌ ... فأنت قطبُ معاليها وعالمها
ان الوزارةَ من علياك رافلةٌ ... في حُلةٍ قد أجاد الوشيَ راقمها
وللكتابةِ فخرٌ اذ ترسلها ... فأنت ناثرُها الأعلى وناظمها
كأن لفظك في القرطاس زهرُ ربىً ... بكى بها القطرُ فافتـرتْ مباسمها
(٨٤ب) سَمتْ بطورك فوق الشهب منزلةً ... فوق المنازلِ ربُّ العرشِ عاصمها
نفسٌ شريفة اعمالٍ مجوهرة[2] ... للعلو صاعدةٌ ، والقدسُ عالمها
إني لجدك بالتقصيرِ معترفٌ ... على الفروض التي تُرعى لوازمها
فافسحْ مجالَ اعترافي حين اشرُحهُ ... لك السجايا التي تسمو مكارمها
وعن مغيبيَ لما صنتَ جوهرة ... من اللآليءِ بطنُ الارضِ كاتمها
فما علمت بميقاتٍ حضرتَ به ... ورحمةُ الله قد سحَّتْ غمائمها

---

١ ـ د : وانتهب .
٢ ـ في أصل ك : فجوهرة .

فليتني كنتُ للابصار مرتقباً　مع الوفودِ التي راقتْ أزاحمها
يا سيدي والذي اعددته سَنداً　من الخطوب التي صالتْ صوارمها
رجعتَ للصبرِ تبغي الاجر محتسباً　في جنة يجلبُ الافراحَ دائمها
علماً باوصافِ ذي الدنيا وغايتها　يرى خيالاً بها في النوم حالمها
ولتبق للمجد في علياءَ شامخةٍ　مامالتِ القضبُ او حَنَّت حمائمها

ومما خاطبني به :

برقٌ أضاء بحاجرٍ ما يهدأُ　وَسَناهُ في جُنْحِ الدجى يتلألأُ
فرعيتُه حتى الصباحِ بمقلةٍ　تهمي ونارُ جوانحي لا تُطفأُ
وسرتْ نواسمُ روضِ نجدٍ سُحْرَةً
فوشتْ بطيبٍ كان فيه يُخبأُ
فبدتْ عليَّ شمائلٌ عذريةٌ　والصبُّ يلحظه الرقيبُ ويكلأُ
فأطال في شأنِ الملامة عذّلي　أني حننتُ لحيثُ كان المنشأُ
فهواي شوقاً يستمدُّ مدامعي　والوجدُ يكتبُ والصبابةُ تقرأُ
قالوا وقد طلع المشيب بمفرقي :　إني سلوتُ ونجمه ليَ اضوأُ
هو عنفوانُ تذكري لمعاهدِ الاحبابِ في زمنٍ مضى ، والمبدأُ
لا تعجبوا بعد الخمودِ لفطنتي　أنْ نبهتها فكرةٌ لا تصدأُ
(٨٥آ) ان المدَّ لها الوزيرُ بعلمه　فهو المعيدُ النظمِ او ما يُنشأُ
حوضٌ لما يشكو الظماءَ مسلسلٌ　روضٌ ندٍ وظلاله تتفيأُ
بحرٌ ترى العلماءَ من أنهاره　نقصوا اذا دانوه وهو مملأُ
يرمي بمرجانٍ ودرٍ فاخرٍ　والريّ فيه لذي غليلٍ يظمأُ
راض الصعابَ وقد تبادر في العلا　فله بأعلى ذروةٍ مُتَبَوَّأُ

فاضتْ عليه من المواهبِ حكمةٌ هو لانطباعِ جمالها يتهيّأ
فيها الوجودُ لكلّ مرتسمٍ فَمَنْ ذاق المشاربَ بالسّعود يُهنّأ
مَنْ كالإمامِ ابنِ الخطيب معارضاً الا السميُّ له الذي لا يشنأ
القى الالهُ له المحبةَ في الورى فالكلُّ يختمُ بالثناء ويبدأ
لا زال يرفلُ في ملابسِ رفعةٍ وحسودُهُ بالنائباتِ مرزّأ

ومما انشدنيه وكان يتكرر لقائي اياه ببعض الطرق قوله :

اذا عنّتِ اللقيا على ظمأٍ لها ورامَ فؤادي ان يُزيلَ غليلا
تَعَرّضَ حرُّ الشمسِ عند هجيرهِ لأهجُرَ شمساً لا تغيبُ أفولا
ولو سمحتْ تلك المزايا بوقفةٍ نشقتُ بها عَرْفَ النسيمِ عليلا
واقطفني برُّ الوزيرِ خميلةً وأتحفني ظلَّ القبول ظليلا
تسوغتُ طيبَ العيشِ أعذبَ موردٍ ولقيت منه روضة ومقيلا

ومن اخوانياته البديعة قوله :

بديع نظمك أضحى روض إيناس أهدتْ طباعُك منه طيبَ أنفاسِ
اذا كمائمُ ألفاظٍ له ابتسمتْ زهدتُ في النرجسِ المطلولِ والآس
وما أُبالي اذا شعشعتُ قافيةً إنْ لم انازعْ نديمي الخمرَ في الكاس
فلتسقني[1] منه دنّاً لا تُدرْ قدحاً حتى أُغيَّبَ عن عقلي واحساسي
(٨٥ب) عجبت من ذهنك الوقادِ كيف سَمتْ بوابلِ الطبع منه نارُ نبراس
ان كنتَ في خلوةٍ فهو الانيس بها وذكرُهُ دَيْدَني ما بينَ جُلاسي
ما وشيُ صنعاءَ الا ما تحبّره منكَ اليراعُ بحبرٍ فوق قرطاس
ولا الفوائدُ الا ما تنظمه تلك القريحةُ في أجياد أطراس
ايهٍ اعذه وعللني بزورته انا السقيمُ وانت الُممْرضُ الآسي

---

١ - ج : فسقني .

ان كان سحراً فأسمعني غرائبَهُ   هو الحلالُ فلا تحذرْ من الباسِ
اني بعثتُ بشعرٍ كالنسيم سرى   لعلّ رؤيتَه تُعديكَ يا ناسي
وان هززتَ له عطفاً فلا عجبٌ   من الصبا رنّحتْ أعطافَ مياس
فعُدْ لشيمتك الاولى التي حسُنَتْ
ايامَ كنتَ لعهدي لستَ بالناسي
اما الشبابُ فقد ولّى لطيته   يا حسرتي لم يدعْ لي غيرَ وسواس
كلفتُ بالزهر لما افترّ وَسْطَ ربىً   وعفتهُ ضاحكاً بالفَوْدِ والراس

* * *

وكلّ من ذكر إلى هذا الحد من المشايخ او الاتراب ، قد تسابقوا تسابق العراب الى التراب ، فيا ويح من اغتر بلمح السراب ، وولد للموت وبنى للخراب ، ومن يجري ذكره بعد هذا فهم بقيد الحياة لتمام جمادى الآخرة [1] عام اربعة وسبعين وسبعمائة ، جمعنا الله تعالى في مستقر رحمته ، بفضله ومنته .

١ ــ في النسخ : الاخيرة .

٨٥ - الشيخ الخطيب القاضي الرئيس أبو القاسم محمد بن يحيى بن محمد الغسّاني البَرجي * ، امتع الله ببقائه ؛

غلاب الهوى الذي لا يغلب ، وخدن العافية التي تُسأل من الله تعالى وتُطلب ، والمثل في رفض الضراع [1] ، والحذر من الاختراع ؛ لو سلطت المناخل على حبة قلبه لم تلف دخيلا ، ولو ضايقته الايام في انتشاق الهواء (٨٦ آ) ما كان بتركه بخيلا ؛ تجذب الدول بذيله ، فلا تستطيع الظفر بميله ، وتراسله في يومه وليله ، فتزيد ثرياها بعداً من سهيله ، فلولا المسالمة والسداد ، لجف من مباراتها المداد ، وخربت الاسداد ، وكان الفراق والاعتداد ، سجية من تحقق ، واعمل فكره في ذاته ودقق وأشفق ، لما علم من اين انفق ، وميز الاوهام ، وتعرف الالهام ؛ شكا بمحضر السلطان ببثه ، وتلكئه عند حثه ، فعلمت مرمى سهمه ، ومنتهى همه ، ووجهة مَأمّه ، من فاضل كلف به الاختصار ، وتنافست في خلاله السنية الاسماع والابصار ، وخلت عن وجود مثله الامصار ، وان قصرت الدنيا اعجبه الاقصار ، وان جنت عليه عدم الاستعداء

---

* ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة ٢ : ٢١٥ وقال : فاضل مجمع على فضله صالح الأ ورة طاهر النشأة ممتع المجلس حسن الخط والشعر والكتابة . . . رحل للعدوة فاشتمل عليه السلطان الكبير أبو عنان . . . ثم تولى قضاء فاس . وذكره ابن خلدون في التعريف : ٦٤ والسراج في فهرسته . توفي سنة ٧٨٦ (انظر نيل الابتهاج : ١٧٢ ، ط . فاس) والبرجي نسبة الى برجة (Berja) من اقليم المرية ، بفتح الباء .

١ ـ خ : بهامش ك : الصداع .

والاستنصار [١] ، مع البشر والقبول ، والفضل المجبول ، والظرف الآمن روضُهُ من الذبول ، توجه الى البلاد رسولا ، فهذبت منه اريا معسولا ، وبلغ من الحج والزيارة سولا ، ثم اعمل قفولا ، مكنوفاً بالرعي مكفولا ، وهو الآن خطيب مقرّ الملك وقاضيه ، قد سلم له فيما يقضيه ، وخالف طبع الانقباض الذي يقتضيه ، مولياً وجهة التفويض ، الى مقام التقويض ، وملقياً مقادة الحليم ، الى مقام التسليم ، وقد ولي خطة العلامة [٢] فكأنما قبض من ذلك الامر على الجمر ، الى ان نضا ذلك الثوب ، وورع فلم يقبل الأوب ، ولا رضى الشوب ؛ والادب نقطة من حياضه ، وزهرة من ازهار [٣] رياضه ، اما خطبه فكرامة تكرم [٤] ان تلتبس ، يزهر بها جذع منبره بعدما يبس ، وأما شعره فسواه عبدٌ لحرّه ، ولا عيب فيه إلا بخلُ بحرٍ بدره ، فمن ذلك قوله [٥] :

نهاهُ النُّهى بعدَ طولِ التجاربْ ولاح له منهجُ الرشد لاحبْ
(٨٦ب) وخاطبه دهرُهُ ناصحاً بألسنةِ الوعظِ من كلِّ جانب
فأضحى الى نصحه واعياً وألغى حديثَ الأماني الكواذب
وأصبح لا تشتهيه الغواني ولا تزدريه حظوظ المناصب

وخاطبني شافعاً لبعض الفضلاء :

أيا سابقاً في مجال البراعهْ وفارسَ ميدانِ أهل اليراعهْ

---

١ ـ د : والانتصار .
٢ ـ انظر التعريف بهذه الخطة في التعليق على الترجمة رقم : ٨٦ .
٣ ـ ج : أزاهر .
٤ ـ تكرم : سقطت من د
٥ ـ الابيات في الاحاطة ٢ : ٢٢١

ومن بَدْرُهُ في سمـــاءِ المعالي يَزِينُ بوصفِ الكمال ارتفاعه
فما لك في الفضلِ من حجة ومن إمرةٍ في ذويه مطاعه
قضاؤُك في معسرٍ حلَّ دَيْنٌ عليه فأرْجاؤُهُ قـــد اضاعه
وقد كان يبغي اليكم شفيعاً يُوَسِّطُ عندكمُ في شفاعـــه
على انـــه في اقتضاءِ الوداد يوفي موازينـــه او صُواعه
ومـــا هو في سوقِ تقريظكم ونشرِ حلاكم مزّجى[1] البضاعه

ومما أنشد السلطانَ في ليلة الميلاد[2] من شعره بمحضري عام احدى وسبعمائة[3] :

أصغى الى الوجدِ لما جدَّ عاتبُهُ صبٌّ له شُغُلٌ عمَّنْ يُعاتِبُهُ
لم يعطِ للصبرِ من بعد الفراق يداً فضلٌ من ظلَّ إرشاداً يخاطبه
لو لا النوى لم يبتْ حرّان مكتئباً يغالبُ الوجدَ كتماً وهو غالبه
يُوادِعُ[4] الليلَ أسرارَ الغرامِ وما تمليه أشجانُهُ فالدمعُ كاتبــه
لله عصرٌ بشرقيّ الحمى سمحتْ بالوصلِ أوقاتُهُ لو دام ذاهبه
يا جيرةً أودعوا من ودَّعوا حرقاً يَصْلى بها من صميمِ القلب نائبه
يا هل ترى تُرْجِـعُ الأيام ألفتنا كعهدنا ويردّ القلبَ سالبه (٤)
ويا أُهيْلَ ودادي والنوى قَذَفٌ والقربُ قد أبهمت دوني مذاهبه
[هل ناقض العهد بعد البعد حافظه وصادع الشمل يوم الشعب شاعبه]

---

١ ــ خ بهامش ك : بمزجي .
٢ ــ يعني ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم .
٣ ــ القصيدة في الاحاطة ٢ : ٢١٦ .
٤ ــ كذا في جميع النسخ وفوقها علامة خطأ في د ، وفي الاحاطة : يستودع .
٥ ــ سقط البيت من د .

(٢٨٧آ) يا من لقلبٍ مع الأهواءِ منعطف	في كلِّ أَوْبٍ له شوقٌ يجاذبه
يسمو الى طلبِ الباقي بهمته	والنفس بالميل للفاني تطالبه
وفتنـةُ المرء بالمألوفِ معضلةٌ	والأنسُ بالألفِ نحو الألف جاذبه
أبكي لعهد الصبا والشيبُ يضحكُ لي	يا للرِّجالِ سبت لبي ملاعبه
ولن ترى كالهوى أبكاه سالفـُهُ	ولا كوعد المنى أحلاه كاذبه
وهمةُ المرءِ تُغْليه وَتُرْخِصُهُ	مَنْ عزَّ نفساً لقد عزَّت مطالبه
ما هان كسبُ المعالي او تناولها	بل هان في ذاك ما يلقاهُ طالبه
لولا سُرى الفَلَكِ السامي لما ظَهَرتْ	آثارُهُ ولمـا لاحتْ كواكبه
في ذمّةِ الله رَكبٌ للعلا ركبوا	ظَهرَ السُّرى فاجابتهمْ نجائبه
يرمون عرضَ الفلا بالسير عن عُرُضٍ	طيَّ السجلِّ اذا ما جدَّ كاتبه
كأنهم في سوادِ الليل سرُّ هوىً	لولا الضرامُ لأخفتهم جوانبه
شدّوا على لهبِ الرمضاء وطأتهمْ	فغاصَ في لُجة الظلماءِ راسبه
وكلفوا الليلَ من طول السرى شططاً	فخلـّفوه وقـد شابتْ ذوائبـه
حتى اذا ابصروا الاعلامَ ماثلةً	بجانبِ الحرم المحميِّ جانبـه
بحيث يأمنُ مِنْ مولاهُ خائفُهُ	مِنْ ذنبه وينال القصدَ راغبه
فيها وفي طيبةَ الغراءِ لي أَمَلٌ	يصاحبُ القلبَ منه ما يصاحبه
ما أنسَ لا أنسَ أياماً بظلهما	سقى ثراه عميمُ الغيثِ ساكبه
ان ردَّها الدهرُ يوماً بعد ماعبثت	في الشملِ منّا يداهُ لا نعاتبه
معاهدٌ شرُفتْ بالمصطفى فلها	من أجله شَرَفٌ تعلو مراتبه
محمدُ المجتبى الحادي الشفيعُ الى	ربِّ العبادِ امينُ الوحي عاقبُه
أوفى الورى ذمماً ، أسماهم همماً	اعلاهم كرماً ، جلّت مناقبه

(٨٧ب)هو المكمَّلُ في خَلق وفي خُلقٍ زكتْ عُلاه كما طابتْ مناسبه

عنايةٌ قبل بدءِ الخلقِ سابقةٌ من أجله كان آتيه وذاهبه

وهي طويلةٌ ، اعزه الله تعالى وامتع به ، وأوصل السعادة بسببه ؛ آمين .

٨٦ – الشيخ الرئيس صاحب العلامة[1] ابو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخاري* :

العلم العلامة ، وصاحب الحلي[2] والعلامة ، اتته منقادة ، والقت في يده المقادة ، بعد ان صرفت عند خطبتها قادة ، فما بخس حظها ولا وكس ، ولم تكن تصلح الا له ومعاذ الله ان تنعكس ؛ مجموع الكمال الذي لا تطور « لولا » بساحته ، وركن المقام المريني الذي لا راحة للقلم الأعلى الا في لثم راحته ، وجو[3] الفنون الذي لا مطمع للحسبان في مساحته ، ولا الركبان في جوب ساحته ، الى خلق وخلق ، تنال كيمياء السعادة من وجهه بطلق ، سلم اجماع القول بفضله من الخلاف ،

---

١ – قال ابن خلدون : هي العلامة التي توضع عن السلطان أسفل المراسيم والمخاطبات ، وبعضها يضعه السلطان بخطه (التعريف : ٢٠) .

* ذكره السراج في فهرسته وعنه نقل صاحب نيل الابتهاج : ١٢٣ (ط فاس) ، وفي النفح ٩ : ٣٠١ رسالة من لسان الدين اليه . وقد ترجم له ابن خلدون في التعريف : ٤١ ترجمة مفصلة (وانظر ايضاً ص : ٢٠) وفيه « النجاري » بالنون وبالجيم .

٢ – خ بهامش ك : العلا .

٣ – ك ج : وجود .

وفعل ذكره في الاعطاف فعل السلاف ، وجلّ أن يعدل فرده بالآلاف ، ولا ان يهدد فقده - ولا كان - بالاستخلاف ؛ رحل عن بلده والصون يلحفه ، والكون يطرف به الوجود ويتحفه ، وسماسرة الحظ المجلوب للمشتري الكفيل بالسعد المطلوب تصفه ، واستقر من الملك المريني مستقر البرهمانية من التاج ، والغنى من كف المحتاج ، واتصفت مقدماته بالانتاج ، والقت السعادة عصاها واستقرت ، وارتفع النزاع لما اعترفت بوجوب حقه الايام وأقرت ، فهو اليوم من المجلس صدره ، ومن الافق بدره ، ومن الامر لسانه ، ومن الدهر احسانه ؛ علم لا يخفى في الارض ولا يلتبس ، ومشكاة فيها مصباح والخلق يقتبس ؛ واما خصاله فحقها (٨٨ آ) ان تستر ما امكن وتبرقع ، وتعوّذ من عين عطارد كي لا تلقع [١] ، خطاً مقروناً بالنصر والعتب ، مخلوقاً للمعجز المكتتب ، ونظماً علا الرتب ، كأنه اذا جلاه ، وعلى الكرام الكاتبين املاه ، غائص ينتاب وطبا ، ويخرج منه لؤلؤاً رطباً . نقسم بالله قسم من فرغ من تكليف الكلفة ، وابتغى الوسيلة والزلفة ، ما نعرف نظيراً لفرده ، ولا نرجساً مقارباً لورده [١] ، امتع الله حسام الملك من يراعه اللدن بشقيقه ، يخطب له الحظ باختياره وتحقيقه ، ثم يكتب له عقد [٣] رقيقه ، ونجلب من فنون آدابه ما تحسده أزهار الافنان ، ويُجعلُ خواتم في البنان ، فمن ذلك - ولنتخطّ المطولات الشهيرة ، الشائعة شياع الشمس وقت الظهيرة - : كتبت له من الاندلس وقد راب السلطانَ

---

١ - تلقع : تصاب بالعين .
٢ - ج : ولا مزحما مقارفا لورده .
٣ - خ بهامش ك : عذر .

بها اختصارٌ في التخطيط الذي تتضمنه [1] الكتب الواردة من سلطانه ابحث على السبب ، الذي نقل من الوافر إلى الخفيف [2] ، وربما كانت الضمائر فاسدة ، وسوق ما بينهما في البر كاسدة ، هذه الأبيات :

أيا قاسماً لا زلت للفضل قاسماً بميزانِ عدلٍ ينصرُ الحقَّ مَنْ نصرْ
مدادُكَ وهو المسكُ طيباً ومنظراً وإلا سوادُ الفوْدِ والقلبِ والبصر
عهدناهُ في كلِّ المعارف مطنباً فما بالُهُ في حَوْمةِ الودِّ مختصر
أظنك من ليلِ الوصالِ انتخبتَهُ
إلينا وذاك الليـــلُ يوصفُ بالقصر
أردنا بكَ العذرَ الذي أنت أهْلُهُ فمثلك لا يُرمى بعيٍّ ولا حصر

فراجعني عن ذلك بما نصه :

حقيقٌ ابا عبدِ الاله لك الذي لمذهبه في البر يتضحُ الأثرْ
وان الذي نبهتَ منيَ لم يكنْ نئوماً وحاشا الودَّ ان أغمطَ الاثر
(٨٨ب) ورب اختصارٍ لم يشنْ نظمَ ناظمٍ
وربّ اقتضابٍ لم يعبْ نثرَ من نثر
وعــذرك عني من محاسنك التي نظامُ حلاها في المادحِ ما انتثر[3]
ومن عرف الوصفَ المناسب مُنصفاً
تَراءَى له نهجٌ من العذر ما اندثر
ونظم ليكتب على دواة للسلطانِ موشيةٍ بالذهب :

---

١ ــ خ بهامش ك : تضمنته .
٢ ــ خ بهامش ك : الخبب .
٣ ــ سقط البيت من ج .

لبستُ محاسنَ الوشي البديع وفقتُ بمنظري زهرَ الربيعِ
وساعدتِ السعودُ صنيعَ شكلي فتمَّ لهــا به حسنُ الصنيع
وعزَّ مكان تشريفي بملــكٍ يقربـني لمجلسهِ الرفيــع
عمادُ الملك ابراهــيمُ مولى ملوكِ الارضِ ملتجأ المروع
تجمع فيــه اشتاتُ المعالي فأضحى المجدُ في شملٍ جميع
أدامَ له الالهُ عزيزَ نصرٍ واسكنه حمى الحفظ المنيع

ونظم لينقش للسلطان على قلمٍ من الفضة ، فقال :

أجلْ قــلمٌ سَعْدُهُ ثابتٌ يريكَ العجائبَ من وَصْفِهِ
ويبدي من الوشي في طرسه مشابِهَ وشــيٍ على عطفه

وانشد السلطان ارتجالاً يصف صيداً :

أيامُ دهرك لم يكنْ لينالَـها مَلِكٌ ولا أبدى الزمانُ مثالَـها
فمحاسنُ الأمصار والأعصار قد جَمَعَتْ لديك جميلَها وجمالها
وجديدُ سعدك أيها الملكُ الرضيْ أبداً يقربُ من يديك منالها
ولربَّ يومٍ في حماكَ شهدتُـهُ والسرُح ناشرةٌ عليك ظلالها
حيثُ الغديرُ يريكَ من صفحاته درعاً تجيدُ يدُ الرياح صِقَالها
والمنشآتُ به تـديرُ حبائلاً للصيد في حِيَلٍ[1] تدورُ حيالها
وتريكَ اذ يُلقي بهـا اليم الذي اخفت جوانحه وغاب خلالهـا
(٨٩ آ) فحسبتُها زرداً وأنَّ عواليا تركتْ بها عندَ الطعان نصالها

وكتب معتذراً لبعض من وجب حقّه وقد عتب من اجـل إغباب الزيارة قوله :

---

١ ـــ دج : ميل .

برئتُ الى العلياءِ مِنْ ظَنٍّ مالكي		وان كنتُ لم اسلك سديدَ المسالك
حلفتْ بما أَوْلَتْ يمينُك مِن ندى		يمينَ صدوقٍ ليس [1] فيها بآفك
لما جَنَحتْ مني الخواطرُ للتي		تشينُ بها الساداتُ خلقَ الممالك
سوى أنني من خجلةٍ ظلتُ قاصراً		خطايَ وما كان الحياءُ بتاركي
فهذا ولا ردٌّ على كهفيَ الذي		سما قدره فوق النجومِ الشوابك
واغضاؤُهُ المأمولُ في كلّ حالةٍ		فلا زلتُ ألقى عنده سنَّ ضاحك

وقال في سفينة وضمَّنَ المثل :

يا ربَّ مُنْشأةٍ عجبتُ لشأنها		وقداحتوتْ فيالبحرِ اعجبَ شانِ
سكنتْ بجنبيها عصابةُ شدة		حلّتْ محلَّ الروح في الجثمان
فتحركتْ بارادةٍ مــعَ أنها		في جنسها ليستْ من الحيوان
وَجرَتْ كما قد شاءَهُ سُكّانُها		فعلمتُ أنَّ السرَّ في السكان

ومن الابيات المستظرفة في التضمين :

وذي خُدَعٍ دَعوْهُ لاشتغالٍ		وما عرفوه غثّاً مــن سمينِ
فيظهر [2] زهده وغنى بمال		وجيشُ الحرصِ منه في كمين
واقسم لا قبلتُ يمينَ خبٍّ		فيا عجبــاً لحلاّفٍ مهين
يغر بيسره ويمينِ حَنْثٍ		ليأكلَ باليسار وباليمــين

وبلغني ذلك واتعبني مــن تنطبق عليه الابيات فقلت في معنــاه والفضل للمبتدي :

حلفتُ لهم بانك ذو يسارٍ		وذو ثقةٍ وبرٌ في اليمــين

---

١ ــ د : لست .

٢ ــ د ج : فأظهر .

(٨٩ب) ليستندوا اليك بحفظِ مالٍ فتــأكلَ باليسار وباليمــين

ومن شعره معارضاً لما روي في هذا الروي والمعنى ، عن اعلام من اهل الفضل والرواية :

أقولُ مَقـالاً ليس فيه مراغُ وفي الحقّ يُلقى للعقول بلاغ
نعيميَ في الدنيا فراغٌ وصحةٌ وحسبُك منها صحةٌ وفراغ
عليك خليلي بالقناعـةِ إنهـا غنىً وحلى عزٍّ عليها [1] يصاغ
ولا تكُ ذا حرصٍ فليس بسائقٍ لك الحرصُ رزقاً كان عنك يراغ
كفى تعباً للحرصِ أنّ حليفه مصاغ لاثواب الهوان مصاغ
الا انما الدنيا كخطفةِ بارقٍ لموحٍ ويلفى للحيـاةِ فـراغ
فسارعْ الى الخيراتِ تظفرْ بجنـةٍ بها الحورُ تجلى والرحيقُ يُساغ
وَدِنْ بالرضى تنعمْ بعيشكَ غبطةً
ويرضيـك منه مشـربٌ ومساغ
ورغْ من سجايا السخط فهي ذميمة
ومـا كان ذا ذم فعنــه يراغ
وكلٌّ بأمر الله يجري وحكمــه وما لك عن حــكم الإله مراغُ

ومن مقطوعاته ، وبمثلها يختم بحول الله تعالى :

تبرأتُ من حولي إليك وأيقنتْ برحماك آمـــالي أصحَّ يقين
فلا أرهبُ الأيامَ إذ كنتَ ملجأي وحسبي يقيني ، فاليقينُ يقيني

---

١ ــ اقرأها بخطف الألف .

٨٧ - الشيخ الرئيس ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الله ابن ابراهيم النميري* ، من التاج [١] :

نار على علم ، وبدر في ظلم ، ومتحف الاقاليم السبعة بجنى قلم ، كلف بعقائل الأدب وبدره لا يعرف الكلف ، وأحيا من آثار السلف ما سلف، ووجبت عليه اليمين انه الذخر الثمين فحلف ، ما شئت من لسان (٩٠آ) ثرثار ، وبحر نظام ونثار ، وجواد يقتحم كل نقع مثار ، غير مبال بعثار ، إلى خط وشارة ، وافصاح واشارة ، وابهة تقيد الطرف ، وتستعبد الظرف، وتستتبع الشذا والعرف ، رحل والشباب ضافي الاذيال ، والنشاط صافي الجريال ، والقد ميال العوال ، وشمس الحسن لم تلح بخط الزوال ، فظفر على النوى بالنوال ، وكتب عن الملوك وكتم ، وطبع وختم ، ثم قفل قفول اللواء الظافر ، بالغنم الوافر ، وطلع على جهته المغربية طلوع الصباح السافر ، واستلقى صريح[٢] اعتبار ، متحمل روايات واخبار ، وفجر المشيب قد

---

* ولد بغرناطة سنة ٧١٣ وارتسم في كتاب الانشاء سنة ٧٣٤ وله رحلة الى المشرق حج فيها ودون خبرها وقفل لافريقية وخدم بعض ملوكها وكتب ببجاية ثم خدم السلطان ابا الحسن . ومن بعده تنزه عن الخدمة وعكف على العبادة الا انه جبر على معاودة الخدمة عند أبي عنان ، فلما توفي أبو عنان لحق بالأندلس . له مؤلفات جمة منها « نزهة الحدق في ذكر الفرق » وكتاب في طرق المتصوفة . انظر ترجمته في الاحاطة ١ : ٣٥٠ (١ : ١٩٣) والنفح ٩ : ٣١٥ ، ٣ : ٢٨٧ ومسالك الأبصار ١١ : ٥١٣ ونيل الابتهاج : ١٤ (ط. فاس) ورحلة البلوي ، الورقة : ٢٠٩ والمنهل الصافي ١ : ٦٦ .

١ ــ نقل لسان الدين في الأحاطة ما ذكره في التاج المحلى وهو لا يوافق مــا ادرجه هنــا في ترجمة ابن الحاج .

٢ ــ خ بهامش ك : طريح .

فضح ليله ، فمال ميله ، واحتشد البياض رجله وخيله ، وهو يدافع بزنج[1] الخضاب سيله ،حتى نال منه نيله ، مهدت لقدومه فراش التجله ،ونظمته في سلك[2] القضاة الجلة ، وادبه طم ورم ، وحـــدث وهم[3] ، معمل التخير ، يرمي بالتحير ، لكثرة عيونه ، وغزارة عيونه ، وتعدد فنونه ، وتعاقب زهره وجونه ، فمن ذلك قصيدة بعث بها الى السلطان بالاندلس من البـلاد ، كريمة الميلاد ، متفننة بين الجدال والجلاد ، جامعة في المحاسن بين الطراف والتلاد ، اولها:

دعوا أَدمعي شوقاً للقيا كمُ تجري فانيَ في حبي لكمْ رابحُ التَّجرِ
وأهدوا لنا رَوْحَ العذيب وبارقٍ ولكنْ من الريقِ المعطرِ والثغر
ولا تبتغوا مني السلوَّ فانني سأسلو سلوَّ البانِ عن واكفِ القطر
وأتركُ تهيــامي بكمْ وصبابتي كما تركَ الحادي السُّرى ليلةَ النفر
وأنساكم لكنْ كما نسيَ الهوى على النأي قيسٌ وابن معمرٍ العذري
فياصاحبيْ نجوايَ من آلِ عامرٍ الا نادماني بالغرامِ مدى عمري
ويا مثقل الخدر الذي[4] قذفت به أمونٌ تباري الريحَ في البلدِ القفر
(٩٠ب) دعوتُـكَ فاحللْ بيتَ قلبيَ زائراً
بدعوةِ ابراهيمَ للبيتِ ذي الحجر
وبالسجفِ في الحيِّ الممنَّعِ غادةٌ يبيتُ بها نجمُ السماءِ على ذعر
منعّمةٌ لذَّ الشقاءُ بحبهـــا ولو أنها تبدي هجيراً من الهجر
ولو صدعتْ قلبي وحيّتْ بوجهها لقلتُ:صباحٌ دونه صَدْعَةُ الفجر

---

١ – ك : برمح .
٢ – خ بهامش ك : سمط
٣ – ك : وهرم ؛ وسقطت من ج .
٤ – جد : التي .

بوادي الغضا حلّت ولكن من الحشا
وشعب النقا لكن من السحر والنحر
وأسند وجدي من أحاديث حسنها غرائب لم تخطر ببال ولا فكر
فلم ترو يوماً عن نوم سوى الشذا ولم ترو يوماً عن ضعيف سوى الخصر
إذا لم أشاهد ربعها كلّ ليلة فانك يا انسان عيني لفي خسر
ومما أثار الوجد جيد أماني
بوسواس حلي مالك في الهوى أمري
وثغر ثناني الردّ عن لثم درّه كأن رقيبي قدّم الراء من درّ
نسيت ولا أنسى معاهد بالحمى يمثّلها فكري ويلزمها ذكري
اذا انتصبت دوحاتها خفضت بها
غصوناً قراها الغيث في الورق الخضر
وقد جرّها نفح الصبا بعد ربعها
كأنّ نسيمات الصّبا أحرف الجر
عجبت لنبت وسطها وهو باقل
يخيم[1] به قس عن النظم والنثر
وربّ رياض بالغوير تزيّنت
بنضر نبات غاص في مائها الغمر
رياض حكت لا في الشجون قتيلة
ولكن لها عينان تجري على النضر
وأخرى بذات الجزع طي[2] ظلالها
نعمت به يقظان في سنة العمر

---

١ – يخيم : سقطت من ج
٢ – طي : سقطت من ج

ولمّا تقضّى الليلُ الا أقله حبتنا بمعطارِ الشذا أرجِ النشر

كأن بروقَ الجـوّ نارٌ تلهبتْ

وما ارفضّ من جُنح الدجى عنبرُ الشحر

اذا ما التقى في نهرها ساكنان منْ

قضيبٍ ومن حصباءَ حرّكَ بالكسر

مجررةٌ ذيـل النسيم طروبةٌ

ولا طربَ الحادي بذي الأثل والسِّدر

(٩١آ) ترى الغيثَ فيها باكياً متحيراً

اذا ضاع من اكمامه مؤرج[1] الزهر

معانقة من قضبها كلّ أهيفٍ

ولا هَيَفَ الأعطافِ في الحلل الحمر

تكادُ لعمري فيه كلُّ حمامةٍ

تشبُّ عن الطوقِ ارتياحاً على الذكر

وكم ساعدتْها وهي بالشربِ بَرةٌ

وما بِرّها بالبدعِ كلا ولا النكر

بقطر الندى قطرُ الندى وَسْطها اقتدى

فما نام لما نام ذو الكاس والوتر

فمن عاذري من حيرتي وتولهي

اذا سفرتْ منها المحاسنُ للسَّفر

اعادت لي الشوق القديم مياهها

«وَسُقْنَ الهوى من حيث ادري ولا ادري»

---

١ ـ كوخ بهامش د : مدرج

كأني عليٌّ[1] والعيونُ التي رنت
« عيونُ المها بين الرصافة والجسر »

الا يا نديماً حثَّ مسكيَّةَ الشذا
الى الديرِ لا دارين منسوبةَ النَّجر

تراجعها ايدي السقاةِ كأنها
وقد قُطعَتْ بالمزج بيتٌ من الشعر

نشدتك هل غصنُ الرياضِ ابنُ هانىءٍ
يميل بساباطَ ارتياحاً الى الخمر[2]

وهل بلبلُ الدَّوْحاتِ يحيى بن اكثمٍ
يظلُّ دفيناً في الرياحين ذا سكر

وهل أهدتِ الازهارُ عاطرَ نفحها
مع الفجرِ أم اهدتْ مديحَ بني نصر

منها في المدح :

امامُ الهدى جزلُ الرِّدا شَرَكُ العدا
غمامُ الندى بحرُ الجدا معدنُ الذخر

كريمُ اللها ، زاكي النُّهى ، مجدُهُ انتهى
لأوج السها ، كيف اشتهى ، دون مانكر

فيضفي لدينا بُرْدَ حامٍ من العلا
ويضفي علينا بُرْدَ سامٍ من الفخر

---

١ ـ يعني علي بن الجهم صاحب البيت المضمن .
٢ ـ ابن هانيء : ابو نواس ، وساباط من اماكن اللهو التي ذكرها في شعره ، ومن ذلك : بشرقي ساباط الديار البسابس .

يعمُّ الورى من كومه وعلومــه
فهذي لمن يَقرا وهذي لمن يَقْري
فيحيى بنشرِ الجود ميتاً من الغنى
ويُرْدي بطيِّ البخل حيــاً من الفقر
ويُبدي بوصلِ العلم صُبحاً من الهدى
ويُخفى بقطعِ الجهلِ ليلاً من الكفر
همامٌ اذا ما صال او جال في الوغى
فليثٌ لمفترٍّ وغيثٌ لمعــترّ
(٩١ب) رفيعُ عمادِ البيت رحب فناؤُهُ
عظيمُ رمادِ النــار مغتبطُ الوفر
حكى سيفُه يوم الضيوفِ مهلهلاً
فلم يُبْقِ بعد الناب[١] حياً على بكر
مقيمٌ على دين السماحةِ والنــدى :
وبذلُ الندى والفضل فرضٌ على الحر
اذا هــو أعطاها دنانيرَ رشحت
بلون محبٍّ في الهوى خالعِ العذر
يؤرخ ذو الامداح ممــا جَنَتْ به
يــداهُ تواريخَ السعادةِ والنصر

ومن شعره في أنواع المقطوعات[٢]:

١ ـ هذه رواية خ بهامش ك ، وفي النسخ : النأي
٢ ـ الاحاطة ١ : ٣٥٥

طاب العُذَيبُ بطيبِ ذكرك وأنثنى

فكأنما مـــاءُ العذيب سلاُفهُ

واهتزّ من طربٍ للقيـــاكَ الحمى

فكأنمـــا باناُتـــه اعطافـــه

ومن ذلك أيضاً :

أرتني الجمالَ الأكمليّ حقيقتي على قدرها لا قدر موجدها العالي [1]

فكيف أرى هذا مقامي وانما مقامي مغيبي عن مقامي وعن حالي

وقال أيضاً [2] :

ليَ المدحُ يُرْوى منذ كنتُ كأنما تصورتُ مدحاً للورى وثنـــاءَ

وما لي هجاءٌ فاعجبنّ لشاعرٍ وكاتبٍ سرٍّ لا يُقيم هجـــاء

وقال ايضاً [3] :

ولي فرسٌ من علية الشهب سابقٌ أُصرّفهُ يومَ الوغى كيف أطلب

غدوتُ له في حلبة القوم مالكاً فتابعني منه كما شاءَ أشهب

وقال ايضاً [4] :

وحمراءَ في الكاسِ مشمولةٍ تُحَثُّ على العودِ في كلّ بيتْ

فلا غروَ أن جاءني سابقـــاً الى الأُنسِ حبٌ يحثُ [5] الكميت

---

١ ـ سقط البيت والذي يليه من د وكتبه في الهامش ثم طمس اكثر الفاظها

٢ ـ الاحاطة ١ : ٣٥٥

٣ ـ المصدر نفسه : ٣٥٦

٤ ـ المصدر نفسه

٥ ـ خ بهامش ك : خل يحب .

وقال ايضاً :

(٢٩٢آ) ومهاةٍ تقولُ ان هي كلتْ ودعا للمزاج يومـــاً مُمَازجْ
داوِ ذا الردف ان في الأزْرِ منه كثبَ يبرينَ، يا طبيب، وعالج

وقال ايضاً :

قيل إن الكمامَ ينفحُ مسكاً قلتُ: لا تعجبنْ وزد في المناهج
بعث الغيثُ للنوافح منهـــا نقطةَ آخراً فعـــادت نوافج

وقال ايضاً :

وقالوا علا للخمرِ في الكأسِ اذ بدت
بياضُ حبابٍ صيغ دُرّاً لتاجهـــا
فقلتُ لهم : لا بل هو الشيبُ قد علا
عجوزاً لدينا اشتدَّ بردُ مزاجهـــا

وقال ملغزاً في القلم[1] :

احاجيك مـــا واشٍ يرادُ حديثه
ويهوى الغريبُ النازحُ الدارِ إفصاَحهْ
تراهُ مع الاحيان[2] اصفرَ ناحـلاً
كمثلِ مريضٍ وهو قد لازم الراحـه
وقال في ضارب جناح من آلات الطرب :
أيا مَنْ رام أخذَ القلب مني بأوتارِ الجناحِ بلا جُنـــاح

---

١ ـ الاحاطة ١ : ٣٥٦ .
٢ ـ د : الأحياء.

كفاني حسنُ وجهك أن قلبي يطير به اليك بلا جَنـــاح

وقال في التورية[1] :

كماةٌ تلاقتْ تحتَ نقع سيوفهم وللهام رِقصٌ[2] كلما طُلِبَ الثارُ
فلا غروَ أنْ غنتْ وتلك رواقصٌ
فبينهم في مـــأزقِ الحرب أوتار

وقال ايضاً :

أيا روضُ بالزهر غبَّ الحيا سألتُكَ والقضب أنَّى تميل
اعدْ لي النسيمَ الذي شاقني فسنـّتـُنا ان يُعادَ العليـــل

وقال ايضاً :

(٩٢ب) داركْ فديتك روضنا بزيارةٍ فالقضبُ من شوقٍ اليك تميلُ
والعينُ باكٍ والحمامُ مُرِنـّةٌ والنهرُ صبٌّ والنســيمُ عليل

وقال ايضاً :

بكت شجناً ففاض الدمعُ يحكي يتامى الدرّ اذ يهمي تُؤامـــا
وَسلّتْ من محاجرها سيوفاً فخفتُ على المحاجرِ واليتامى

وقال ايضاً :

نسيمُ الصَّبا جاءهُ سائـــلا بطلٍّ الحيا فارتضى وَصْلَهُ
وأودعــــه الروضُ أنفاسه فأضحى عليلاً فضاعــتْ له

---

١ ــ الاحاطة ١ : ٣٥٧ .
٢ ــ جك : نقع

وقال ايضاً [1] :

بدا عارضُ المحبوبِ فاحمرَّ خجلةً ... وأهدى له ورداً به الحسنُ ناهضُ
وقلتُ له : لا تنكرِ الوردَ ناضراً ... فقد سال في خديك من قبلُ عارض

وقال ايضاً [2] :

أتوني فعابوا : من أُحِبُّ جمالَهُ ... وذاك على سمعِ المحبِّ خفيفُ
فما فيه عيبٌ غير ان جفونَهُ ... مراضٌ وان الخصرَ منه ضعيف

وقال ايضاً :

ألا ربَّ شادٍ قام يضربُ عودَهُ ... على حين لم يوفِ الحبيبُ بموعود
فأضرم نارَ الشوقِ بين جوانحي ... ولا عجَبٌ انْ تضرَمَ النارُ بالعود

٨٨ – الشيخ الكاتب الرئيس ابو محمد عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربي ، من الاصحاب ، حفظه الله تعالى :

نجيب الولد ، عين من اعيان البلد ، قديم المطرف والمتلد ، عظيم التحمل للخدمة والجلد ، استعان على تسخير اليراع ببنان وساعد ، وأيد (٩٣ آ) مساعد ، تحمل الكَلَّ وما كلَّ ، واضطلع بما جلّ ،

---

١ ــ البيتان في المسالك ١١ : ٥١٤
٢ ــ البيتان في المسالك ١١ : ٥١٥

والفضل له عز وجل ، جلبته الى الكتابة عن السلطان جلب اختيار ، واخصب جانبها منه برزق امتيار ، بل بأري آشتيار ، فاستقل بعدي ورأس ، وتنعم ثم ابتأس ، وهو الآن قاضٍ ، ولدين التجلة متقاض ، ويستند الى سلف ، ويستظهر على اقامة الرسم بخلف ، وشعره سهل على المعَاني ، مؤثر لحظوظ الالفاظ على حظوظ المعـــاني ، فمن قوله يهنيني بالابلال من المرض :

الآن قد قامتِ الدنيا على قدَمِ — لما استقلّ رئيسُ السيفِ والقلم
والآن قد عادت الدنيا ببهجتها — مذ آنستْ بُرْءَهُ من طارقِ الألم
والآن قد عَمّتِ البشرى براحتِهِ — ولم تزَلْ للورى من أعظمِ النعم
لا سيّما عند مثلي ممن اتـّضَحَتْ — منه دلائلُ صدقٍ غيرِ متهـم
وكيف لا وأيادي فضلِهِ ملكت — رقّي بما أجزلت من وافرِ القسم
وصيّرتنيَ في أهلي وفي وطـني — وبين أهل النهى ناراً على علم
وحسبت أملي الأقصى لغايته — اذ صرْتُ منجاهه المأمولِ في حرم
وما عسى ان أوفّي من ثنائيَ أو — أُنهي الى مجدهِ من فاضلِ الشيم
ولو ملكتُ زمامَ القول طَوْعَ يدي — قصّرْتُ في ضِمْنِ منثورٍ ومنتظم
يهنيك بُشرى قد أستبشرتُ مذ وردت — بها لعمـرك وهو الـبرُّ في القســم
لا زلتَ للعزةِ القعساءِ ممتطياً — مستصحباً لعلاءٍ [1] غير منصرم
وَدُمتَ بدرَ سنــا تهدي إنارتـه — في حيث يُعضِلُ خطْبٌ او يحارُ عم

---

١ ــ ك : العلاء

ولا عدمتَ بحول الله عافيةً   تستصحبَ النعم المنهلّةَ الديم

ومن ذلك ما نظم لينقش في بعض المباني التي انشأتها بغرناطة [1] :

أنا مصنعٌ قد فاق كلَّ المصانعِ   فما منزلٌ يُزْهى بمثل بدائعي

(٩٣ب) فرسمي اذا حققته واعتبرته   لكلِّ المعاني جامعٌ ايّ جامع

فقد جمع اللهُ المحاسنَ كلَّها   لديَّ فيا لله إبداعَ صانعي [2]

كما جُمِعَتْ كلُّ الفضائلِ بالذي   بسكناي قد وافاهُ أيمنُ طالع

وزيرُ اميرِ المسلمين وحسبه   مزيةُ فخرٍ ما لها من مدافع

وذو القلمِ الاعلى الذي فعلهُ لمن   يؤمّلـهُ مثلُ السيوف القواطع

ومطلـعُ آياتِ البيـــان لمبصـرٍ

كشمسِ الضحى حلَّتْ بأسنى المطالع

وانسانُ عينِ الدهر قرَّتْ لنا به   عيونٌ وطابتْ منه ذكرى المسامع

هو ابنُ الخطيب السيد المنتمي [1] الى

كرامٍ سموا ما بين كهـلٍ ويافع

لقد كنتُ لولا عطفة من جنابه   أُعَدُّ زماناً في الرسوم البلاقع

فصيّرني مغنىً كريماً ومرتعاً   لشملٍ بأنسٍ من حبيبيَ جامع

فها انا ذو روضٍ يروقُ جمالـهُ   كما رقَّ طبعاً ما له من منازع

وقد جمعتنا نسبةُ الطبع عندما   وقعتُ لمرآه بأسنى المواقـع

فأشبه ازهاري بطيبِ ثنائهِ   وَفضْلَ هوائي باعتدالِ الطبائع

---

١ ـ اشار لسان الدين الى قصر ابتناه بالشريعة القديمة من شرقي غرناطة وقال انه كان يسكنه اكثر فصول السنة (اعمال الاعلام : ٣١١) وقد عابه النباهي في رسالته اليه بأنه اسرف في شراء العقارات وتشييد المباني . (النفح ٧ : ٤٩)

٢ ـ ك : ابدع صانع .

٣ ـ جك : المنتهي .

فلا زلتُ معموراً به في مسرةٍ ‏ مُعَدّاً لافراحٍ وسعدِ مطالع
ولا زال من قد حلّني او يحلّني ‏ موفّى الأماني من جميلِ الصنائع
ودام لمولانا المؤيدِ سعدُهُ ‏ فمن نوره يبدو لنا كلُّ ساطع

٨٩ – الشيخ الكاتب ابو القاسم محمد بن محمد بن احمد ابن قطبة [١] الدوسي *، كلأه الله تعالى :

هذا الرجل ممن ينتحل الشعر، ويكسد سوق حظه فيغلي السعر، ويوجب لنفسه ما يوجبه المغرور، ويهتف لسانه بما لا يهتف به الا المرور، فهو مرحمة، وان رأى نفسه فارس ملحمة، ومشفقة، وان زعم (٩٤ آ) انه يجري على عطارد نفقة .

وجرى ذكره في بعض الموضوعات الادبية بما نصه : مفحاش مهذار، لا يتعقب زلاته اعتذار، ولا يزعه من بعد خط الزوال بمفرقه انذار، سخيف العقل، عديم الصقل، حجة قوله اخبر تقل، منسفل من سرير الهرقل، الى مطرح البقل، رأسه مكفوف، ومخه منشوف، ودنه عقير، وبيتة من البِرّ والبُرّ فقير، يقرع من بعد المشيب باب الشقا،

---

١ – ج : قطب .

* ترجم له ابن الخطيب في التاج والاحاطة ٢ : ١٨٢ وفيها « الرؤسي » ويبدو ان نظرة ابن الخطيب له تغيرت عند تأليف الكتيبة فهو هنا يذمه على خلاف ما ورد في الاحاطة .

ويدنس الصحائف بالكبائر من بعد الانقا ، فيتبجح بقتال العَمْدِ العدوان ، ويفخر بالزنا بنساء الاخوان ، ويشبب بالقيان ، بعد فراغ الخوان ، وانطواء الديوان ، وذهاب العنفوان ، وقد فار تنور البياض ينذر بالطوفان ، ويذكر لونه بألوان الأكفان ؛ قد تطابق معناه في القبيح ولفظه ، وساء في العاجلة والآجلة حظه ، فأخسس بشأنه وأصغر ، ان تخطاه عفو من يقبل توبة العبد قبل ان يغرغر ، وشعره شعث الشَّعَر ، مشوب غرضه بالبعر ، فمن ذلك يمدح السلطان ابا الحجاج [1] رحمه الله :

سَفَرَتْ فأخجلتِ الصباحَ المُسْفِرا
وَرَنت فسدَّدتِ السهامَ الأخزرا
وثنتْ معاطفها اللَّيانَ لزورةٍ   تركتْ بها لينَ القضيب محيَّرا
وكأنما تُهدي نفائسَ لؤلؤٍ   من ثغرها خُضْنَ العتيق الاحمرا
ردّي الفؤادَ فدتكِ نفسي وأرحمي
صباً مشوقاً من وصالك مقترا
لم يكفِ أن صيَّرتِ قلبيَ عامداً   حتى أسلتِ من المدامع جعفرا [2]
أعصي العواذلَ ما أطعتُ صبابتي   ان المتيمَ حسبُهُ ان يخفرا
ذَعرَت بجيشِ الردفِ مقنَّب خصرها
فلذا ترى بين الخصور مخصرا

---

١ ـ هو يوسف بن اسماعيل بن نصر : تولى الخلافة سنة ٧٣٤ وهو اذ ذاك لم يتم السادسة عشرة من عمره ، وفي زمنه حدثت الوقعة العظمى بطريف ؛ قتله رجل ممرور يوم عيد الفطر سنة ٧٥٥ .

٢ ـ الجعفر : النهر .

فحديثُ جيشِ الردفِ عنها مُسنَدٌ   اذ كان نصُّ الخصر عنها مفترى

(٩٤ ب) في المخلص :

ولئن جرتْ من مقلتيَّ مدامعٌ   ووردتُ من وصل الحبيب الاكدرا
فلكم صفا ماءُ الحيـاة بيوسفٍ   وغدا به ربعُ المظالمِ مقفرا
الآخـذُ الارواحِ يومَ نزاله   والتاركُ البطلِ الكميِّ معفرا
والواهبُ الآلافِ ليس يُعيرها   َطرفاً ولو كانت خيولاً ضمرا
ملكٌ إذا نطقَ الحسامُ بكفّه   خرسَ البليغُ ولو تسنَّم منبرا
يمضي العزيمة وهي برقٌ خاطفٌ   فيدقُّ أعناقاً ويقصم أظهرا

وقال في غرض النسيب :

ولما تمادى البعدُ بيني وبينها   وكادتْ حبالُ الوصل أن تتصرَّما
خشيت على الأجفان من كثرة البكا   وخفتُ على الأحشاء ان تتضرما
فرمتُ سلواً عن هواها فعاقني   من الشوقِ ما يثني الخليَّ المصمَّما
فأمسى عذابي في هواها محللاً   وأصبح سُلواني عليَّ محرَّمـا

٩٠ – محمد بن محمد بن حزب الله الكاتب بالدار السلطانية الآن

تولاه الله تعالى

راقم واشي ، رقيق الجوانب والحواشي ، تزهى بخطه المهارق والطروس ، وتتجلى في حلل بدائعه كما تتجلى العروس ، الى خلق كثير المحمل ونفس لدنة الجوانب ، وود سهل الجانب ، عذب المذانب ؛ واستقر

الآن[1] بالمشرق رهن جولة ، غير مرتبط الى ملك ولا مقيد لدولة ، ومن شعره ما أنشدنيه يراجع بعض الفضلاء :

تألَّـقَ برقُ العلا واستنارا فأجَّجَ اذ لاح في القلب نارا
وذكَّرني أُنسَ وقتٍ مضى برُنْـدة حيثُ الجلالُ استنارا[2]
(٩٥ آ) وكانت لنفسي منى في حماها طوالاً فأضحتْ لديها قصارا
فأجريتُ دمعَ العيونِ اشتياقاً ففاضت لأجـل فراقي بحارا
وقالت لي النفس : مَنْ لم يجدْ نصيراً سوى الدمع قلَّ انتصارا
قطعتُ المنى عندها لحـظةً وودعتها وامتطيت القفـارا

منها بعض أبيات :

أرقتُ لذاك السنا ليـلةً وما نومها ذقتُ إلا غرارا
وجسمي أجلُّ الجسومِ التهاباً وقلبي أشدُّ القلوبِ انكسارا
الى ان تجرعت كأسَ النوى وقلتُ زماني على الشمل جارا
وصبرُت[3] نفسي لفقدانهـا هنالك بالرغم ليس اختيارا

ومن قصيدة :

حننتُ لبرقٍ لاح من سرحتي نجدِ
حنين تهـاميٍّ يحنُّ الى نجـد
وقلتُ : لعلّ القلبَ تبرا كلومهُ
ومن ذا يصدُّ النار عن شيمة الوقـد

١ ـ كذا وانظر عنوان الترجمة .
٢ ـ رندة : اسم بلدة ، وهي من مدن تاكرنا بالاندلس .
٣ ـ في جميع النسخ : وصيرت .

لئن شاركتني في المحبة فرقةٌ
فها انا في وجدي وفي كَلفي وحدي

٩١ – الكاتب ابو عمر يحيى بن ابراهيم بن زكريا الانصاري

من الاكليل :

مجموع خصْل ، وضارب في هدف الأدب بنصل ، وفرعٌ في الكتابة نشأ عن أصل ، يتوسل بجدين ، ويكافح منهما بجدين ، ويستند من الجهة المرابطية واللوشية الى مجدين ، وأبوه رحمه الله تعالى خطة زينْ الزين ، وراحة القلب وقرة العين ، رحل الى المغرب ، وكتب مع الكتاب ، وتقلب في الدهر بين العتب والاعتاب . ومن شعره في البداية [١] قوله :

بأبي غزالٌ في الجمال فريد في حسنه لا يُقبَلُ التفنيدُ
(٩٥ب) فنيَ اصطباري في هواهُ وراحتي
وولوع قلبي ثابت ويزيد
كم رمتُ كتم غرامِهِ متستّراً فبدا عليَّ من النحولِ شهود
ما كنت من قبلِ الغرام مصدّقاً ان الظبا قلب الأسود تصيد
قد كنتُ أعلم انني ذو عزةٍ وتحمّلٍ للطارقاتِ جليد
حتى ابتليتُ فلم أُطقْ حملاً لها ان التحملَ في الهوى مفقود
بدرٌ اذا ما لاح بدرُ جبينه فالناسُ طراً . ركعٌ وسجود
سَمَحَتْ به الايامُ بعد تعذرٍ عجباً لئيمٌ[٢] بالنفيسِ يجود

---

١ – ج : البادية .
٢ – ج د: ليم .

بتنا نشاوى والعفافُ نديمنـــا والدهر يُدني شاسعاً ويقود
أجلو عليه غرائباً حليَتُهـا أمداحَ ملكٍ عدله ممــدود

وقال في محبرة :

انا منهلٌ حامتْ على وردي َ النهى محلّ سوادالعينِ والعين في وسطي
امدّ مدادي من سواديها السنا فتخليد نور اللهفي الارض من سقطي
فدار على الإيضاح شكلي فقبضتي حوت كلّ ما ضم الوجود الى ربط
أروّي نحيلَ الجسم ان جاء ذابلاً عليه البنــان كالمحلق[1] بالمط
فيبدي لساناً كالسنانِ مضاؤُهُ اذا ما هوى عنهن من حافة الشط
فخطيّه مستنشدٌ وهو اعجمٌ ليبديَ نور الله في صورة الخط

٩٢ ـ محمد بن محمد بن عبد المنعم اللخمي ابو عبد الله ، الكاتب مع الجملة

قريع اصالة قديمة ، وبارق ديمة ، كانت اي مديمة ، ومتجمل بوقار ، ومتصف الى المعارف بافتقار ، كتب عمره حسن الخط ، متقلباً بين البري والقط ، والرفع والحط ، الى ان صلحت بأخرة حاله ، وأخصب (٩٦ آ) امحاله ، وأما حاله في الأدب فقل ان يسمح لفظه بالمنظوم ، الا كضحك المكظوم ، واما النثر فيده فيه منطلقة ، واشعته متألقة . فمن شعره في غرض المدح :

....

١ ـ كالمحلق : بياض في ج د .

زمان بما شاء الخليفةُ حاكمُ وملكٌ له السعدُ الجديدُ ملازمُ
ودولته العلياءُ أشرفُ دولةٍ لها أثرٌ في الصالحات كرائم
وأيامُـــهُ ايام بشرٍ وأنعمٍ فما هي في التحقيق الا مواسم

ومنها في المدح :

هو الغيثُ جوداً والهزبرُ بسالةً فمن ذا يُجاريه ومن ذا يقاومُ
له عَزَماتٌ ردّتِ الكفر[1] صاغراً فلله مـــا ردّته تلك العزائم
الا في سبيلِ الله اعمالُك التي بها وَضَحَتْ للصالحاتِ المعالم
أقمتَ شعار الدين غيباً ومشهداً فقصدُكَ مشكورٌ واجرك دائم
ووفيتَ من أمر الشريعة واجباً فرأيك في أفق الهداية ناجم[2]

٩٣ – احمد بن عبدالملك العدوي الكاتب ابو جعفر اللبسي كلأه الله تعالى .

هذا الرجل خيِّر ، وكوكب نجابة نـيِّر ، جعل دلوه في الدلاء، وأجرى في الخلاء، ثم في الملاء ، فانتظم في الكتاب ، ووجد في قطار ذوات الاقتاب ، ثم عدل عن العتاب والاعتاب ، وقرع باب المتاب ، و هو اليوم من معلمي الكتاب ، ومن شعره :

قسماً بمن جعل الفراقَ عذابا وكوى به قلبَ المشوق فذابا

---

١ – جك : الفكر .
٢ – سقط الشطر من ج .

ما اختِرت يوماً أن أفارق صاحباً   ومتى (..... [1]) وفودي شابا
لكن إذا الانصافُ غلـّقَ بابهُ   دوني فتحتُ الى القطيعةِ بابا

(٩٦ ب) وقال ايضاً :

زمانٌ لم يرَ الانصافَ رشداً   يُسرُ نسيئةً ويسوءُ نقــدا
فما نرجو من السراءِ أخفى   ومـا نخشى من البأساء أبدى
وبالاضدادِ قــد أوهى الاشدّا   ولم يشددْ بأمنٍ قطُّ عَقــدا
فطوراً عاد فيه الهندُ مــاءً   وطوراً عاد فيـه الماءُ هنــدا
فَسُلَّ به حساماً او يراعـاً   ودعْ دعداً[2] وعاتكةً وهندا

وقال ايضاً :

انّ القريضَ وآله   الى البطـالة آله
يَمَّ المعـارفِ يمِّمْ   ودعْ فديتك آله
وهبه يُحْمَدُ حالاً   فقــد تَذمُّ مآله
اذا الفقيهُ بنـادِ   ألقى عليك سؤاله

٩٤ – عبد الله بن محمد عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني*

ولدي : ان مدحته ، قلت : زنادٌ اقتدحته ، وبارق ألحته ، وان

---

١ – بياض في جميع النسخ .
٢ – خ بهامش ك : ودع لبنى .
* – ترجم له ايضاً في الاحاطة ، وانظر النفح ١٠ : ١٥٠ ففيه جملة من شعره . وقد كتب عبد الله بالعدوتين للملوك الحضرتين وتولى القيادة والكتابة بالأندلس ايام كان أبوه مدبر الدولة .

أغفلته أجحته ، وان كلفته فوق طوره فضحته ، فحسبي أن أقدّم منه على تذييل هذا الكتاب بعدي وكيلا[1] ، يوفي منه مكيلاً ، وينكل الحسدة تنكيلاً ، ويقيم على فضل نفسه لابناء جنسه دليلا ، مدّ الله عليه من الوقاية ظلا ظليلا[2] ، وأنسأ عمره تأجيلا ، وسجل له من رسم السعادة المعادة تسجيلا ؛ شعره كان قد حفظ ولفظ ولم يرض من الحظ ما انخفض ، ثم انتهض وانتفض ، فصدرت منه قصائد يعجب منها لذوي سنه ، وتنسب لِلّمةِ مَلكهِ او لنزغة جنّه ، الا ان السلطان صرفه عن تلك الخطة ، ذاهباً به عن الوهاد المنحطة ، وعوضه الذابل عن اليراع ، واختراق المواكب في القراع ، عوض (٩٧ آ) الاختراع ، وبريق الحسام ، من الادب البسام ، فلما دالت اليقظة وزلت القدم ، وقع الندم ، والحمد لله على ان لم يكن العدم ، ولا فقد المطعم والمؤتدم ، ولا الخول والخدم ، ولا شرك القدم ، فمن ذلك قوله في الاغراض السلطانيـة ايام كتابته عن السلطان ملك المغرب[3] :

لمن طلـــلٌ بالرقمتين محيل عفتْ دمنتيه شمألٌ وقبولُ
يلوحُ كباقي الوشم غيره[4] البلى وجادتْ عليه السحب وهي همول
فيا سعدُ مهلاً بالركاب لعلنا نسائلُ ربعاً فالمحبُّ سئول

---

١ ـ لا نعرف إن كان عبدالله قد قام بهذه المهمة التي وكلها اليه أبوه ، أما علي ابن لسان الدين فانه كان ذا اهتمام بالتذييل والتعليق على كتب والده وله تعليقات على الاحاطة اورد بعضها المقري (النفح ١٠ : ١٦٢ وما بعدها) .

٢ ـ مد . . . ظليلا : سقطت هذه العبارة من د .

٣ ـ القصيدة في النفح ١٠ : ١٥٣ وقال انها في مدح السلطان أبي عبدالله محمد بن يوسف بن نصر ، كتبها من مدينة فاس .

٤ ـ د : خيله .

قفْ العيس ننظر نظرة تُذْهبِ الأسى
ويشفى لها بين الضلوعِ غليـل

وعرِّجْ على الوادي المقدسِ والحمى فطاب لديـه مربعٌ ومقيل

فيا حبـذا تلك الديارُ وحبذا حديثٌ بهـا للعاشقين طويل

دعوتُ لها سقي الحمى بعدما سرى وميضٌ وعرفٌ للنسيم عليل

وأرسلتُ دمعي للغمام مساجلاً فسال على الخدين منه مسيل

فأصبح ذاك الربعُ من بعد محـله رياضاً بها الغصن المروحُ يميل

لئن حال رسمُ الدار عما عهدتهُ فعهدُ الهوى في القلب ليس يحول

ومما شجاني بعدما سكن الهوى بـكاءُ حماماتٍ لهنَّ هديـل

توسدن فرع البانِ والنجم مائلٌ وقد آن من جيشِ الظلام رحيل

فيا صاحبي دع عنك لومي فإنه كلامٌ على سمع المحبِّ ثقيل

تقولُ اصطباراً عن معاهدك الألى وهيهات صبري ما اليه سبيل

فلله عينا مَنْ رآني وللأسى غداةَ استقلت بالخليط حمول

يطاولُ ليل التم (مني) مسهدٌ[1] وقد بان عني منزلٌ وخليل

فيا ليت شعري هل يعودنَّ ما مضى
وهل يسمحنَّ الدهر وهو بخيل

(٩٧ب) وهل راجع عهدُ الحمى سُقِيَ الحمى
وظلٌّ بعين الدمع [2] منـه ظليـل

وأيامُ أُنسٍ قد نعمنا بقربها وقد نام عنا حاسد وعذول

---

١ ـ هكذا في الاحاطة، وفي جميع النسخ : أطاول ليل التم « . . . » مسهداً .

٢ ـ عين الدمع : متنزه في ضواحي غرناطـة ؛ ذكر في الشعر كثيراً ، انظر الاحاطة ١ : ١٢٨ ـ ١٢٩ .

حلفتُ بربٍّ الراقصاتِ الى منىً   بهنَّ الى البيت العتيق ذميل
لجودُ اميرِ المؤمنين محمدٍ   بكلّ مرامٍ في الزمان كفيل

٩٥ – الكاتب ابو عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك*

من اهل رياض البيان ومن غرناطة :

هذا الرجيّل والتصغير على اصله ؛ وان لم يعب السهم صغر نصله ، مخلوقٌ من مكيدة وحذر ، ومفطور اللسان على هذيان وهذر ، خبيث ان شكر ، خدع ومكر ، ودس في الصفو العكر ، وان رمى واقصد ، فالله اعلم بما قصد ، الا انه ثان في البخت لبختنصر ، عند من اعتبر وتبصر ، بينما هو في المطبخ يعمل البرم ، ويشعل الضرم ، اذا به يفترش السندس ، ويفتح بسيفه القدس ، فيذبح الجزر السدس ، ولا يساوي في الابقاء السدس[1] ، كأن الفلك بأطوار هذه الناشئة تطور ، او الزمان أكل المسح فتهور ، فعهدي به يرشح ابناءه ويدّرج ، وعلى الرسم المعتاد يعرّج ، فوثب على الفور ، من النجد الى الغور ، مما يوهم تمام الدور[1] وانقضاء الطور ، إلى الاستحداد ، برئاسة القلم والمداد ، وان نفذ القدر

---

* – ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة ٢ : ٢٢١ – ٢٤٠ ؛ وله في النفح ١٠ : ٤ وأزهار الرياض ٢ : ٧ – ٢٠٦ ترجمة ضافية ومختارات من نثره وتوشيحه وشعره . وقد كان من المجلبين على ابن الخطيب فلذلك جاءت ترجمته هنا مختلفة في روحها بعض اختلاف عما قاله في الاحاطة . وانظر نيل الابتهاج : ٢٨٢ (٢٩٢ ط . فاس) .

١ – ولا . . . السدس : سقطت من د .

٢ – مما . . . الدور : سقطت من د .

والمكتوب ، فأنا المعتوب[1] ، اذ اصطنعته وروجته ، ولغيري ما احوجته ، فاتبع الطريقة ، وغاص بلجّها فاستخرج الدرر الغريقة[2] ، وانفرد بخفة الروح ، مع دماثة اليبروح[3] ، فهو اليوم لو لا النشأة الشائنة ، والذمامة البائنة ، صدر العصبة ، ونيّر تلك النصبة ، وآدابه مستميلة ، ومحاضرته خميلة ، وخلقه لولا الخبث (٩٨ آ) والغدر جميلة ، ينظم وينثر ، وعلى القيود يعثر ، واكثر إجادته في القصائد التي تطول ، ويلوى بدينها الطبع المطول ، وبينه وبين معاصريه مداعبات في غلام له غريب ، جعله مرمى غزل ونسيب ، وصرف الى ذكره ذكرى جنيب ، تشعشع كئوس الأنيس كلما جليت ، وتقلد ليالي الفكاهة بلآليها اذا حليت . وفيه يقول :

يا فرجاً علّلتُ نفسي به والفـال محبوبٌ لتعليله
حرّمت احليلك هـذا على نفسي وأفتيت بتحليلـه

وجمجمت الاقوال في هـذا الميدان ، فجمعت بين الندس والهدان ، والقاصي والدان ، الى ان فارق عادة الاحتمال والاعتدال ، ورجع الى الجلاد من الجدال ؛ فلقد عاده الكتاب وقد اشتكى ، واضطجع واتكا ، والطبيب بـين يديه يتخذ له شرابا ، والنحل تغطيه اسراباً ، وتشوس اقترابا ، وقد أَلحتْ منهنّ واحدة اظنها لغلامه ضرة ، فتنزل على وجهه مرة ، وعلى اونة الكتابة مرة ، فقال بعضهم اجز يا فقيه :

يا حسنهـا اذ اتت مغردة على القضيبِ النجيب من قلمك

---

١ ـ ج : المتعوب .
٢ ـ ج : الرقيقة .
٣ ـ اليبروح : اللفاح ، ولا ادرى ماوجهه هنا

فقال الآخر :

قد نالتِ اللونَ من دواتك والشهدَ الشهيَّ المذاق من شيمك

وقال الثالث :

كأنهـا في اقترابهـا فرجٌ يهـدي اليك الشفاءَ من ألمك

فغضب وقال : اخرجوا يا أبناء الفاعلة جئتم تعودوني وتهجوني وتحرفون مزاجي ، والله ان زادتني زيادة لأدمين عليكم . فانصرفوا ضاحكين متملحين.

من شعره يخاطبني عند انقطاعه في الصغر لبابي ، (٩٨ب) وتمسكه بأسبابي ، قوله من قصيدة أولها [1] :

أما وانصداعِ النور من مطلعِ الفجر

لك اللهُ من فذّ الجلالة أوحدٍ تطاوعُه الآمال في النهيِ والأمر

لك القلم الاعلى الذي طال فخرُهُ على المرهفاتِ البيض والأسلِ السمر

تقلد أجيادَ الطروس تمائماً بصنفِ لآلٍ [2] من نظام ومن نثر

تهيّبك القرطاسُ فاحمرّ إذ غدا يُقبِل بحوراً من أناملك العشر

كأن رياض الطرسِ خدٌّ موردٌ يطرّزه وشيُ العذارِ من الحبر

فشارةُ هذا الملك رائقةُ الحلى من ألوية حمرٍ ومن صحف حمر [3]

فما روضةٌ غناءُ عاهدها الحيا تحوكُ بها وشيَ الربيع يدُ القطر

تغني قيانُ الطيرِ في جنباتها فيرقصُ غصنُ البانِ في حللٍ خضر

تمدّ لأكواسِ العرار أناملاً من السوسنِ الغضّ المختّم بالتبر

---

١ – أزهار الرياض ٢ : ١٦٤ .

٢ – أزهار : بصنفي .

٣ – أزهار : بالوية حمر وبالصحف الحمر .

ويحرسُ خدّ الوردِ صارمُ نهرها ويمنعُ ثغرُ النوْرِ بالذابلِ النضر
يفاخرُ مرآها السماءَ محاسناً
فتُزري نجومُ الزهر منها على الزُهر
اذا مسحتْ كفُّ الصبا وجه نورها
تنفسَ ثغرُ الزهرِ عن عنبر الشحر
بأعطرَ من ريا ثنائِكَ في الشذا وأبهرَ حسناً من شمائلك الغر
عجبتُ له يحكي خلالَ خميلةٍ وتفرقُ منه الأسد في موقف الذعر
اذا أضرمتْ من بأسها الحربُ جاحماً
تأجّجَ منه العضبُ في لجة البحر
وان كلح[1] الابطالُ في حومة الوغى
ترقرقَ ماءُ البشر في صفحة البدر
لك الحسبُ الوضّاح والسؤددُ الذي
يضيقُ نطاقُ الوصفِ فيه عن الحصر
تشرّفَ أُفقٌ انت بدرُ كمالِهِ فغرناطةٌ تختال تيهاً على مصر
تكلّلَ تاجَ الملك منك محاسنٌ[2] وفاخرتِ الأملاكَ منك بنو نصر
(٩٩ آ) وعزمُك مضمون السعادة واحد[3]
وعزّك وضاح المكارم والنجر
طوى الخيفُ منشورَ اللواءِ مؤيداً
فعزّ به الاسلامُ بالطيِّ والنشر

---

١ - في النسخ : كلم والتصويب عن أزهار الرياض .
٢ - أزهار الرياض : محاسناً .
٣ - أزهار الرياض : أوحد.

ومدَّ ظلالَ العدل اذ قصر العدا فيُتلى ثناءُ الملك بالمد والقصر

اذا احتفل الايوانُ يوم مشورةٍ وتضطربُ الآراءمن كلِ ذي حجر[1]

صدعتَ بفصلِ القول غيرَ منازَعٍ

وأطلعتَ آراءً قبسْنَ من الفجر

فان تظفرِ الخيلُ المغيرةُ بالضحى فعنْ رأيك الميمونِ تظفر بالنصر

فلا زلتَ للعلياء تحمي ذمارها وتسحبُ أذيالَ الفخارِ على النسر

وللعلم فخر الدين والفتك للعدا بأَوْتَ به يا ابنَ الخطيب على الفخر

يهنّيك عيدُ الفطر مَنْ انت عيدُهُ

وَيُثني بما أوليتَ من نِعَمٍ غر

جبرتَ مهيضاً من جناحي وَرِشْتَهُ

وسهّلْتَ لي من جانبِ الزمن الوعر

وبوأتني من ذروةِ العزّ معتلىً وشرفتني من حيثُ أدري ولا ادري

وسوّغتني الآمال عذباً مسلسلا

وأسميتَ من ذكري ورّفعْتَ من قدري

فدهريَ عيدٌ بالسرور وبالمنى وكلُّ ليالي العمر لي ليلةُ القدر

فأصبحتُ مغبوطاً على خير نعمةٍ يقلّ لأدناها الكثيرُ من الشكر

ومما خاطبني به وقد برع ، وفرع من هضاب العربي ما فرع ، قوله[2] :

ذروني فاني بالعلاءِ خبيرٌ أسيرُ فانّ النيراتِ تسيرُ

فكم بتُّ أطوي الليلَ في طلب العلا

كأنّي الى نجمِ السماءِ سمير

---

١ ـــ الحجر : العقل .

٢ ـــ أزهار الرياض ٢ : ١٦٧ .

بعزمٍ اذا ما الليلُ مد رُواقَهُ يكــرُّ على ظلمائه فتنــير
اخو كَلَفٍ بالمجدِ لا يستفزّهُ مهادٌ اذا جنّ الظلامُ وثير
اذا ما طوى يوماً على السرّ كشحَهُ
فليس له حــتى المماتِ نشــور
واني وان كنتُ المنعَ جارُهُ لتسبي فؤادي أعـينٌ وثغور
(٩٩ب) وما تعتريني فترةٌ في مدى العلا
الى أن أرى لحظاً عليــه فتور
وفي السرب منْ نجدٍ تعلقتُ ظبيةً
تصــولُ على ألبابنــا ونغــير
وتمنعُ ميسورَ الكلامِ أخا الهوى وتبخلُ حتى بالخيــالِ يزور
أَساكنَ نجدٍ جادها واكفُ الحيا هواكُمْ بقلبي منجـدٌ ومغير
ويا ساكناً بالاجرعِ الفرد من منىً وأيسرُ حظٍّ من رضاك كثير
ذكرُتك فوق البحرِ والبعدُ بيننا فَمَدّتْهُ من فيضِ الدموع بحور
وأومض خفـّاقُ الذؤابةِ بارقٌ فطارتْ بقلبي أنـّةٌ وزفـير
ويهفو فؤادي كلما هبَّتِ الصبا أمَا لفؤادي في هــواك نصير
ووالله ما أدري اذكرُكَ هزّني ام الكأسُ ما بين الخيــام تدور
فمن مبلغٌ عنا النوى ما يسوءُها وللبينِ حكمٌ يَعتــدي ويجور
بانـّا غداً من بعدهِ [1] سوف نلتقي
ونُمسي ومنـّــا زائرٌ ومــزور
الى كم أُرى أكني ووجدي مصرّحٌ وأُخفي آسم من أهواه وهو شهير
أمنجدَ آمالي ومُنفِقَ كاسدي ومَصْدَرَ جاهي والحديثُ كثير

---

١ ــ أزهار : أو بعده .

أأنسى ولا أنسى مجالسَكَ التي بها تلتقيني نضـــرةٌ وسرور
نزورك في جنحِ الظلامِ ونلتقي وبين يديك [1] من حديثك نور
على انني ان غبتُ عنك فلم تغب [2] لطائفُ لم يحجب لهن سفـور
فظلُّكَ فوقي حيثما كنتُ وارفٌ وموردُ آمالي لديـــكَ نمير
وعذراً فاني إنْ اطلتُ فانما [3] قصارايَ من بعد البيان قصور

وكتب الي في مثل هذه الاغراض ، صدرَ رسالة :

يكلّفني مولايَ رَجْعَ جوابِـهِ وما لتعاطي المعجزاتِ وما ليا
اجيبُكَ للفضلِ الذي انت اهلُـهُ واكتبُ مما قد أفدت الأماليا
(١٠٠آ) فأنت الذي طوقتني كلَّ منةٍ وصيّرتَ أحرار الكلامْ مواليا
فلا زلتَ للفعلِ الجميلِ مواصلاً ولا زلتَ للشكر الجزيل مواليا

ومن شعره في هذه الاغراض قوله :

قيادي قـد تملّكه الغرامُ ووجدي لا يُطاقُ ولا يرام
ودمعي دونه صوبُ الغوادي وشوقي فوقَ ما يُشكي الحمام
اذا ما الوجدُ لم يبرحْ فؤادي على الدنيا وساكنهـا السلام

---

١ ــ أزهار : يدينا .
٢ ــ ج : أغب .
٣ ــ في النسخ : وانما ، وهذه رواية أزهار الرياض .

٩٦ - الكاتب ابو القاسم محمد بن ابي بكر بن محمد ابن احمد بن قطابة الهرميسي :

شاعر محصلٌ ، وللاغراض متوصل ، نفسه ممتد ، وساعده بالنظم مشتد ، وبالطبع ... [١] راضي الدهر طيِّله ، وحث الحظُّ المطيَّ له ، رفع علم الشهرة ، وسلم منه السبق الى راكب المهرة ، وإجادته مقصورةٌ على المطوّلات لافراط سكونـه ، واختصاصِ جانب المدح بركونه .

فمن شعره ما كتب به الي :

سار حُسْنُ الصبر عني ورحلْ ... وأقام الشوقُ بالقلبِ وحلْ

يا نديما أَدِرَنْ كأسَ الهوى ... وآسقنيها عللاً بعد نهل

وأَعِدْ تذكارَ [٢] سكانِ اللوى ... اذ سَرَوْا فهو حديثٌ لا يُمَل

آهِ من جسمٍ مقيم بعدهمْ ... وفؤادٍ إثْرَهُمْ قد ارتحل

وجفونٍ ان تَقِسْ بالبحرِ ما ... سال منها ظهر البحرُ وشل

في ضمانِ الشوق قلبٌ مغرمٌ ... سار [٣] في الناس هواه كالمثل

يا وميضَ البرقِ ان جئتَ الحمى ... وأسلتَ الغيثَ في رسم الطلل

سَلْ أُهيلَ الجزعِ عن جيرتنا ... وعن المضنَى المعنّى لا تسل

---

١ ـ بياض في جميع النسخ .
٢ ـ تذكار : سقطت من جك .
٣ ـ في جميع النسخ : سرى .

(١٠٠ب) ما تخلفتُ اختياراً بعدهم ... لا ولا عهد هواهم إنتقــل
ثبط الدهر واني في النوى ... مكرهٌ بعدُ أخوكَ لا بطل
ليت شعري والاماني ضلّةٌ ... وأخو الاشواقِ يغنى بالامل
هل لجمعِ الشملِ من مرتجعٍ ... او لأيام النــوى من مرتحل
حفظ اللهُ عشيّــاتِ الحمى ... ورعى عهدَ هواها المقتبــل
لم يكنْ غيرُ خيالٍ طارقٍ ... زارني ثم انثنى عـلى عجل
اين ايامٌ بهــا قد سلفت ... حَشَدَ الأنس اليهـا فاحتفل
اذْ عِذاري يانـع ريحانُهُ ... وقريضي كلّهُ فيهــا غزل
وبمغنى اللهــو من شرقيّهِ ... قمرٌ مغربــه تحت الكلل
كم يرومُ البـدرُ ان يشبهــه ... فينالَ الحســن عمداً بالحيــل
أودع الشوقَ ضلوعي عابثــاً ... ورمى النارَ بقلبي فاشتعــل
وأباح ظالمــاً سفكَ دمي ... ليت شعري أحلالٌ ما استحل
ورماني لحظــه فخِلْتُــهُ ... قد رمى قلبيَ رامٍ من ثعل
كيف أرجو وصله ودونه ... قُضُبُ الهندِ وميّاد الاسل
وليوثٌ إن سَطوْا يومَ الوغى ... نسِيَتْ [1] صفينُ او يوم الجمل
يا اميرَ الحسنِ (...) [2] الهوى ... قلبَ مضناك على طوعٍ فذل
كيف يرجو الصحوَ في حبّكِ مَنْ ... أسْكَرَتْهُ (...) [2] تلك المقل
ايها العاذلُ رفقاً في الهوى ... فتمادي العذلِ ليس يُحتمــل
لحظُ من اهواهُ سيفٌ فاتكٌ ... في فؤادي ؛ سَبَقَ السيفُ العذل
كيف اسلو في الهوى عن حبكمْ ... جار في الحكم عليَّ او عدل

---

١ ــ النسخ : نسبت .
٢ ــ بياض في جميع النسخ .

لا تعيّر بالضنى فربّما صحّتِ الاجسامُ يوماً بالعلل [1]

(١٠١آ) كيف أخشى من ضنىً في حبِّهِ

أغريقُ البحرِ يخشى من بلل

خطّ قاضي الحسن في رسم الهوى فاكتفى عقدُ هواك واستقل

ولكمْ ليلٍ نعمناهُ وقد سحبَ الذيلَ علينا وسدل

واتاني زائراً مستخفياً يقصرُ الخطو اليَّ من وجل

فلثمتُ البدرَ من تحت الدجى وضممتُ الغصنَ من تحت الحلل

وأدرت الكأس تحكي خدّه ُنقلُنا عند تساقيها القبل [2]

وتعانقنا كغصنين هوى ذاك قد غض وهذا قد ذبل

وشكوتُ ما ألاقيه له فاعترى وجنته مني الخجل

وغدا مبتسماً يقول لي : انت عبدي في الهوى،قلتُ : أجل

لم أزل ضاجِعهُ حتى سرى عجلاً جنحُ الظلامِ واضمحل

وبدا الاصباح يحكي خدّ من فاق كلَّ الناس علماً وعمل

وهي طويلة غفر الله لي وله .

وقال في الغرض الذي نظمت فيه الحلبة من الأبيات اللزوميات الموجهة الى تلمسان حسبما ثبت في اسمائهم ، وطلعت زواهره في سمائهم :

ما للمعاهدِ ُتصبينا وأُصبيها وللمدامع تهمي في روابيها

(. . . . . [3])

١ ــ من قول المتنبي : فربما صحت الأجسام بالعلل .

٢ ــ هذا البيت متقدم على الذي قبله في د .

٣ ــ بياض بقدر سطر في جميع النسخ .

من لي بنفسٍ لجوجٍ كلما جنحت يوماً الى الرشد عادتْ في تصابيها
لما دعتها دواعي الحبِّ عن كَثَبٍ أَضحتْ حُشاشتها يوماً تلبيها [1]
ما عُذرُها والهوى العذريُّ شيمتها يطوي جناحيها وجداً ثم يثنيها [2]
ياليت شعري هل تقضي ديون هوى ذات الوشاح لديها من محبيها
ويا ديارَ الهوى لا زلتِ مُطْلِعَةً للنور سُحبَ الحيا إياك تُخْسْبيها
(١٠١ب) كم قد أدرنا بها صهباءَ طاف بها بدرٌ حكتْ خدَّهُ في اللون تشبيها
مدامةٌ عتِّقَتْ في الدنِّ من زمن أُسْتُخْرِجتْ من جوابيها خوابيها
في روضةٍ حاكتِ الانواءَ حلَّتَها ودبَّجَ الزهرُ وشياً في روابيها
كأنَّ زهرَ رباها كلما جُلِيَتْ دراهمٌ وسفيرُ الريح يجبيها
كم ذا تموّه بالأزهارِ نفسُ شجٍ ولن ترى غيرَ نور العلم يصبيها
بدائعٌ سحبتْ ذيل الفخار على سَحبانها وصبا منهنّ صابيها
بمجلسِ ابنِ الخطيب انقاد شارُدها وذلَّ منها بحكم القهرِ آبيها
أزاهرٌ من مجاني غرْسِهِ اقْتُطِفَتْ وكلّ ما راق منها فهو حابيها
فالله يبقيه فخراً للخلافةِ ما
سَرَتْ ركابٌ وجابَ الأرض جابيها
وينصرُ الملكَ المولى الذي بندى كفيه تَفْهَقُ بالنُّعمى جوابيها
وهاكها في قصور النظم في خجلٍ ومثلُ علمك لا يحتاجُ تنبيها
من فكرةٍ زارت الأمراضُ ساحتها فغادرتْ خيلها قد كل كابيها

---

١ ــ تليها : سقطت من ج .
٢ ــ ثم يثنيها : سقطت من ذ .

٩٧ – الكاتب عبد العزيز بن احمد بن برشيت

من ابناء الحضرة الغرناطية :

فتى دمث الخلائق ، متمسك من الأدب ببعض العلائق ، منتسب الى بيت عفاف ، وتبلغ بكفاف ، لا تنبو العـــين عن صورته المقبولة ، ولا يُنكرُ الانجاب على قريحته المجبولة ، يقوم على الحساب ، ويمت الى بعض المتصوفة بالانتساب ، وهو بسبب اقتناء للفضائل واكتساب ، ومن شعره ما خاطبني به :

أطلتُ عتبَ زمانٍ ملَّ من أمـــلي
وشمتُه الذمَّ في حِـــلٍ ومرتحلِ

عاتبتــه لِيُلينَ العتبُ جانبـــهُ
فمـــا تراجعَ من مطلٍ ومن بَخَـل

(١٠٢آ) فعدتُ أمنحه العتبى ليُشفِقَ بي
فقـــال لي : إن سمعي عنك في شغل

فالعتب عنديَ كالعتبى فلستُ أُرى
أُصغي لمدحك اذ لم أُصغ للعـــذل

فقلتُ للنفس : كفي عن معاتبـةٍ
لا تنقضي وجـــوابٍ صيغ من جدل

من يعتلقْ في الدنا بابن الخطيبِ فقد
سما عن الذلّ واستولى على الجـــذل

فقلت من لي بتقريبي لخدمته ... فقد أجاب جواباً من جوابك لي
قد اشتغلتُ عن الدنيا بآخرتي ... وكان ما كان في أيامك الاول
وقد رعيتُ وما اهملتُ من منحٍ ... فكيف يختلطُ المرعيُّ بالهمل
ولستُ أرجع للدنيا وزخرفها ... من بعدشيبٍ غدا في الرأس مشتعل
ألستَ تبصرُ أطماري وبعديَ عن ... نيل الحظوظِ وإعدادي الى اجل
فقـــال ذلك قولٌ صحَّ محمله ... لكنَّ من شأنه التفصيلَ للجمل
ما انت طالب امرٍ تستعينُ به ... على المظالم في جـــاهٍ ومقتبل
ولا تحلّ حراماً او تحرم ما ... أحـلَّ ربُّكَ في قولٍ ولا عمل
ولا تبع آجل الدنيا بعاجلهـــا ... كما الولاةُ تبيعُ اليمَّ بالوشل
واين عنك الرّشا إن كنتَ تطلبها ... هذا لعمريَ أمرٌ غيرُ منفعل
هل انت تطلبُ الا ان تعود الى ... كتْبِ المقام الرفيع القدر في الدول
فما لأوحد أهل الأرضِ قاطبةً ... واسمحِ الناسِ من حافٍ ومنتعل
لم يلتفتْ نحو ما تبغيه من وطرٍ ... ولم يسدَّ الذي قد بان من خلل
ان لم تقعْ نظرةٌ منه عليك فلا ... يصفو لديك الذي أمَّلتَ من أمل
فدونك السيدَ الأعلى ، فطالبُهُ ... قلَّ النظير له عندي فلا تسَل
فقد قصدُتك يا أسمى الورى نسباً ... وليس لي من علاك اليوم من وجل
فمـــا سواك لما أملتُ من أملٍ ... وليس عندك من زيغٍ ولا ملل
(١٠٢ب) ودمْ لها ولدينِ الله ترفعهُ ... ما أُعقِبَتْ بُكر الأيام بالأُصل

وقال من قصيدة طويلة لعل ما نجلبه منها يصلح من حال هـــذه الابيات كما ترى :

القلبُ يعشقُ والمدامعُ تنطقُ ... برحَ الخفاءُ فكلُّ عضوٍ يَنطقُ
ان كنتُ اكتمُ ما أجنُّ من الجوى ... فشحوبُ لوني في الغرام مصدق

وتذللي عنـد اللقـا وتملقي ... ان المحبَّ اذا دنا يتملق

فلكم سترتُ من الوجود محبّتي ... والدمعُ يَفضحُ ما يُسِرُّ المنطق

ولكم أُموِّه بالطلولِ وبالكنى ... وأخوضُ بحرَ الكتمِ وهو الاليق

ظهرَ الحبيبُ فلست أبصر غيرَهُ ... فبكلِّ مرئيٍّ أرى يتحقق

ما للوجود تكثّرٌ لمكثّرٍ ... ان المكثّر بالأباطل يعلق

فمتى نظرتُ فأنت موضعُ نظرتي ... ومتى نطقتُ فما بغيرك أنطق

يا سائلي عن بعضِ كنه صبابتي ... كلَّ البيانُ وكلَّ عنه المفلق

فاسلكْ مقاماتِ الرجال تحققاً ... ان المحققَ شأوُهُ لا يلحق

مزِّقْ حجابَ الوهم لا تحفلْ به ... فالوهم يستُرُ ما العقول تحقق

واخلصْ إذا شئت الوصول فلا تُبَلْ

فالعجزُ عن طلب الأباطل (....) [1]

ان التجلّي في التخلّي فاقصدنْ ... ذاك الجنابَ فبابُه لا يغلق

ولتقتبسْ نارَ الكليم ولا تَخَفْ ... والغِ الهوى ان كنت منه تفرق

ومتى تجـلى فيكَ سرُّ جمالِهِ ... وصعقتَ خوفاً فالمكلم يصعق

دعْ رتبةَ التكليفِ عنك ولا تَفُهْ ... تُلفِ الذي قيَّدْتَ وهو المطلق

واقطعْ حبالَ علائقٍ وعوائقٍ ... ان العوائقَ بالمكارهِ تَطرق

جرِّدْ حسامَ النفسِ عن جَفن الهوى ... ان العوائدَ بالتجرد تخرق

(١٠٣آ) فاذا فهمتَ السرَّ منك فلاتبح ... فالسيفُ من بثِّ الحقائق أصدق

بالذوقِ لا بالعلم يُدْرِكُ سرَّنا ... سرٌّ بمكنونِ الكتابِ مُصَدَّق

---

١ ـــ بياض في جميع النسخ .

٩٨ - الكاتب ابو محمد بن أبي القاسم محمد بن قطبة الدوسي*

الصبي الشاعر ، اتى الشعر صبيا ، واستمطر منه حبيا ، وفي كعبته رجبيا[١] ، وان اصبح من كل ما سواه اجنبياً ، كأنما ارتضعه من ثدي الخنساء ، والاخيلية ذات الكساء ، وامثالهما من شعراء النساء ، او تحساه في الحسا ، مع الاصباح والامسا ، فروي مـــن سجله ، وانتظم في سلك الكتاب من اجله ، وشفعت في تقصير ابيه اجادة نجله ، وتميز بالهجاء ، والسُلاح في الارجاء ، وفي ذلك يقول بعض الالباء من الادباء :

وقالوا توقَّ الجررَ وأحذره ُ انه يضرُّ وما في قتلهِ لك من َحوبِ
فقلتُ لهم : أنيابه بعد عضّه اذا عضَّ تبقى للحداثةِ في الثوب
« وقدعضد... ناجل جروه » [٢] فعاملتُ في رفقي به قابل التوب

فمن شعره :

لأمرٍ مـــا تحملتِ الحمولُ وقلبُكَ في الضلوعِ له حلولُ
أَخِفتَ العاذلينَ فحُلْتَ عمّا عَهِدْتَ ، وعهدُ مثلك لا يحول
أم اخترتَ التصّبر عن حبيبٍ جميلٍ بان أنت بــه جميل
أما وأبي لقد رحلتْ قلوبٌ غـداةَ رحيلهمْ ونأت عقول

---

* - عد ابن الخطيب عدداً من افراد هذه العائلة في الاحاطة وليس فيهم من كنيـته ابو محمد (انظر الاحاطة ٢ : ١٨٢ - ١٨٦) .

١ - هامش ك : وفي كتيبته أرحبيا .

٢ - بياض في ج ،كتب بهامش د ك ولكنه ذهب سائره .

وقفتُ بربعهم ابكي اشتياقـاً   وصبري مثلُ نسمته عليـل
أُسائلُ عنهم طللاً محيـلاً   كلانا بعـدهم طللٌ محيل
كأن الصبرَ فاض على جفوني   فكان بربعهم دمعاً يسيل
عهدُتكَ ربـعَ افراحٍ ولهوٍ   تبشّرُ بالقبولِ بك القبول
(١٠٣ب) تلوحُ لنا القبابُ بها شموساً   وليس لها اذا أمسى أفول
ويبدو البدرُ فيها ليس يُخفي   محاسنَها صباحٌ او اصيـل
تخاف ظباءَها الاسدُ الضواري   وتخشى بَطشَها الصّيدُ القيول
تحلُّ بها اللواحظ والمواضي   وتختَلسُ المواعـدُ والعقول
فكم صبٍّ له سرٌّ مصونٌ   لأدمعـه وسلوته مُذيـل
وكم من عاشقٍ عاصته فيهـا   َشمولٌ ،ذكرُ َمنْ يهوى الشمول
يكابدُ وجـده ليلاً طويلاً   الى من ليلُ وفرتِهِ طويل
ويقنعُ أن يقـالَ له سقيمٌ   لـكي يحكيه ِمحْزَمُهُ الضئيل
كأن غرامَه َوقفٌ عليه   فليس الى السلو له سبيل
وتجرحُ وجنتيه شهودُ دمعٍ   عدولٌ للكرى عنهـا عدول
وكم من شـادنٍ احوى غرير   يغرُّ النـاسَ منظره الجميل
اذا مـا تنسمه مشوقاً[١]   يضل سلوه طرف كحيل
ومهما ضل كفرانـاً محبٌّ   هـداه من لواحظه رسول
جوادٌ حـين تسأله نوالاً   ولكن بالوصالِ لنا بخيـل
قنعتُ وان نقعتُ به غليلا   كذاك الحرُّ يُقنِعُهُ القليـل
كأن وصاَله العيّوقُ عزاً   فليس له لمن يهـوى وصول
سقاه شبابُه كأساً دهاقـاً   لذلك عطفـه طرباً يميل

---

١ ـ كذا هو في جميع النسخ .

كسيتُ بهجره ذلاً ولكن عزيزٌ في محبته ذليل
خليلي والتصبرُ عنه عارٌ ولا صبرٌ اذا ينأى الخليل
رعاك اللهُ كم سَفهْتَ رأيي وليس لنجم آمالي افول
وان مطل الزمان لنا بوعدٍ فان ابنَ الخطيب له كفيل(١٠٤آ)

٩٩ - الكاتب ابو القاسم محمد بن محمد بن محمد ابن ابي عاصم ، وقد مر ذكر ابيه[١] :

فاضل السمة ، عاصب في فريضته المنقسمة ، بلغ في القسمة الى أقصر حده، وورث الجلالة عن أبيه وجده ؛ وزها منه فصل الحياء بوردة خده ، ثبْت فيما يكتب ، معتب لما يعتب ، واما الأدب فهو شارع في غديره ، ومادّ يده إلى كأس مديره ، ولم أقف على شعره إلا على مَثَلٍ من منظومه في اللزومية التي تقدم فيها الكلام ، وكلّف بالمراكضة في ميدانها الاعلام ، وهي :

أمن تذكر عهدٍ من تلاقيها أضحت جفونك لا ترقى مآقيها
لم يتركِ الحبُّ من نفسي سوى رمق
والبينُ يجهدُ في إتلافِ باقيها
ما للنوى ولشملي لا تفارقُهُ مهما تباعدَ عنها فهو لاقيها
ما ضرّ منْ شقِيَت نفسي عليه هوىً لو صار ساعدها من كان يشقيها

١ ــ انظر ترجمة أبيه رقم : ٦٧ .

لله ايامُ أُنسٍ قد نعمتُ بها والسعدُ من أعين الحساد واقيها
في روضةٍ جمعت شملَ السرور وقد حفت حوالي سواقيها سواقيها
غدَتْ عليها قيانُ الورق منشدةً وبات نجمُ الثريا وهو يسقيها
القتْ عليها الصَّبا من سحرها سحراً فهمَّت الطير بالالحان ترقيها
ولا كروضةِ نظمٍ قد فتَنَتَ به يظلُّ نشوان منها من يلاقيها
أنشدَتها فانثنى طرفي لها طرباً فهل سقانيَ منها الراح ساقيها
لآليءٌ تتمنى كلُّ غانيةٍ لو أنها نَظمَتْها في تراقيها
من فارسين بميدانِ البلاغة اذ فرسانُها قد تولت عن تلاقيها
ترقيا في بديعِ القولِ منزلةً يكلُّ قسُّ إيادٍ عن ترقيها
(١٠٤ب) تجاوزت شأو أهل النظم قاطبة
فكيف تطمع نفسي في لحاقيها
هذا وما رتبة في القول قد بهرت بني البلاغة إلا كنت راقيها
وكنت ازداد من هذي البدائع لو ألفيت قافية في النظم ألقيها
أنوارُ علمٍ وآدابٍ قد اقتبست من حضرة ابن الخطيب الله يبقيها

١٠٠ ــ الكاتب ابو القاسم بن أبي العلاء محمد بن محمد بن سماك
من كتاب الدولة (١) ، تولاه الله تعالى

فاضل نجيب ، ولدواعي المجادة والأجادة مجيب ، ونوارة مرعى خصيب ، وفائز من سهام الإدراك بنصيب . خصاله بارعة ، ونصاله شارعة ،

١ ــ انظر الترجمة رقم : ٥٩ .

وشمائله الى نداء الفضل مسارعة ، على حداثة يندر معها الكمال ، وتستظرف الاعمال ، فان انفسح مداه ، بلغت السماك يداه . ومن شعره ، وقد كلف الكتاب بلزوم ، وشدّ جبر حيزوم ، حسبما تكرر في أسماء نظرائه ، ما يغني عن إطرائه :

دعهـــا تحنُّ الى السقيا ظواميها
ان السرى عن جمام (... [1]) يحميها

محلآت وِوِرْدُ الماءِ من كثبٍ ... وواردات وبَرْحُ الشوقِ يُظميها
ومُمحلات ولو تُهدى مراشدَها ... لاستمطرتْ من سحابِ الدمع هاميها
هلا حسبنَ دموعي من مواردها ... فكنَّ يحبسنَ من آمال ظاميها
هنّ القسيُّ ضموراً بين ارحلها ... مثلُ السهام وأيدي العزم ترميها
قد شاقها بعد خمسٍ وهي خالصةٌ ... ريٌّ ومرعى تناءى عن مراميها
فاستتبعتْ كنجوم الرمي مرسلةً ... يقفو عِراقيُّها آثارَ شاميهـــا
يبدو ويخفى لرؤيا العين ماثلها ... والدهرُ يَخفِضُها والوجدُ يسميها
سفائنٌ في بحارِ الآلِ خائفةٌ ... تــكادُ تُغرِقها منها طواميهـا
(١٠٥آ)دام المسيرُ بها يُدمي مناسمَها ... فاقتصَّ فوق الثرى آثارَ داميها
كأن آثارَها[2] في كلِّ مَجْهَلةٍ ... كئوسُ راحٍ تُمليّها دواميهـــا
رُحمى لأهلِ الهوى كانت قلوبهمُ ... تصحُّ لولا سهامُ البين تُصميهـا
هذا أوانُ حلالِ السحر في كلمٍ ... هنّ الدراري[3] وباسم الدرّ نسميها
أنوارُ علمٍ يفوتُ الفكر مدركها ... إن أبصرتها عيون الشهب تدميها
من عليـــة في سماء المجدِ طالعةٍ ... مَنْ للكواكب عُلواً ان تُسَاميها

---

١ ـ بياض في النسخ .
٢ ـ ك : آثرها .
٣ ـ ك : دراري .

تظلُ اندلسُ تُزري بمنشأهـا على العراقِ وناشيها وناميها[1]
قد كنتُ أُوسعها حمداً واشكرها وانما العجزُ قد أعيا مراميها
لكن اذا نُسِبَتْ لابنِ الخطيب فقد
كفانيَ الفخرَ منها أنْ أُسمّيها
له الحقيقةُ منها وهو مظهرها وانما لهمُ منها أساميها
يا اوحداً قد سما في الفخر مرقبةً فالشهبُ ينحطُّ عنه قدرُ ساميها
ابناءُ حامٍ وسامٍ أنت سيّدها يومَ الفخارِ وساميها وحاميها
حطتَ الذمارَ ذمارَ المسلمين فما تنفكُّ طوْعَ مراضي الله تحميها
وقلَّ ما ضل يومَ الروعِ أُسرتها الا وهديُك هديُ الله يُنهيها
لا زلتَ ذا صولةٍ مهما رميتَ بها مرامَ روحٍ فانَّ الله راميها

١٠١ – الكاتب ابو العباس بن السيد الشريف القاضي ابي القاسم محمد بن احمد الحسني كلأه الله :

بارق ينتمي الى راعدة ، وبناء على قاعدة ، لاتختلف منه المخيلة ولا تغر ، ولا ينكر على الصدف الدر ، فأبوه الطود الأشم ، والروض الذي له المجتلى والمشم ، ولما هلك ، وأشجى الفلك ، رسمت هذا الفتى في الكتبة ، سني المرتبة ، ثم استعملته في القضاء ، خالعاً عليه ملابس (١٠٥ب) الارتضاء ،

١ ــ الناشي والنامي من شعراء اليتيمة .

فبدت عليه للنجابة مخيلة ترقي وتزلف ، وترّجى انهـــا لا تخلف ، ومن شعره في هذا الغرض الذي تجارى فيه اصحابه ، وما سحت على عــدم استحكام فضله سحابه ، قوله :

اهدتْ اليكَ وقد غابت لواحيها	اسرارَ حبّ برجعِ الطرفِ توحيها
حوراءُأصبت بسحرِ اللحظِ سالمها	واسكرتْ من رحيق الريق صاحيها
محاسنٌ جُليتْ من ثغرها درراً	كروضةٍ أينعت فيها اقاحيهـــا
تبسمتْ فجلا الظلماءَ مبسمُها	كما تألقَ برقٌ في نواحيها
لو اشرقت في سماء الحبرِ مذهبةً	تغشى نواظرَ راويها وواحيهـا
أبدتْ فنوناً من الآداب رائقةً	تفَنَّنَ السحرُ في شتى مناحيها
لاحت من السحر في حرزٍ فعوّذها	من نقدِ حاسدها او لومِ لاحيها
يا ابنَ الخطيب أفدنا كل مأثرةٍ	ليس الليالي وان طالت مواحيها
ابقى الاله على الدنيا مثابته	فهي التي زانَ منها الارضَ داحيها
قد كنتُ اوسعها شكراً فقصّر بي	لزوميَ الحاءَ عن ادراك مدحيها[1]
لو كنت اعلمُ ان الحاءَ تخذلني	لكنتُ من قبلِ لقياها أنحيها

١٠٢ – الكاتب ابو القاسم محمد بن ابراهيم بن محمد بن حميد التجيبي ، تولاه الله تعالى :

طوير سانح ، الى دوحة البر جانح ، والله خير مانح ، عدل عن سنن

١ – لاحظ ان من قبله التزموا الميم في حركة الروي اما هو فالتزم الحاء .

ابيه من العمل ، والصحو والثمل ، ومطاردة الأمل ، الى اقتعاد كرسي تدريس ، واحياء رسم للادب دريس ، وكتب في الجملة فما قصر ، فيما اسهب واختصر ، فمن شعره في غرض المدح :

جاد الغمامُ بصوبه الهتّانِ ... يحكي أنسكابَ الدمعِ من اجفاني

وحكتْ بروقٌ ابرقت بخلاله ... نارَ الصبابة والهوى بجناني

وسرتْ على البطحاءِ أنفاسُ الصبا ... فسرى الجوى بجوانحِ الهيمان

(١٠٦آ) مَهْ يانسيمُ فقد اذبتَ حشاشتي ... وفصمتَ عن قلبي عُرى السلوان

وارقتَ من جفني وهجتَ بأضلعي ... ما شئتَ من ماءٍ ومن نيران

يا صاحِ ان جئتَ الخيامَ بيثربٍ ... وثويتَ من ذاك الحمى بمكان

وسريتَ في تلك الاجارعِ والربى ... وجررتَ في واديه فضْلَ عنان

فانشرْ لواء محبّتي بفنائه ... وافضض هناك خواتم الكتمان

واشرحْ قضياتِ الهوى وأَقِمْ على ... صدقِ المحبةِ واضحَ البرهان

وافتقْ بأربُعِه تحيةَ مسكةٍ ... عن ذي أغترابٍ نازحِ الأوطان

والثمْ بطيبةَ قبرَ من حُبِست له ... شمسُ النهار وخُصَّ بالفرقان

وجرت بأنمله حياةٌ فارتوتْ ... منها عساكرُ جيشه الظمآن

والجذعُ حنَّ له وسبحتِ الحصى ... في كفّه العظمى بغيرِ لسان [1]

والضبُّ كلّمه كلاماً بيّناً ... والبدرُ شُقَّ ولاح رأي عيان

لله منه نبيّ صدقٍ مرسلٍ ... أبداً دليلُ الحق والايمان

رفعت منارَ الرشدِ آيةُ هديه ... ومحتْ رسومَ الغيّ والبهتان

ذاك النبي محمدٌ ذاك الذي ... تعنو الوجوهُ لجاهه الرباني

ذاك الذي نرجو شفاعته غدا ... ونفوزُ منه بجنةِ الرضوان

---

١ ـ سقط البيت من د .

من أجله حقَّ السجودُ لآدمٍ وبفضله يستشفعُ الثقــلان
اكرمْ بمولده وليلتــه التي ظفر الهدى منها بنيل امان
طلعت بها شمسُ النبوة فانجلى عنـا ظلامُ الشركِ والعدوان
احيا امــيرُ المسلمين محمدٌ آثارهــا بسوابغ الاحسان
وأقام فيهــا للعبادِ مواسماً يُجنى بها ابداً رضى الرحمن
وجرى بميدانِ السماحِ مع الصبا فغــدا مجلي ذلك الميــدان
والوبلُ جاد فكاد يَحكي جودَه لو كان جودُ الوبل كلَّ زمان
(١٠٦ب) سَلهُ تنلْ ماشئتَ إنْ يَممّته والبحرَ في بذلِ الندى سيان
هو للعدا كأس الردى ولذي الهدى بدرٌ بدا مـا عِيبَ بالنقصان
يهمي بسحب كتائب، يسعى ببرقِ صوارمٍ، يَرْمي بنجمِ سنان
فاح الندى بمديحه فكأنه متنفسٌ عن نفحــةِ البستان
في حُسْنِ طلعته وفصل خطابه مُستَمْتَعُ الأبصارِ والآذان
واليك من روضِ الكلامِ حديقةً فُتِقَتْ نمائمهــا بغرٍّ معان
جاءت تريك الدرَّ في الأسلاكِ أو تُهديك نوُاراً على أفنــان
فاصعدْ وسدْ وأسعدْ وجدْ واهنأ ودمْ
وانعمْ بملكٍ ثابت الأركان
لا زلت ترقى في مراقي العزّ ما عطفُ النسيمُ معاطفَ الأغصان

١٠٣ – الكاتب احمد بن سليمان بن احمد بن فركون • ،
خديمي في النسخ من يد الكتبة وربيبي :

جرو محقور ، وفي جلدة كلب عقور ، ولسان ناقور ، سمع المجد عنه موقور ، وشرارة قدحتها شرور ، أخرق نشا من صلف ، ورمى من الوضاعة والدناءة بكلف ، فلو تعلق بسبب من ابي دلف ، لسعى عليه في تلف ، ولو شهده مجمع الثريا لم يعد الى مؤتلف ، وفرد لا ينطبق وصف اللؤم الا عليه ، وسفيه يقال عند ذكره كفاك الله شر من احسنت اليه ، رضع الغدر في مجثم امه ، وصافن اباه المرور في قارورة سمه ، فلن تنفع المداراة في افعوانه ، ولا تمنع المصانعة من عدوانه ، جليد على شرّه ، وسيئة مختومة على مره ، أهداه اليّ ابوه سليمان معدن الحمق الذي اعيا الراقي ، وسحر المركب العراقي ، جرواً مسدود العينين ، منسوباً الى جنين هجينين ، يغط في السيرة ، ويحار في طلب الثدي الكلبي اعظم الحيرة ، فأنفت من اضاعته ، واحتلت لرضاعته ، ثم انتخبت له المرس ، وعلقت في عنقه الجرس ، ثم جللته بالحرير ، ومهدت له بجنب السرير ،

• – يكنى أبا جعفر ؛ قال فيه ابن الخطيب في الاحاطة ١ : ٢٢٨ (١ : ٩٩) شعلة من شعل الذكاء والادراك ومجموع خلال حميدة ، على الحداثة، طالب نبيل مدرك نجيب بذ أقرانه كفاية وسما الى المراتب . . . الخ ، لكن الحال تغيرت ، وها هو لسان الدين يقذع في ذمه ، بل كتب بخطه على طرة اسمه في الاحاطة : « يسقط هذا الساقط من الديوان » (انظر النفح ١٠ : ١٤٨) ولم يعرف المقري لم فعل لسان الدين ذلك ، وهذا يرجح انه لم يطلع على الكتيبة الكامنة .

ثم علمته قصّ اثر الحُجَيْلة ، مخضوب البنان والرجيلة ، ثم اغريته بالذبّ (١٠٧ آ) عن المنديل ، ثم دربته على امساك القنديل ، ثم اغريتـــه على القطوط ، ثم ارسلته على القنائص السارية على الشطوط ، وبعد ذلك رقيته من طور المسخ ، الى الاستعمال في مهنة النسخ ، ثم نقلته محتمل العتاب ، إلى بيت الكتاب ، فأصبح جروه ممرحاً بالمصيد ، باسطاً ذراعيه من كهفهم بالوصيد ، مجارياً في نظم المقطوعة وانشاد القصيد ؛ فلما ظهر ايده ، واستقام صيده ، انصرف إليّ كيدُه ، فلم الق شراً من لهثته المجلبة ، وعضته الكلبة ، فانكر المعروف ، ونسي الظرف والمظروف ، واوسع البينات هدماً ، ووجوه الجاه لدماً ، وعض عرقوبي فأدمى ، وافرط في الشعار ، وخلق السعار ، ولم يدع وجهاً من وجوه العار ، والاطواق تحجه ، والاحداق تثجه ، والكفران يصحمه ، والنعم تخصمه ، والله تعالى لا يعصمه . فتركها مثلاً في الاجراء ، ومزّهداً للمكلبين في اصطناع الجراء ، وهرول بعد ما لهث ونقر ، وعض وعقر ، والفضلاء تصيح خلف مهربه ، والكلاب تفر من طلبه ، وعدوى جربه ، وعدل الله تعالى كفيل باتباعه ، وقص باعه ، ومجازاة خَتْلِه ، واهداء كبده الي من بعد قتله ، ليُجعل منها على العضة الدامية ، ويشوى باقيها على النار الحامية ، وعلى ذلك فخطه الذي نفق مـــن كساده ، واغتفر لصلاحه كل قبيح من فساده ، مسرح الطرف ، ومعدن الظرف ، وادبه يطريه سوق الصرف ؛ فما خاطبني به يشكو والده وقد سرق له بعض ما احسنت به له قوله :

مولاي ان سليمانـــاً تعمّدني بالليلِ فاسترقَ الموهوبَ من نعمكْ
فلو غدا غيرُه واللهِ سارقَـهُ لكنتُ أسعى له في المرّ من نقمك
لكنّ حسبيَ أن بَلّغْتُ فعلته للحاكمِ العدلِ يامولايَ من كرمك

(١٠٧ ب) وكتب اليَّ جواباً عن احسان وصله :

« قسماً باحسان مولاي الذي أوجد واكسب ، وآمـالي احسب ، لقد غمر رفدكم اللسان الذي يشكر ، فبأي جارحة اصف المواهب واذكر ، التفقد لا يغب ، والقبول نسماته تهب ، تبارك الرب ؛ والعبد لم يعمل في الخروج من الكـَـر ألفاته ، حتى استدرك من خدمة النسخ ما فاته :

أمولاي عذراً عن مغيبي فلم اكنْ لأغفلَ عن طرسٍ لديك أُجيدُهُ
يَراعيَ في الكرّاسِ طوراً ركوعُهُ
وطوراً بمحـــرابِ الدواةِ سجوده
ولكنْ طرفي لم يغبْ عنك لحظُهُ يفارقني طوعَ اشتياقي هجوده
وهل انا الا غرسُ انعمك التي غيوثُ الهدايا كلَّ يوم تجوده
فَبرِّيُّها فيه شفـــاءٌ ورحمة وبحريُّها ممـــا يعزُّ وجوده
فماذا عسى أُنهيه من شكرِ مُنْعِمٍ
يؤلّف بين الضبِّ والنـونِ جوده

الحمد لله

يوجد في الأصول المكتوب منها بطرتها ما نصه : « الى هنا توجد هذه الكتيبة ، ولعل مؤلفها اخترمته المنية قبل تمامها ، والله تعالى أعلم »

تعليـــق

كتب إلي الأخ الكريم الأستاذ فـؤاد السيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية يصف نسخة الكتيبة الـــكامنة المحفوظة بالدار تحت رقم ١٢٣٩٥ ز . ويستفاد مما ذكره أنها تحتوي على عبارة الختام نفسها ، وهي العبارة التي ترجح ان مؤلف الكتيبة ربما اخترمته المنية قبل تمامها ، وأنها صورة عن نسخة حديثة تم نسخها يوم الأحد العشرين من شعبان سنة ١٣٣٨ ، نقلت عن نسخة أخرى تاريخها التاسع والعشرون من رمضان سنة ١٢٧٦ وأنهـــا في ٢٠٨ صفحات . وفيها فهرست يشغل الصفحات ٢٠٩ — ٢١٣ ؛ وقد دلتني هذه الحقائق على أنها مشبهة للنسخ التي اعتمدتها في مجملها ، وان آخر ترجمة فيها هي ترجمة احمد بن سليمان بن فركون ، وعلى هذا لم تستطع هذه النسخة الجديدة أن تمكنني من الاجابة على السؤال الذي أثرته حول كمال الكتيبة أو نقصانها . هذا ولا يفوتني ان أشكر اخي الاستاذ فؤاد السيد ، فما يزال علمه مستمداً أغترف منه ، ومـــا يزال فضله على المكتبة الأندلسية شاهداً على صدق اخلاصه في خدمة التراث العربي ، حفظه الله ورعاه .

الفهارس

١ ـ فهرس المحتويات

٢ — فهرس المترجم بهم حسب ترتيب حروف الهجاء

٣ ــ فهرس الموضوعات في الشعر

٤ ـ فهرس الكتب التي ذكرت في المتن

عدد الناشر 83 - 26 - 300